نساء في حياة الرسول

زوجاته. بناته. أمهاته. الصحابيات

الكتاب : نساء في حياة الرسول

الكاتب : علي عبد الفتاح

الطبعة : ٢٠١٨

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www.apatop.com **E-mail: news@apatop.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

عبد الفتاح ، علي

نساء في حياة الرسول – علي عبد الفتاح – الجيزة – وكالة الصحافة العربية

٢٩٦ ص ، ١٨ سم

تدمك: ٠-٢٠٣ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ. **العنوان** رقم الإيداع : **٢٠١٥/١١٥٥٢**

إهداء

إلى الجيل الجديد الذي لا يعرف شيئاً عن سيرة الصحابيات
أهدي كتابي الذي أقدمه لهم ولكل من يبحث عن بارقة نور
ونماذج عالية نفخر بها في تراثنا الإسلامي
حتى ننهل من منابعها العلم والموقف الإيماني
والقيم الأخلاقية الرفيعة.

علي عبد الفتاح

مقدمة

هذا الكتاب لا يطمح أن يؤرخ للسيرة، أو يقدم شخصيات في الفكر الإسلامي، وإنما هذا الكتاب ينسج ملامح ذاتية جاءت في لوحات أدبية وثقافية عن مواقف إنسانية لشخصيات نسائية من الصحابيات أحببتهن، وتأثرت بهن إلى حد كبير.

ولذلك حين بدأت الكتابة عن الصحابيات كنت أعتقد أن الأمر لن يستغرق سوى عدة أيام أو شهور، وأستطيع أن أعد كتاباً مشوقاً عن الصحابيات، ولكني ظللت أربع سنوات أبحث وأقرأ وأمزق أوراقا، وأعيد صياغة ما كتبته عن الشخصيات، ثم مرة أخرى أحذف وأكتب من جديد.

والسبب في هذا العذاب الذي عشته مع الصحابيات أن بعضهن كن يعبرن عن قضايا كبيرة كثر فيها اللغط واللغو، وكلما اهتديت إلى مرجع وقرأته واجهت الحيرة والتفكير في تلك القضية.

وكان ضرورياً أن أقرأ مرة أخرى..

وفي صدق واجهت مشقة في فهم كتب التراث القديمة.. فالكلام مكرر.. والمعلومة مبعثرة.. حتى الكتب الجديدة أيضاً قد نسخت المادة العلمية دون إضافة أو تغيير أو تعديل.

أما ما كُتب في المنتديات على النت فإنها كتابات تستحق الرثاء.. فهي أكوام من الموضوعات في قشور الثقافة الإسلامية قد نُسخت تماماً من الكتب القديمة ثم تكررت في كل منتدى.

ولا أدري كيف يمكن أن يحدث هذا دون رقابة على المادة العلمية أو الثقافية، ولا سيما إذا كانت تتحدث عن سيرة الرسل والأنبياء والصحابة والخلفاء.

ولذلك حاولت أن تكون كتاباتي عن الصحابيات مختلفة ومميزة، وذات منهج أدبي واضح فرسمت شخصية الصحابية في صورة أدبية شاعرية منذ البداية حتى النهاية.. وجسدت الملامح الإنسانية والعلمية للصحابيات في أسلوب مبتكر يخالف كل الأساليب التي تكررت في الكتب القديمة.

وفي الحقيقة حينما كانت تواجهني مشكلة أو قضية بخصوص الصحابية كنت ألجأ إلى التشاور والاستفسار مع أساتذة السيرة،

واكتشفت أني أضفت نساء لسن في الحقيقة صحابيات، وإنما تابعيات وقمت بالحذف واختيار شخصيات أخرى.

وقمت بمراجعة الكتاب أكثر من عشرات المرات والبحث في المصادر والمراجع، للتأكد من الموقف والأحداث والوقائع وقد بذلت جهداً كبيراً في اختيار الشخصية والبحث عنها في الكتب حتى تألقت الشخصية في ثوبها القشيب المضيء.

وإذا قرأت هذا الكتاب الآن شعرت أن الصحابية أكثر وضوحاً وبريقاً ولا تجد ما يشعرك بالقلق أو الاستياء إطلاقاً.

وأتمنى أن أكون قد حققت ما كنت أحلم به في تقديم تراث السيرة للصحابة والصحابيات بطريقة مشوقة وأسلوب يجذب القراء والجيل الجديد.

المؤلف

مدخل للصحابيات

هن نساء خالدات في التاريخ..

في كل شخصية إضاءة.. وسيل من البطولة..

وآفاق من العلم في ينابيع الفقه.

آراء تُطرح.. وأفكار تتناغم..

وشجرة المعرفة باسقة.. في السماء تعانق الوجود.. وتخفق أوراقها بزهو الاخضرار والثمار.

وهذا الواقع بحيرات آسنة.. ظلال تتكسر على الجدار.. أنين أطفال جوعى يتصاعد مع تنهيد روحي..

حرب كلام تلك.. أم بشاعة العصر.. تجرفني في سيول من دمار؟؟ وأنا أرى هذا الوجود مخضبا بعنف الحوار.. وصور الإرهاب.. وانزواء المرأة

خلف أسوار الخوف والتلاشي في نهر من بكاء.

فمن يلملم أشلائي فوق ضفاف الحياة؟

من يرد لي يقيني بالبراءة.. والحق.. والحب.. والجمال؟

لذلك ظللتُ أبحث عن ذاتي في صور الصحابيات.. وأطرح تساؤلاتي عنهن:

من هن؟ كيف تألقن؟

كيف واجهن مجتمع العنف والجاهلية والفزع الروحي؟

كيف حاربن في المعارك؟

وكيف شهرن سيوفهن ورماحهن وانطلقن مع آذان الفجر شهاباً في وجوه الأعداء؟

فهل مازلنا على حافات هذا العصر الجاهلي القديم؟

وأنا أرى أطفالا تُذبح في وضح النهار.. ونساء تُغتصب في كل وقت.. ورجال قد تسيدوا المواقف بالخديعة والنفاق واستباحوا كل شيء دون رام أو حلال.. فلا فرق.. فقد تساوت المعاني وسقطت القيم وانطفأ شعاع النور داخل الروح.. نور العقيدة والإيمان.

وهكذا لا يختلف عصرنا عن العصر الجاهلي بكل ما فيه من سمات العنف والقهر والعبودية، واجتياح بيوت الفقراء ومصادرة وجودهم في ذل وانكسار.

هذا حقاً عصر المعاصي.. والخطايا والانتماء.. إلى الفحشاء.. والمنكر.

فأين حوافر جياد الفتوحات؟

أين صولات الفرسان الأبطال.. تشق دروب الظلام.. ويضيء النهار حولها؟

هل ما كان.. حقيقة.. أم سراب؟

هل حقاً نحن أحفاد هذه الحضارة الإسلامية العريقة التي احتوت العالم بالحب والخير ونشرت التسامح والعزة والكبرياء؟

فما العزاء الآن؟

وأين سيل النور المتدفق.. النابع من قلب الروح؟

من يفتح الأبواب للشموس؟

من يشهر سيفاً في وجه الفساد والقهر والعبودية والإذلال؟

من يطلق في الآفاق طائر الحرية والأمان؟

ومن هنا كان ضرورياً أن نسافر إلى الصحابيات..

هذه الرموز الجميلة في القمم العليا علنا نتحول.. نهتدي نخرج من ظلمات النفس إلى النهار الرحب الشاسع بقيم الإسلام.

علنا أنقذنا النساء المقهورات من مخالب الرجال الطغاة الغاصبين.. علنا تعلمنا معنى الحوار مع الآخر.. واحترام الرأي.. وفتح المجال، ليساهم كل أفراد العالم في تشكيل حضارة الوجود.

نحن مازلنا نتحارب.. نقف بعضنا ضد بعض.. ننهش من خيرات الأرض بجشع وبذخ.. وترف.. وانتقام.. ولا نشعر بمن حولنا.. هؤلاء الذين يموتون كل يوم جوعاً وفقراً آخر النهار.

ومن هنا كان ضرورياً أن نعيد قراءة سير كتب الصحابيات.. ليضيء النور قلوبنا.. ويغشانا هدى من الله.. ونبصر طريق الحق والخير والجمال ونكتشف السر الذي يكمن في عصر الصحابيات إذ كيف تحولت كل واحدة منهن.. وتغيرت.. واهتدت إلى الإسلام وآمنت.. وسمت وارتقت بفكرها ومشاعرها إلى نور اليقين؟

ومن أجل ذلك ناضلت.. وجاهدت وشهرت سيف التحدي.. ونزعت رداء الخوف.. ومع الريح انطلقت كالبرق لأسجل أروع صورة للمرأة في تاريخ البشرية، ولذلك أصبحت سيرة الصحابيات نجوماً تنير الدرب..

ونماذج في البطولة.. وشهادة نادرة نتمنى أن نستلهم ذكراها ونقتدي بها دائماً.

وأتمنى أن أكون قد وفقت في ذلك.

علي عبد الفتاح

القاهرة مارس ٢٠١٥

-١-

خديجة بنت خويلد

خديجة بنت خويلد نهر تدفق بالحنان.. سيدة نساء العالمين في كل زمان.. أميرة الخلق الكريم.. والعقل السليم.. والأدب والبيان.. وصدق الموقف وعمق الإيمان.

آمنت حين جاء الوحي ونزل القرآن.. وأول زوجة لخاتم الأنبياء والمرسلين.. رسول الله والنور الذى أضاء باليقين.

تأملت.. وتأثرت.. وأدركت سر الرسالة.. وخافت على الرسول من قوم الجهالة.. وجاهدت.. وواجهت.. وتحملت.. وصبرت.. وصابرت.. حتى بالجنة بُشرت.. في بيت من قصب.. لا صخب فيه ولا نصب.

أول امرأة آمنت بالله ورسوله في الإسلام من دون سائر نساء العالمين.. فبذلك حازت على سمة عظيمة تُذكر بها على مدى الدهر. وقد فُضلت خديجة على سائر نساء الأمة الإسلامية كما فُضلت مريم بنت عمران على سائر نساء بني إسرائيل.

وأهم فضيلة للسيدة خديجة زوجة رسول الله -ﷺ - أن الله بشرها بقصر في الجنة، حيث قال أبو هريرة:

أتى جبريل النبي - ﷺ- فقال:

– يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرئها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – لعائشة عندما أدركتها الغيرة من ثنائه على السيدة خديجة:

– والله ما أخلف الله لي خيراً منها.. لقد آمنت بي إذ كفر الناس.. وصدقتني إذ كذبني الناس.. وواستني بمالها إذ حرمني الناس.. ورزقني الله عز وجل أولادها إذ حرمني أولاد النساء.

في مواقف خديجة ما يدل على كمال عقلها.. وعمق فكرها.. ويقين إيمانها بالرسول – عليه الصلاة والسلام – ورسالته التي بُعث من أجلها.. فكانت له شاطئ الآمان في مواجهة قريش.. وغمرته بالحب والثقة والإيمان به وبصدق هدفه ونواياه.

كانت تخفف عنه هول ما يلقي من العذاب.. وتهون له الأسباب.. فيصبر ويتحمل ويقاوم الأذى ويواصل دعوته وهي بجواره تزيل عنه متاعبه.. وتمسح غبار أحزانه وتمنحه من الحب قوة.. ومن ثقتها وإيمانها ثباتاً في مواجهة أعداء الدعوة الإسلامية.

ومن أوليات السيدة خديجة إنها:

– أول من آمنت بالنبي – ﷺ– من النساء.

- أول من صلى مع رسول الله – ﷺ.
- أول من رُزق منها الأولاد.
- أول من بشرها الرسول – عليه السلام – بالجنة من أزواجه.
- أول من أقرأها ربها السلام.
- أول صديقة من المؤمنات.
- أول قبر نزل فيه الرسول – عليه السلام – هو قبرها في مكة.

ومن مواقفها الرائعة حينما رجع الرسول – ﷺ– من غار حراء يرتعد فزعاً بعد أن شاهد جبريل فقالت له هذه الكلمات:

– كلا والله لا يخزيك الله أبداً.. إنك لتصل الرحم.. وتصدق الحديث.. وتحمل الكل وتكسب المعدوم.. وتقري الضيف.. وتعين على نوائب الحق.

كان علم خديجة يكمن في اكتمال عقلها وحسن تصرفها وثقتها في زوجها رسول الله – ﷺ– وإيمانها العميق برسالته وحديثه واستجابتها له وتفاعلها مع المواقف بحكمة كبيرة. فكانت الزوجة المثلى في العطاء والتضحية والسيدة الصابرة المجاهدة مع رسول الله – ﷺ– في دعوته وما لاقاه من بلاء.

عاشت السيدة خديجة مع رسول الله عشر سنوات كانت خلال فترة النبوة والدعوة والجهاد.. فظلت بجواره تؤازره في كل المواقف.. وتسانده في أشد المحن وتكون له الظل الظليل.. والنسيم العليل.. في أيام الهجير.

ورحلت الجليلة الكريمة.. والسيدة القديرة التي استطاعت أن تستوعب المواقف وتواجه المحن والمخاوف.. وتفهم أبعاد الأحداث.. وتدعو الناس إلى الثبات وتشاركهم في مواقف الضراء.. وتساعد المحتاج.. وتعطف على الفقراء.. حيث تعلمت الكثير من حياة الرسول – ﷺ.

وعاشت سيدة نساء العالمين حياة كلها عطاء وحب وصدق، وتضحية كبيرة ووفاء.

وظلت خديجة بنت خويلد نهراا يتدفق بالحنان.. سيدة نساء العالمين في كل زمان.. أميرة الخلق الكريم.. والعقل السليم.. والأدب والبيان.. وصدق الموقف وعمق الإيمان.. وآمنت حين جاء الوحي ونزل القرآن.

خديجة بنت خويلد نهر تدفق بالحنان.. سيدة نساء العالمين في كل زمان.. أميرة الخلق الكريم.. والعقل السليم.. والأدب والبيان.. وصدق الموقف وعمق الإيمان.

وآمنت حين جاء الوحي ونزل القرآن.. وأول زوجة لخاتم الأنبياء والمرسلين.. رسول الله.. النور الذى أضاء باليقين.

تأملت.. وتأثرت.. وأدركت سر الرسالة.. وخافت على الرسول من قوم الجهالة.. وجاهدت.. وواجهت.. وتحملت.. وصبرت.. وصابرت.. حتى بالجنة بُشرت.. في بيت من قصب.. لا صخب فيه ولا نصب.

-٢-

سودة بنت زمعة

سودة بنت زمعة سيدة الكرم والعطاء.. المجاهدة بين الجبال والصحراء.. في عينيها يتجلى الضياء.. وفي قلبها نور من القرآن والدعاء.. الصادقة.. تنساب حياتها براءة ونقاء.

سلام عليكِ يا سيدة النساء.. يا من تجاوزت بإيمانها المحن والبلاء.. هذه أم المؤمنين رفيقة طيور السماء.. القلب الخاشع في محراب الوفاء.

سودة بنت زمعة سيدة النساء وأم المؤمنين وأول امرأة تزوجها النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد السيدة خديجة. وهي أيضاً المهاجرة المؤمنة التي تحملت في سبيل الدعوة الشقاء مع زوجها وعانت مرارة الغربة بعد رحيله عنها.

عاشت أرملة وحيدة تعبد الله وتحفظ القرآن الكريم، وتصبر على مرارة الحياة بقلب صادق وخلق رفيع وإيمان عميق وحب لدينها ولرسول الله ودعوته. وكانت دائماً تحث النساء على الفضائل وتدعو إلى الدين الإسلامي بذات خالصة وروح طاهرة. وقد روت سودة عن رسول الله – ﷺ– مجموعة من الأحاديث.

وعندما توفيت سجد ابن عباس فقيل له في ذلك فقال:

- قال رسول الله - ﷺ: "إذا رأيتم آية فاسجدوا"، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي - ﷺ.

ومن مواقفها الجميلة حين فكر الرسول - ﷺ- في طلاقها ذهلت وبكت، وقالت:

- أمسكني والله ما بي على الأزواج من حرص، ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك. أبقني يا رسول الله وأهب ليلتي لعائشة، وإني لا أريد كما تريد النساء.

وهذا الموقف يؤكد مدى الإيثار النبيل والفضائل الكريمة التي كانت تتصف بها سودة بنت زمعة التي عُرف عنها الصدق والإحسان والصبر في الشدائد، فقد مات زوجها أثناء الهجرة وتركها تعاني محنة العذاب مع أبنائها وصبرت وتحملت.

حتى حين ذُكر اسمها أمام الرسول - ﷺ- فيمن يتزوج من النساء شعر بالشفقة عليها والرحمة لها وقرر أن يتزوجها.

عاشت سودة بنت زمعة في بيت الرسول تغدق عليه من حنانها وترعى حياته، وتتعلم من علمه وتحفظ من القرآن والأحاديث الشريفة.

فكانت الزوجة الوفية والروح المحلقة في رحاب النبي - ﷺ- وقد وهبت من عمرها وحياتها لتجعل البيت هانئاً سعيداً، وكانت تشعر بالسعادة وهي تقوم على رعاية بنات الرسول - ﷺ.

توفيت في أثناء خلافة عمر بن الخطاب، وهكذا رحلت الصادقة إلى السماء.. يبكي من أجلها الناس والصحابة ويذكرون فضائلها الكريمة وعطاء قلبها الرقيق وحياتها التي وهبتها للعبادة والعمل الصالح في ظل الرسول – ﷺ.

إنها سودة بنت زمعة سيدة الكرم والعطاء.. المجاهدة بين الجبال والصحراء.. في عينيها يتجلى الضياء.. وفي قلبها نور من القرآن والدعاء.. الصادقة.. تنساب حياتها براءة ونقاء.

سلام عليك يا سيدة النساء.. يا من تجاوزت بإيمانها المحن والبلاء.. هذه أم المؤمنين رفيقة طيور السماء.. القلب الخاشع في محراب الوفاء.

-٣-

السيدة عائشة

عائشة أم المؤمنين.. بحر المعارف في الفقه والدين.. النابغة التي أدهشت الفقهاء والمسلمين.. في حديثها فصاحة وصدق ويقين.. يأتي إليها العلماء من كل مكان.

لها رأي وإفتاء في قضايا الزمان.. النقية البريئة من كل إثم وهوان.. اكتسب عقلها علوم القرآن.. وأجادت وأبدعت في قضايا الإنسان.

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر حازت ثقافة دينية عميقة وبلغت من العلم والمعرفة شأناً كبيراً حتى أصبحت مرجعاً أساسياً في الحديث والسنة، وتجلت بأجمل الصفات وأروع الكلمات من زوجها رسول الله – ﷺ.

ولدت بمكة المكرمة في العام الثامن قبل الهجرة تزوجها الرسول في السنة الثانية، فكانت أكثر نسائه رواية لأحاديثه. عاشت في رعايته وهي ما زالت فتاة غضة تتلقى تعاليم الإسلام وتحفظ القرآن والأحاديث، وتتعلم وتفهم وتدرك وتستوعب حتى صارت نابغة عصرها يسترشد بآرائها المسلمون، ويلجأ الناس إليها في أمور دينهم ودنياهم وخاصة النساء.

كان مقام السيدة عائشة بين المسلمين مقام الأستاذ من تلاميذه، حيث إنها إذا استدركت على علماء المسلمين والصحابة روايات ليست على وجهها الصحيح، فكانت تقوم بالتصحيح لهم وتبين ما خفي عليهم، فاشتهر ذلك عنها وأصبح كل من يشك في رواية أتاها سائلاً ومستفسراً.

لقد تميزت السيدة عائشة بعلمها الرفيع لأسباب مكنتها من أن تصل إلى هذه المكانة من أهمها:

– ذكاؤها الحاد وقوة ذاكرتها.. وذلك لكثرة ما روت عن النبي صلى الله عليه وسلم. وزواجها منه في سن مبكر. ونشأتها في بيت النبوة فأصبحت التلميذة النبوية.

وكثرة ما نزل من الوحي في حجرتها وهذا بما فضلت به بين نساء رسول الله. وحبها للعلم والمعرفة فقد كانت تسأل وتستفسر إذا لم تعرف أمراً أو استعصت عليها مسألة.

ونتيجة لعلمها وفقهها أصبحت حجرتها المباركة وجهة طلاب العلم حتى غدت هذه الحجرة أول مدارس الإسلام وأعظمها أثراً في التاريخ. وكانت تضع حجاباً بينها وبين تلاميذها.

ويقول الإمام الذهبي عن السيدة عائشة:

- لا أعلم في أمة محمد - ﷺ- بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها ونشهد أنها زوجة النبي - ﷺ- في الدنيا والآخرة.

وتحدثنا السيدة عائشة عن مزاياها وما اختصت به دون غيرها من النساء فتقول:

- لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم ابنة عمران.
- لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يتزوجني.
- ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري.
- ولقد قبض رسول الله - ﷺ- ورأسه في حجري.
- ولقد قبرته في بيتي.
- وإن الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه.

- وإني لابنة خليفته وصديقه.
- ولقد نزل عذري من السماء.
- ولقد خُلقت طيبة عن طيب.
- ولقد وُعُدت مغفرة ورزقاً كريماً.

السيدة عائشة أم المؤمنين زوجة رسول الله - ﷺ- فهو معلمها الأول والمدرسة النبوية التي تلقت فيها أصول الحديث وحفظت القرآن وتعلمت القراءة وشهدت وقائع الدولة الإسلامية وجهاد النبي - ﷺ- وأصحابه ووقفت معه تناصره وتسانده، وتهيئ له حياة هادئة سعيدة فياضة بالمحبة والود والرحمة والحنان.

وهذه الحياة قد مكنت الرسول الكريم أن يتفرغ للدعوة الإسلامية وشئون المسلمين، بل إن عائشة ساهمت أيضاً بما لديها من علم وخبرة ومعرفة في تفسير بعض القضايا الاجتماعية وحل مشاكل الناس ولا سيما النساء المسلمات، حيث كانت تغار عليهن وتعظهن بكلمات القرآن الكريم وأحاديث الرسول - ﷺ.

ومن ذلك أنها قالت لنساء حمص:
- لعلكن من اللواتي يدخلن الحمامات فقد سمعت رسول الله - ﷺ- يقول:
- أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستراً ما بينها وبين الله.

وعنـدما رأت تغـيراً في ملابـس بعـض النسـاء بعـد عهـد النـبي – ﷺ– أنكرت ذلك، وقالت:

– لـو أن رسـول الله – ﷺ– رأى مـا أحـدث النسـاء لمـنعهن المسـجد، كمـا مُنعت نساءُ بني إسرائيل.

وقد كانت المواقف التي تواجهها السيدة عائشة فرصة طيبة لحديث من أحاديث الرسول – ﷺ– ومن ذلك أنها قالت:

– جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها. فسألتني فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً ثم قامت فخرجت وابنتاها. فدخل عليّ النبي – ﷺ– فحدثته حديثها فقال:

– من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار.

ومن أجمل أقوال السيدة عائشة:

– مكارم الأخلاق عشر: صدق الحديث.. وصدق البأس.. وأداء الأمانة.. وصلة الرحم.. والمكافأة بالصنيع.. وبذل المعروف.. والتذمم للجار.. والتذمم للصاحب.. وقري الضيف.. ورأسهن الحياء.

وقالوا عن عائشة:

إن عائشة كانت فقيهة بأحكام الدين حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها.

وقال الذهبي في الكاشف:

- إن عائشة أفقه نساء الأمة.

وقال الزركشي في المعتبر:

- إن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب كانا يسألانها في المسائل الفقهية.

وقال الزهري:

- لو جمع علم عائشة بعلم جميع أزواج النبي - ﷺ- وجميع النساء كان علم عائشة أكثر.

وقال عروة بن الزبير:

- ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفرائضه ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة.

توفيت السيدة عائشة في السادسة والستين من عمرها بعد أن تركت أعمق الأثر في الحياة الفقهية والاجتماعية والسياسية للمسلمين. وحفظت لهم بضعة آلاف من صحيح الحديث عن الرسول.

تلك هي صورة عائشة أم المؤمنين.. بحر المعارف في الفقه والدين.. العالمة التي أدهشت الفقهاء والمسلمين.. في حديثها فصاحة وصدق ويقين.. يأتي إليها العلماء من كل مكان.

لها رأي وإفتاء في قضايا الزمان.. النقية البريئة من كل إثم وهوان.. اكتسب عقلها علوم القرآن.. وأجادت وأبدعت في قضايا الإنسان.

-٤-

حفصة بنت عمر

حفصة أم المؤمنين حافظة القرآن.. في حكمة وإتقان.. ذات موقف بديع وخلق رفيع.. تصون الحقوق.. ابنة الفاروق.. تنأى عن الغيرة والغضب.. وتسمو بالعلم والأدب.

لها في كل موقف رمز وعلامة.. السيدة المؤمنة الصوامة.. في آناء الليل وأطراف النهار ساجدة.. قوامة.

حفصة بنت عمر حافظة المصحف الشريف والتي قامت بجمع صحف القرآن المنزل قبل أن تضيع هذه الرقع. وقد أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر بجمع المصحف بعد أن استشهد في الحروب كثيراً من حفظة القرآن الكريم.

وعهد أبو بكر إلى السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب بتلك المهمة حتى أنجز رسم القرآن نهائياً في عهد عثمان بن عفان.

والسيدة حفصة تتميز بجمالها وأدبها وخلقها الرفيع وعلو نسبها، فهي من أشراف مكة ابنة الفاروق عمر بن الخطاب الخليفة الثاني بعد أبي بكر الصديق وفي عهد عمر تم إرساء دعائم الدولة الإسلامية.

تزوجت خنيس بن حذافة بن قيس القرشي، ويعتبر من أحد الصحابة، وقد هاجر إلى الحبشة مع المسلمين الأوائل واشترك في معركة بدر وأصيب في

معركة أحد بجراح شديدة ومات وترك وراءه حفصة بنت عمر أرملة شابة في الثامنة عشرة من عمرها.

تزوجت حفصة من رسول الله – ﷺ– وكان عمر بن الخطاب يشرح لها دائماً موقفها في بيت الرسول، وأنها يجب أن تكون حذرة وألا تغضب الرسول أبداً. ولا تغار من زوجاته الأخريات ولا سيما عائشة.

ويقول لها عمر بن الخطاب:

– تعلمين أني أحذرك عقوبة الله، وغضب رسوله يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله إياها، والله لقد علمت أن رسول الله – ﷺ– لا يحبك ولولا أنا لطلقك.

ظلت حفصة حريصة في حياتها ألا تغضب رسول الله أو يصدر منها ما يسيء إلى السيدة عائشة، سواء كان تعبيراً عن مشاعر أنثوية معينة أوغضب ناتج عن غيرة منها.

وحين قرر الرسول طلاق حفصة لأنها لم تحفظ السر الذي أخبرها به وهو أن مارية قد أصبحت محرمة عليه، وأفشت السر إلى عائشة. تقول إحدى الروايات أن جبريل نزل على الرسول وقال له:

– أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة.

وعاشت حفصة بنت عمر بعد وفاة الرسول، وشهدت الفتوحات الإسلامية، وكذلك تألمت لفجيعة مقتل أبيها عمر بن الخطاب بطعنات من

خنجر أبي لؤلؤة المجوسي. وظلت تتعبد في وحدتها وتقرأ القرآن وتتذكر كفاح الرسول من أجل الدعوة ومواقفه الكريمة معها وكيف عاصرت جهاد رجال الدولة الإسلامية، من أجل نشر السلام والخير والفضائل.

ولا يمكن للتاريخ الإسلامي أن يغفل حفصة أم المؤمنين.. جامعة القرآن.. في حكمة وإتقان.. ذات موقف بديع وخلق رفيع.. تصون الحقوق.. ابنة الفاروق.. تنأى عن الغيرة والغضب.. وتسمو بالعلم والأدب.

لها في كل موقف رمز وعلامة.. السيدة المؤمنة الصوامة.. في آناء الليل وأطراف النهار ساجدة.. قوامة.

-٥-

جويرية بنت الحارث

جويرية بنت الحارث أميرة العز والكبرياء.. حررت قومها من الأسر والبلاء وتحدت ظلم الحياة وانكسار النساء.

رفضت أن تظل أسيرة على ريح الفناء.. تحلم بسيادة قومها في الصحراء.. وتسترد الأمان والسلام في.. عالم من صفاء.

إنها أميرة التمرد على الظلم والقيود.. فالحرية حلمها في هذا الوجود.. فتكلمت وتألمت في أسرها.. وقررت أن تبوح بأسرارها.. فالحقول لا تحيا إلا بأشجارها ومراكب الحرية تبحث عن بحارها.

جويرية بنت الحارث الزوجة الفاضلة ومن أمهات المؤمنين التي تنتمي إلى بني المصطلق، وكان أبوها الحارث بن أبي ضرار سيد القوم وزعيمهم في الحروب وله شأن كبير ومنزلة بارزة بين قومه.

وقد تقاتل بني المصطلق مع المسلمين ثم انهزموا وكانت جويرية بنت الحارث قد اقتيدت أسيرة وأصبحت مع السبايا ووزعت الأسهم على المقاتلين فكانت من نصيب ثابت بن قيس وقد كاتبته عن نفسها.

شعرت جويرية بنت الحارث بالذل والمهانة وهي ابنه زعيم بني المصطلق وتُقاد أسيرة، بل سبية في بيت ثابت بن قيس الذي أساء معاملتها.

أسرعت إلى رسول الله – ﷺ– لينقذها من هذا الظلم والبلاء فقال لها:

– فهل لك في خير من ذلك؟

سألت: وما هو يا رسول الله؟

قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك.

وأجابت جويرية بنت الحارث:

– نعم يا رسول الله.

ومنذ تلك اللحظة أطلق عليها الرسول – ﷺ اسم "جويرية". ونتيجة لهذا الزواج عُتق جميع الأسرى من بني المصطلق وعادت تشعر مرة أخرى بعزة نفسها وكبريائها فهي في حمى رسول الإسلام.

أصبحت من سيدات بيت النبوة وأم المؤمنين وسيدة من فضليات النساء حين دخلت الإسلام، وأدركت كيف تعيش كزوجة لرسول الله تتعلم منه وتحفظ الأحاديث الشريفة، وتشاهد أحداث كبيرة مع الرسول والصحابة والخلفاء والتابعين.

روت جويرية الحديث عن الرسول – ﷺ – وتوفيت في المدينة وكانت حياتها مثالاً للمرأة المسلمة في العبادة والتصدق وإغاثة المكروبين ومساندة المساكين والبر بالفقراء.

وتركت ذكريات عاطرة بمواقفها الفاضلة وإصرارها الدائم منذ بداية الأسر إلى رفض الذل ورفض السبي، وأن يتعلق أملها الكبير في إنقاذ رسول الله – ﷺ– لها ليرد لها كرامتها المفقودة ويزيل عنها الهوان.

تلك لمحة من سيرة جويرية بنت الحارث أميرة العز والكبرياء.. حررت قومها من الأسر والبلاء، وتحدت ظلم الحياة وانكسار النساء.

رفضت أن تظل أسيرة على ريح الفناء.. تحلم بسيادة قومها في الصحراء.. وتسترد الأمان والسلام في.. عالم من صفاء.

إنها أميرة التمرد على الظلم والقيود.. فالحرية حلمها في هذا الوجود.. فتكلمت وتألمت في أسرها.. وقررت أن تبوح بأسرارها.. فالحقول لا تحيا إلا بأشجارها ومراكب الحرية تبحث عن بحارها.

-٦-

هند بنت أبي أمية "أم سلمة"

هند بنت أبي أمية.. ريحانة الطهر.. ووردة العفاف.. سيدة الموقف والقلب الشفاف من خير أمهات المؤمنين.. في أمور الدنيا والدين.

تجلت بالذكاء والحزم والحكمة.. وفي قلبها أنهار من الرحمة.. نهلت من علوم القرآن.. وأبدعت في الفقه والبيان.

هند بنت أبي أمية اتصفت بالمحبة.. والخلق العظيم.. والتأثر الشديد بالقرآن الكريم، وذلك لأنها كانت في رحاب رسول الله – ﷺ – فنهلت من نور فكره وتزودت بعلمه.. وعاشت في حياته.

أم سلمة تعد من فقهاء الصحابيات اللاتي عرف عنهن رجاحة العقل وبلاغة القول وحسن الكلم، وقد عبرت عن ذلك حين تحدثت إلى السيدة عائشة عندما قررت الخروج إلى البصرة، وقالت لها في عتاب رقيق:

– إنك سدة بين رسول الله – ﷺ– وبين أمته.. فمتى أصيب ذلك الباب بشيء فقد دُخل على رسول الله – ﷺ .

– في حريمه وحوزته واستبيح حماه.. فلا تكوني أنتِ سبب ذلك الخروج الذي لا يجدب عليكِ فتحوجي الناس إلى أن يفعلوا مثلك.

ومن مواقفها التي تنبئ عن فطنتها وتقديرها للواقع وحسن التصرف في مواجهة قضايا المسلمين، وذلك عندما نزل المسلمون على مشارف مكة عند

الحديبية وهم يأملون أن يطوفوا بالبيت، ولكنهم عندما شاهدوا ناقة رسول الله – ﷺ– تبرك وسمعوا الرسول يقول:
– لقد حبسها حابس الفيل.

عندئذ كانوا يفكرون:هل يمنعون من دخول البيت الحرام؟ ولن يدخلوا مكة، ولكن الرسول – ﷺ– قال لهم أن يقوموا وينحروا ثم يحلقوا، ولكن المسلمين كانوا يريدون الطواف والسعي فكيف لا يقومون بذلك. وهنا وقعوا في حيرة ألزمتهم الصمت التام.

ولجأ الرسول الكريم – ﷺ– إلى زوجه أم سلمة وقال لها عما حدث فظلت تفكر، ثم قالت:

– يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك.

وخرج النبي وفعل كما قالت له أم سلمة، فلما شاهد ذلك المسلمون قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً.

روت السيدة أم سلمة الكثير من الأحاديث عن الرسول – ﷺ – وهي بذلك تأتي بعد السيدة عائشة في رواية الحديث.

وعاشت أم سلمة بين المسلمين، وفي ظلال رسول الله – ﷺ – تتعلم منه وتكتسب الخلق الرفيع والنظر في أحوال الدنيا وشئون الناس، وظلت سيرتها الحميدة قدوة عُليا في التربية وصورة مُثلى لواحدة من أمهات المؤمنين.

ورحلت وردة نساء المسلمين إلى جنات النعيم بعد حياة حافلة بالخير والعطاء والمواقف الفاضلة التي تعبر عن شخصيتها الجليلة وحكمتها في مواجهة الظروف الصعبة مع المسلمين.

إنها هند بنت أبي أمية.. ريحانة الطهر.. ووردة العفاف.. سيدة الموقف والقلب الشفاف من خير أمهات المؤمنين.. في أمور الدنيا والدين.

تجلت بالذكاء والحزم والحكمة.. وفي قلبها أنهار من الرحمة.. نهلت من علوم القرآن.. وأبدعت في الفقه والبيان.

-٧-

رملة بنت أبي سفيان

الصحابية الجليلة.. المهاجرة.. والمؤمنة المجاهدة.. الصابرة.. ووردة الحب الزاهرة.. رحلت من وجوه كافرة.. ومضت في القيظ والهاجرة.. فما أفضلها أم حبيبة المسافرة.. الروح الجسورة الثائرة.

وقد تألمت.. تعذبت.. حتى عادت من غربتها ولجأت إلى قلوب حانية.. ورسمت الشموس حولها ظلال آمنة.

رملة بنت أبي سفيان راوية أحاديث رسول الله – ﷺ– أم حبيبة بنت أبي سفيان. ابنة زعيم.. وأخت خليفة.. وزوجة خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام.

أبوها أبو سفيان.. زعيم ورئيس قريش وكان في بداية الدعوة العدو اللدود للرسول – عليه الصلاة والسلام – وأخوها معاوية بن أبي سفيان.. أحد الخلفاء الأمويين.

كانت ذات أدب وفصاحة.. وذكاء وبلاغة.. أسلمت مع زوجها عبيد الله بن جحش حين بدأ الرسول دعوته في مكة. وعندما واجه المسلمون العذاب والآلام من الكفار في مكة قررت رملة مع زوجها بالهجرة إلى الحبشة وهناك أنجبت ابنتها حبيبة.

عانت أم حبيبة ألواناً من عذاب الغربة وأيضاً الصدمة الرهيبة التي واجهتها حين قرر زوجها أن يرتد عن الإسلام ويعود إلى ما كان عليه من النصرانية. وحزنت حزناً شديداً لزوجها حتى رحل عن الحياة آثماً مرتداً.

علم الرسول – ﷺ- بما جرى لأم حبيبة.. فأرسل إلى النجاشي طالباً الزواج منها.. ففرحت أم حبيبة.. وصدقت رؤياها.. فعهدها وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار.. ووكلت هي ابن عمها خالد بن سعيد ابن العاص.

روت أم حبيبة عدة أحاديث عن الرسول – ﷺ- منها حديث مشهور في تحريم الربيبة وأخت المرأة، حيث قالت:

– دخلت على رسول الله – ﷺ- فقلت له:

– هل لك في أختي بنت أبي سفيان.

فقال: ماذا أفعل؟

قلت: تنكحها.

قال: أو تحبين ذلك؟

قلت: لست لك بمخلية وأحب من شركني في الخير أختي.

قال: فإنها لا تحل لي.

قلت: فإني أخبرت أنك تخطب درة بنت أبي سلمة.

قال: بنت أم سلمة.

قلت: نعم.

قال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي، إنها ابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبوها ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن".

كذلك حديثها في فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن. كما أنها ذكرت أحاديث في الحج كاستحباب دفع الضعفة من النساء وغيرهن من المزدلفة إلى منى في أواخر الليل قبل زحمة الناس.

توفيت بعد الهجرة ودفنت في البقيع.. وكانت قد دعت عائشة أم المؤمنين قبل وفاتها فقالت:

- قد يكون بيننا ما يكون وبين الضرائر فغفر الله لي، ولك ما كان من ذلك.

فقالت عائشة:

- غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحلك من ذلك.

فقالت أم حبيبة:

– سررتني سرك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك.

ورحلت رملة بنت أبي سفيان.. السيدة التي مازالت في ذاكرة التاريخ شجرة مثمرة الصحابية الجليلة.. المهاجرة.. والمؤمنة المجاهدة..الصابرة.. ووردة الحب الزاهرة رحلت من وجوه كافرة.. ومضت في القيظ والهاجرة.. فما أفضلها أم حبيبة المسافرة.. الروح الجسورة الثائرة.

-٨-

زينب بنت جحش

زينب بنت جحش.. السيدة العابدة الحليمة.. الفاضلة الكريمة.. سخية اليد.. ليس لكرمها حد.. تصوم النهار.. وتقوم الليل في دعاء واستذكار.. تجود بكل ما لديها وتمنح ما تملك يديها.. تعطي من زادها.. تتصدق من مالها.. تحتوي في قلبها الفقراء.. تخاف عليهم من عصف الشتاء.. حتى غدت مثالاً عظيماً في العطاء.. زوجها الله تعالى رسوله من فوق سبع سموات من دون النساء.

السيدة زينب بنت جحش امرأة من أميرات نساء قريش.. هذب الإسلام نفسها.. وأضاء نوره قلبها.. وأكسبها التقوى والخلق الكريم.. فأصبحت درة من الدرر المكنونة نادرة الوجود.

تعتبر من سيدات نساء العالمين في الورع والتقوى والجود والصدقة.. وقد غدت أُماً من أمهات المؤمنين بزواجها من النبي - ﷺ- ومما زادها شرفاً وتقديراً وذكراً عند المؤرخين على طول الدهر ذكر قصة زواجها في القرآن الكريم.

لقبت بألقاب عديدة منها: أم المساكين.. ومفزع الأيتام.. وملجأ الأرامل.. فهي امرأة سباقة إلى فعل الخيرات.. ولها سيرة ندية عطرة في تاريخنا الإسلامي. وبهذا تعتبر السيدة زينب قدوة عظيمة لكل مسلمة تحتذي بأخلاقها وخصالها النبيلة وتقتفي أثرها وتهتدي بسيرتها.. فهي نموذج مضيء للمرأة المسلمة في كافة العصور. لقد رُوي عنها العديد من الصحابة والصحابيات.

ومن الأحاديث الشريفة التي رُويت عنها تقول زينب بنت أبي سلمة:
- دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها.. فدعت بطيب فمست منه.. ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله - ﷺ- يقول على المنبر:

- "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على الميت فوق ثلاث ليال.. إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً."

وتقول زينب بنت جحش أن رسول الله - ﷺ- دخل عليها يوماً فزعاً يقول:

- "لا إله إلا الله.. ويل للعرب.. من شر قد اقترب فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه.. وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها".

قالت زينب بنت جحش:

- يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟

قال الرسول - ﷺ:

- نعم إذا كثر الخبث.

ورحلت الأميرة زينب بنت جحش أم المؤمنين.. العابدة الحليمة.. الفاضلة الكريمة.. سخية اليد.. ليس لكرمها حد.. تصوم النهار.. وتقوم الليل في دعاء واستذكار.. تجود بكل ما لديها.. وتمنح ما تملك يديها.. تعطي من زادها.. تتصدق من مالها تحتوي في قلبها الفقراء.. تخاف عليهم من عصف الشتاء.. حتى غدت مثالاً عظيماً في العطاء. زوجها الله تعالى رسوله من فوق سبع سموات من دون النساء.

-٩-

زينب الهلالية

زينب الهلالية.. مزيجاً من الحسن والأدب.. في حناياها قلب من ذهب.. من نهر الحب قد وهب.. وعاشت من أجل الفقراء.. تمسح عنهم دموع الشقاء.. سيدة النور والضياء.. والبسمة المشرقة للأطفال.. تزرع الورد في كل مجال.. تناديها روابي الحقول.. وتنتظرها الجداول بين الجبال والسهول.

زينب بنت خزيمة بن صعصعة الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها، وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين الطيبة، والكريمة شديدة العطف على الفقراء، ولا يكاد اسمها يذكر في أي كتاب إلا مقروناً بلقبها الكريم سيدة البر والخير.

وهي إحدى زوجات النبي والتي لم يمض على دخول حفصة البيت المحمدي وقت قصير حين دخلته زينب أرملة شهيد قرشي من المهاجرين الأولين، فكانت بذلك رابعة أمهات المؤمنين.

كانت أرملة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.. الذي قُتل في معركة بدر. فتزوجها النبي – ﷺ– بعد حفصة بنت عمر.. بدافع الشفقة عليها وإنقاذها من عثرات الحياة، ثم لم تلبث عنده شهرين أوثلاثة وماتت.

عاشت زينب الهلالية كريمة العطاء عطوفة على اليتامى والفقراء، وعرف عنها مساعدة الناس والوقوف بجانبهم في كل مواقف الحزن والبلاء. أحبها الجميع وعاشت فى قلوبهم تحتل مكانة كبيرة.

ورحلت بعد حياة هادئة في ظل الإسلام وصلى عليها النبي – عليه الصلاة والسلام – ودفنها بالبقيع في شهر ربيع الآخر سنة أربع.. وكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين. ولها من العمر ثلاثين عاما.

حين رحلت زينب الهلالية تفجرت ينابيع الأرض بكاء.. وظل الفقراء في محنة وألم يذكرون مواقفها الرائعة وعطاءها الجميل. فمن هذه السيدة صديقة أهل الشقاء ورفيقة المساكين والفقراء؟

إنها زينب الهلالية.. مزيجاً من الحسن والأدب.. في حناياها قلب من ذهب.. من نهر الحب قد وهب.. وعاشت من أجل الفقراء.. تمسح عنهم دموع الشقاء.. سيدة النور والضياء.. والبسمة المشرقة للأطفال.. تزرع الورد في كل مجال.. تناديها روابي الحقول.. وتنتظرها الجداول بين الجبال والسهول.

-١٠-

صفية بنت حيي

صفية بنت حيي.. الجميلة وما كان في الأسر سواها.. وردة فاح عطرها وسناها.. وغشى قلبها نور وطواها.. وخيرها الرسول واختارها واصطفاها.. فإلى أين يخفق هواها؟ وكيف يكون البدء وأين منتهاها؟

راودها حلم الإسلام وشجاها.. وهامت.. وزهت.. وسمت دنياها.. فالحب والرحمة بعض من شذاها.. بزغت الشمس وأشرق ضحاها.

صفية بنت حيي بن أخطب. يتصل نسبها بهارون النبي عليه السلام. نشأت في الخزرج وهي من ذوات الشرف ودانت باليهودية وعاشت في المدينة وأمها تدعى برة بنت سمؤل.

عُرف عن صفية أنها ذات شخصية فاضلة.. جميلة.. حليمة.. ذات شرف رفيع ولها مكانة عزيزة عند أهلها.. شمس الرحمة والمحبة التي تزوجت مرتين قبل اعتناقها الإسلام.

في السنة السابعة من شهر محرم استعد رسول الله – عليه الصلاة والسلام – لمحاربة اليهود واندلع القتال بين المسلمين واليهود فقتل رجال خيبر، وسبيت نساؤهم ومن بينهن صفية.

عندما عاد بلال بالأسرى مر ببعض من قتلاهم فصرخت ابنة عم صفية وحثت التراب على وجهها، فتضايق رسول الله من فعلتها وأمر بإبعادها عنه. وقال لصفية بأن تقف خلفه وغطى عليها بثوبه حتى لا ترى القتلى. فقيل إن الرسول اصطفاها لنفسه.

سأل الرسول – ﷺ– صفية وخيرها بين البقاء على دين اليهودية أو اعتناق الإسلام. فإن اختارت اليهودية أعتقها وإن أسلمت سيمسكها لنفسه.

وكان اختيارها الإسلام الذي جاء عن رغبة صادقة في التوبة، وحباً لهدي محمداً – ﷺ.

عند قدومها من خيبر أقامت في منزل لحارثة بن النعمان وقدمت النساء لرؤيتها لما سمعن عن جمالها، وكانت من بين النساء عائشة ذكر بأنها كانت منقبة. وبعد خروجها سألها رسول الله عن صفية فقالت عائشة:

- رأيت يهودية.

قال الرسول - ﷺ:

- لقد أسلمت وحسن إسلامها.

كانت صفية تغمرها الفرحة حتى أنها نسيت ما ألم بأهلها. وأقيمت لها وليمة العرس أما مهرها فكان خادمةً تدعى رزينة. وعندما دخل الرسول - عليه الصلاة والسلام - على صفية أخبرته بأنها في ليلة زفافها بكنانة رأت في منامها قمراً يقع في حجرها فأخبرت زوجها بذلك فقال غاضباً:

- لكأنك تمنين ملك الحجاز محمداً.

ولطمها على وجهها. وحين مرض النبي - ﷺ- قالت صفية له في حزن:

- أتمنى أن يحل بي ما ألم بك.

فغمزتها زوجات النبي - ﷺ- فرد الرسول عليهن وقال:

- والله إنها لصادقة.

وبعد وفاته - ﷺ- افتقدت الحماية والأمن. فظل الناس يعيرونها بأصلها.

وفي عهد عمر بن الخطاب جاءته جارية لصفية تخبره بأن صفية تحب السبت، وتصل اليهود، فلما استخبر صفية عن ذلك. فأجابت قائلة:

- فأما السبت لم أحبه بعد أن أبدلني الله به بيوم الجمعة، وأما اليهود فإني أصل رحمي.

وسألت الجارية عن سبب فعلتها فقالت: الشيطان. فأعتقتها صفية.

وفي عهد عثمان لم تأل جهداً في ولائها له الذي ما فتئت عائشة تحرض عليه حتى بلغ بها الأمر أن دلت قميص رسول الله من بيتها وصاحت في المسلمين:

-"أيها الناس هذا قميص رسول الله لم يبل، وقد أبلى عثمان سنته"، أي أن آثار الرسول ما زالت باقية، وأن سنته قد انتهكت وبليت بسبب عثمان.

روت عدة أحاديث عن الرسول - ﷺ- وروى عنها آخرون. توفيت في المدينة في عهد الخلفية معاوية ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين.

ورحلت الصحابية والزوجة الوفية ومازال عابقاً عطرها وشذاها.. عانق قلبها شهاب وطواها.. وخيرها الرسول واختارها واصطفاها.. فإلى أين يخفق هواها؟ وكيف يكون البدء وأين منتهاها؟ راودها حلم الإسلام وشجاها.. وهامت.. وزهت.. وسمت دنياها.. فالحب والرحمة بعض من شذاها.. وبزغت الشمس وأشرق ضحاها.

-١١-

ميمونة بنت الحارث

ميمونة بنت الحارث وهبت نفسها للرسول.. وردة مضيئة في الحقول.. طير اهتدى للعش الأخير.. وسلمت للقدر والمصير.. حلقت روحها مع

العابدين.. وعاشت في ظلال الساجدين.. وكانت آخر أمهات المؤمنين.. سيدة القلب الأمين.. الدافق بالحب والحنين.

وميمونة هي أخت أم الفضل زوجة العباس من سادات النساء اللواتي عُرف عنهن النسب الرفيع.. والخلق البديع.. والفضل العظيم.. والحس الرقيق.. والحب العميق.

كانت تتردد على شقيقتها أم الفضل تستمع منها لأخبار المسلمين وموقف الرسول – ﷺ- في معارك بدر وأحد ورحمته وشفقته بالناس ودعوته للدين الجديد الذي يبشر بالخير وينشر الفضائل ويدعو للمعروف وينهى عن المنكر.

وجاشت مشاعرها بعشق هذا الدين العظيم الذي يُخرج الناس من الظلمات إلى النور والتسامح والرحمة وعبادة إله واحد رب السموات والأرض. وعلى الفور انطلقت ميمونة إلى الرسول – ﷺ وقالت له:

– أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. وإني وهبت نفسي لرسول الله.

وفي هذا الموقف أنزل الله قوله تعالى:

"وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبيُ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين." (الأحزاب ٥٠).

وعاشت ميمونة في البيت النبوي كريمة.. فاضلة تتعلم من الرسول أجل تعاليم الإسلام.. وتستمع إلى أحاديثه.. وتنصت إلى مواقفه.. وقصص جهاده وتحس بمدى مسئوليته ورسالته التي بعثه الله من أجلها ليهدي البشر جميعاً.

وبعد رحيل الرسول – ﷺ– أوقفت ميمونة حياتها على نشر السنة بعد أن عرفت الحديث الشريف وروايته ونقله بين الصحابة والتابعين وأئمة العلماء، لأنها شديدة التمسك بالهدي النبوي والخصال المحمدية.

عكفت أم المؤمنين على العبادة والصلاة في البيت النبوي، وراحت تهتدي بهدي رسول الله – ﷺ– وتقتبس من أخلاقه الحسنة وكانت حريصة أشد الحرص على تطبيق حدود الله ولا يثنيها عن ذلك شيء من رحمة أو شفقة أو صلة قرابة.

ومن مواقفها في ذلك أن رجلاً ذا قرابة لميمونة دخل عليها فوجدت منه ريح شراب فقالت:

– "لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدونك لا تدخل علي أبداً".

ولقد كرمها الله عز وجل لها عندما نزل القرآن يحكي قصتها، وكيف أنها وهبت نفسها لرسول الله ﷺ. وكذلك أنها كانت آخر من تزوجها رسول الله – ﷺ– وبها ختمت أمهات المؤمنين. وقد كانت تقيه تصل الرحم فقد قالت عنها أم المؤمنين عائشة:

- إنها والله كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم.

ومما يذكر لميمونة أنها من الحافظات المكثرات لرواية الحديث النبوي الشريف، ولم يسبقها في ذلك سوى السيدة عائشة وأم سلمة.

ولذلك عندما رحلت عن الحياة حزن عليها الجميع وبقيت ذكراها عاطرة في النفوس تجسد صورة رائعة لسيدة من أمهات المؤمنين التي كانت تقيم حد الله، ولا تعرف في حياتها سوى التقوى والتقرب من الله بالخير والثواب.هذه صورة للسيدة ميمونة.. تقواها أنهار وسيول.. وهبت نفسها للرسول.. وردة مضيئة في الحقول.. طيراً اهتدى للعش الأخير.. وسلمت للقدر والمصير.. حلقت روحها مع العابدين.. وعاشت في ظلال الساجدين.. وكانت آخر أمهات المؤمنين.. سيدة القلب الأمين.. دافق بالحب والحنين.

-١٢-

السيدة مارية القبطية

السيدة مارية بنت شمعون المصرية.. وردة من نهر النيل ندية.. نبتت وترعرعت في محافظة المنيا.. انتقلت إلى قصر المقوقس حاكم الإسكندرية.. ونائب الدولة البيزنطية.. في مصر القبطية. عاشت في قصره مثل كل جارية.. وأرسلها المقوقس إلى الرسول هدية.

ولدت السيدة مارية في قرية حفن بمحافظة المنيا بصعيد مصر أهداها الملك المقوقس حاكم الإسكندرية للرسول - ﷺ- وذلك في العام السابع

للهجرة ومعها أختها سيرين بنت شمعون التي تزوجها الشاعر حسان بن ثابت وأنجبت له عبد الرحمن.

تبدأ قصة مارية القبطية، حين كتب الرسول كُتباً إلى ملوك العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام، ومن بين هؤلاء المقوقس التابع للدولة البيزنطية، وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى مصر ودخل على المقوقس الذي قال له بإعجاب شديد:

– إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهودٍ فيه ولا ينهي عن مرغوب فيه ولم أجدهُ بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر.

ثم كتب إلى النبي ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلى محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك.. أما بعد.. فقد قرأت كتابك.. وفهمت ما ذكرت فيه.. وما تدعو إليه. وقد علمت أن نبياً بقي.. وكنت أظن أنه سيخرج من الشام.. وقد أكرمت رسولك.. وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم.. وبكسوة وأهديتُ إليك بغلة لتركبها والسلام عليك.

وبعث المقوقس أيضاً مع مارية وأختها عبداً اسمه مأبور، وألف مثقال ذهب، وعشرين ثوباً ليناً من نسيج مصر، وبغلة شهباء وبعضاً من العسل والعود والمسك.

ودخلت مارية المدينة المنورة بعد أن أسلمت في الطريق مع أختها سيرين، وذلك بعد صلح الحديبية بين الرسول - ﷺ- والمشركين في مكة.

وكانت مارية بيضاء جميلة الوجه، واهتم بها الرسول - ﷺ - اهتماماً بالغاً وهذا ما جعل السيدة عائشة تغار منها وتقول:

- ما غرت من امرأة إلا دون ما غرت من مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة.

وبعد مرور عام أنجبت مارية إبراهيم، وبذلك أصبحت حرة، ولكن كانت حياة إبراهيم قصيرة فقد أصابه المرض قبل أن يكمل عامه الثاني. وتوفي. وقد صادف يوم وفاته كسوفاً للشمس فقال الناس:

- انكسفت الشمس لموت ابن رسول الله - ﷺ.

فخرج الرسول - ﷺ- يصلي بالمسلمين صلاة الكسوف وقال:

- إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا.

عاشت السيدة مارية بعد وفاة رسول الله - ﷺ- خمس سنوات في عزلة عن الناس لا ترى غير أختها سيرين وتتذكر حياتها الصالحة التقية، في ظل الرسول - ﷺ.

ورحلت السيدة مارية القبطية إلى جنات الخلد تهفو روحها إلى السماء بعد حياة فاضلة، في ظل نبي الإسلام وقد حزن عليها الصحابة والمسلمون.. ودفنت إلى جانب نساء أهل البيت النبوي في السادس عشر من محرم.

هكذا كانت حياة وردة النيل الندية التي وهبت حياتها لرسول الله تسانده في كل موقف وقضية وما زال التاريخ الإسلامي يذكرها مع خير البرية.

السيدة مارية بنت شمعون المصرية.. وردة من نهر النيل ندية.. نبتت وترعرعت في محافظة المنيا.. انتقلت إلى قصر المقوقس حاكم الإسكندرية.. ونائب الدولة البيزنطية.. في مصر القبطية.. عاشت في قصره مثل كل جارية.. وأرسلها المقوقس إلى الرسول هدية.

- ١٣ -
زينب الكبرى ابنة رسول الله "ﷺ"

زينب تميزت بجمال آسر.. وقلب مثابر.. وموقف ثائر.. وحنان ساحر.. ودمع دافق وحس خافق.. وروح سمت في علاها.. وعصافير تهادت في هداها.. وحياة أدركت معناها.. وللنفس عزتها وتقواها.

زينب بنت رسول الله – ﷺ– محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشية الهاشمية.. تزوجت من أبي العاص بن الربيع. وأهدتها أمها السيدة خديجة في ليلة عرسها قلادة كانت أثيرة لديها فهي صاحبة القلادة التي انقذت زوجها، وقد أسلمت حين نزل الوحي على أبيها وأصبحت من أفاضل المسلمات.

تعلمت زينب الكبرى من الرسول الله - ﷺ- أصول العقيدة الإسلامية وحفظت القرآن الكريم.. وحصلت العلم.. وسمعت منه الأحاديث.. وعرفت ما يدعو إليه وما يأمر به.. وما ينهى عنه.

وتألقت زينب بعلمها وثقافتها الدينية وتسربت الحكمة إلى عقلها.. وتشربت العقيدة والآداب الإسلامية والشرائع. وعلت روحها.. وتعطرت بالفضائل.. وتزينت الخيرات والصدقات والإيمان العميق.

وحاولت أن تدعو زوجها أبو العاص بن الربيع للإسلام، ولكنه رفض وقال:

- والله ما أبوكِ عندي بمتهم.. وليس أحب إليّ من أن أسلك معكِ ياحبيبة في شعب واحد، ولكن أكرهُ لكِ أن يُقال إن زوجك خذل قومه وكفر بآبائه إرضاء لامرأته.

وحزنت زينب.. المؤمنة المثابرة.. وانتظرت أن يفكر زوجها ويعلن إسلامه، ولكن في غزوة بدر سقط أسيراً بين يدي المسلمين الذين أكرموا الأسرى وتعاملوا معهم برفق ورحمة. وعندما علمت زينب بذلك قررت أن ترسل له الفدية وهي المال والقلادة التي اهدتها لها أمها خديجة ليلة عرسها.

عندما شاهد الرسول القلادة رق قلبه واستشار أصحابه وقال لهم:

- إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا.

فقالوا : نعم يا رسول الله.

وأطلقوا أبا العاص بن الربيع.. وردوا إلى زينب المال والقلادة. وظل أبو العاص على شركه ورفض الدخول في الإسلام.

ومرة أخرى يسقط أبو العاص بن الربيع أسيراً لدى سرية للمسلمين ويسيطرون على تجارته وما يملكه. وتلجأ زينب إلى أبيها أن يرد على أبي العاص ما أُخذ منه. فقال لها الرسول – ﷺ:

– أي بنية.. أكرمي مثواه.. ولا يخلصن إليكِ.. فإنك لا تُحلين له.

ثم قال الرسول – ﷺ لأصحابه:

– إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم.. وقد أصبتم له مالاً.. فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له.. فإنا نحب ذلك.. وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به.

فقالوا جميعاً:

– بل نرده عليه يا رسول الله.

ولا شك أن أبا العاص بن الربيع عندما رُدت إليه أمواله وتجارته كان ذلك تأثيره البالغ من موقف المسلمين الذى تميز بالرحمة واللين والرفق والاحترام .. فأعلن إسلامه واجتمع شمل زينب مع زوجها أبا العاص.

وفي السنة الثامنة من الهجرة ودعت زينب الحياة وحزن زوجها من أجلها، وفارق الحياة بعد أربعة أعوام من رحيلها في خلافة أبي بكر الصديق.

ورحلت زينب ذات الجمال الآسر.. والقلب المثابر.. والموقف الجاسر.. والحنان الساحر.. والدمع الدافق.. والحس الخافق.. روح سمت في علاها.. وعصافير تهادت في سماها.. وحياة أدركت معناها.. وللنفس عزتها وتقواها.

-١٤-

السيدة رقية بنت رسول اللّه "صلى الله عليه وسلم"

السيدة رقية وردة في رياض النبوة.. ظلت دائماً المثل الأعلى والقدوة.. تحلق في سماء الفخر والعزة.. تتحلى بسمات الفضيلة.. والأخلاق الجميلة.. أمها خديجة أم المؤمنين.. وأبوها النبي رسول رب العالمين.

رقية بنت رسول الله – ﷺ- وأمها السيدة خديجة بنت خويلد كانت هي وأختها أم كلثوم، قد خطبتا معاً إلى ولدي أبي لهب عتبة وعتيبة، وذلك قبل أن ينزل الوحي على الرسول ويبدأ في رسالته.

وعندما بدأ الرسول في الدعوة الإسلامية وقفت قريش ضده وواجه حرباً شديدة من قومه. وحين نزل قوله تعالى:

{تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}. (المسد١)

قال أبو لهب لابنيه عُتْبة وعُتَيْبة:

– رأسي من رأسيكما حرام إن لم تُطلِّقا ابنتي محمد.

وقالت أمّهما ابنة حرْب بن أُميّة:

– طلّقاهما فإنهما صَبَأَتا.

وعاشت رقية آمنة في بيت النبوة حتى تزوجها عثمان بن عفان فاشتدت قريش في حربها ضد المسلمين، ولذلك دعاهم الرسول – ﷺ– إلى الهجرة للحبشة، وكان عثمان بن عفان أول من هاجر ومعه زوجته رقية.

وفي الحبشة كانوا يتابعون أخبار الدعوة ودخول رجال أشداء فى الإسلام مثل حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب. ولذلك عاد عثمان بن عفان ورقية إلى مكة والتقيا بالرسول الكريم – ﷺ– ولكن كانت هناك صدمة وفاة والدتها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فعم الجميع في حزن عميق.

وعندما بدأت هجرة المسلمين إلى المدينة بأمر رسول الله – ﷺ– هاجرت رقية مرة أخرى مع زوجها عثمان بن عفان، ولذلك أُطلق عليها لقب ذات الهجرتين.

وفي المدينة أنجبت رقية طفلها عبد الله، ولكن هذا الطفل أصابه حادث أليم حيث نقره ديك في عينيه ومرض ثم مات.

عاشت رقية بعد ذلك تعاني آلام حزن عميق ينهش قلبها فقد واجهت محناً كثيرة، وهاجرت وعانت مرارة الفراق والصدمات الكثيرة حتى ذبل غصن حياتها وتساقطت أوراق الخريف، واشتد عليها المرض وزوجها عثمان بن عفان تترقرق الدموع في عينيه، ويدعو الله لها بالشفاء، وكانت رقية تنظر إليه في أسى وغابت عن الحياة سيدة المحن التي واجهت مشقة الحياة وأحزانها.

ورحلت السيدة رقية ذات الهجرتين زوجة عثمان بن عفان ذي النورين.
ووقف الجميع يبكي رحيلها ويقول رسول الله - ﷺ:
- الحقي بسلفنا.. عثمان بن مظعون.

ومازال التاريخ يسجل صفحات مشرقة لسيرة السيدة رقية، حيث كانت دائماً تتحلى بسمات الفضيلة والأخلاق الكريمة.

وتظل السيدة رقية وردة في رياض النبوة.. المثل الأعلى والقدوة.. تحلق في سماء الفخر والعزة.. تتحلى بسمات الفضيلة.. والأخلاق الجميلة.. أمها خديجة أم المؤمنين وأبوها النبي - رسول رب العالمين.

-١٥-

أم كلثوم ابنة رسول الله " صلى الله عليه وسلم"

أم كلثوم وردة الحسن والجمال.. وسيدة الأدب والكمال.. صاحبة رأي صائب.. وفكر راجح ثاقب.. هاجرت إلى المدينة.. وفي قلبها دموع حزينة.. عاشت صابرة صامدة بين الشعاب.. تشق روحها بحار العذاب.. راضية راغبة في الثواب.

أم كلثوم ابنة رسول الله - ﷺ- وأمها السيدة خديجة بنت خويلد كانت هي وأختها رقية قد خطبتا معاً إلى ولدي أبي لهب عتبة وعتيبة، وذلك قبل أن ينزل الوحي على الرسول - ﷺ- ويبدأ في رسالته.

وعندما بدأ الرسول في الدعوة الإسلامية وقفت قريش ضده، وواجته بحرب شديدة. وحين نزل قوله تعالى:

{تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}. (المسد)

قال أبو لهب لابنيه عُتْبة وعُتَيْبة:

- رأسي من رأسيكما حرام إن لم تُطلِّقا ابنتي محمد.

وقالت أمّهما ابنة حرْب بن أُميّة:

- طلّقاهما فإنهما صَبَأَتا.

أسلمت أم كلثوم مع أمها وأخواتها، وهاجرت إلى المدينة مع رسول الله - ﷺ. وقد عاشت أم كلثوم تجربة أليمة حين قررت قريش مقاطعة المسلمين وبني هاشم، وفرضوا عليهم حصاراً كبيراً في شعب أبي طالب.

وتحملت أم كلثوم عذاب هذا الحصار مع المسلمين لمدة ثلاث سنوات وهي الصامدة في الشعب حتى انجلى الحصار، وعادت إلى مكة.

وكان رحيل أمها السيدة خديجة - رضي الله - عنها صدمة كبرى حيث تحملت أم كلثوم مسئولية البيت النبوي، وحين هاجر النبي - ﷺ- برفقة صاحبه أبي بكر الصديق ظلت أم كلثوم في مكة مع أختها فاطمة.

بعد أن توفيت أختها رقية تزوجها عثمان بن عفان في ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة، ولذلك لقب عثمان بذي النورين وذلك لأنه لم يُعلم أن أحداً أرسل ستراً على ابنتي نبي غيره.

ولهذا الزواج موقف حين شاهد النبي - ﷺ- عثمان بعد وفاة رقية مهموماً حزيناً فقال له:

- مالي أراك مهموماً؟

قال عثمان والحزن يعتصر قلبه:

- يا رسول الله وهل دخل على أحد ما دخل علي ماتت ابنة رسول الله - ﷺ- التي كانت عندي وانقطع ظهري وانقطع الصهر بيني وبينك.

فبينما هو يحاوره إذ قال النبي - ﷺ:

- يا عثمان هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله - عز وجل - أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها.

وعندما تزوجت أم كلثوم من عثمان قال لها:

- إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد.

وكان رسول الله يقول:

- ما زَوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء.

توفيت السيدة أم كلثوم في شعبان سنة تسع من الهجرة وغسلنها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب، وجلس رسول الله - ﷺ- على قبرها ونزل في حفرتها علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد.

ورسول الله - ﷺ- يتلو قوله تعالى: "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى".

ورحلت أم كلثوم وردة الحسن والجمال.. وسيدة الأدب والكمال.. صاحبة رأي صائب وفكر راجح ثاقب.. هاجرت إلى المدينة.. وفي قلبها دموع حزينة.. عاشت صابرة صامدة بين الشعاب.. تشق روحها بحار العذاب.. راضية راغبة في الثواب.

-١٦-

السيدة فاطمة الزهراء

السيدة فاطمة الزهراء.. أشرف النساء في النسب والطهر والنقاء.. سيرتها نور وضياء.. كلامها فاق الشعر والشعراء.. تألقت وتجاوزت حد السماء.. أحبت البشر وفاقت العطاء.. لا تفرقه لا تميز لا استعلاء.. فالعالم كله سواء بسواء.

ولدت فاطمة الزهراء ابنة الرسول - ﷺ- من السيدة خديجة بنت خويلد قبل بناء الكعبة بخمس سنين. وكانت ذات خلق رفيع.. ومكانة عالية في دار النبوة.. فنشأت نشأة صالحة.

تزوجت من ابن عمها الإمام علي بن أبي طالب وهي في التاسعة عشرة من عمرها والإمام علي في الحادية والعشرين، ولم يكن يملك سوى فرسه ودرعه. وأمره الرسول - ﷺ- أن يبيع الدرع لتجهيز السيدة فاطمة.

أجادت الشعر وأتقنت مسائل الفقه والشريعة والتاريخ. وحفظت الحديث النبوي والقرآن الكريم. وتميزت بلطف العبارة وعطفها على الفقراء

وحبها لأهلها وقومها. وقد رزقت من زوجها بالحسن والحسين وأم كلثوم وزينب.

تعلمت السيدة فاطمة الزهراء في بيت الرسول أصول العقيدة الإسلامية والعلاقات الإنسانية بين البشر وكيف انفتح قلبها بالحب والرحمة والخير لكل مسلم ومسلمة وكل إنسان مقيم على الأرض دون تفرقة أو تميز أو استعلاء.

فقد جاءت فاطمة ذات يوم إلى النبي – ﷺ– تسأله خادماً لها فقال:

– قولي اللهم رب السموات ورب العرش العظيم. ربنا ورب كل شيء. منزل التوراة والإنجيل والفرقان. فالق الحب والنوى. أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته. أنت الأول فليس قبلك شيء. وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقضِ عني الدين واغنني عن الفقر.

وهنا توجيهات تربوية أخلاقية حيث تتعلم فاطمة أن تقوم بخدمة نفسها بنفسها دون أن تلجأ إلى الخدم.

وقد شاركت فاطمة الرسول – عليه السلام – في المعارك التي خاضها من أجل نصرة الإسلام والمسلمين فكانت تقوم برعاية الجرحى وإعداد الدواء وتوفير الماء للمسلمين المقاتلين.

ويذكر في تاريخ فاطمة تلك المواقف أثناء الحروب، وذلك عندما انصرف المشركون في معركة أُحد خرج النساء لتقديم العون للمسلمين فكانت فاطمة

في مقدمتهن، ولقيت النبي وجعلت تغسل جراحه بالماء فيزداد الدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق الجرح فاستمسك الدم.

وتعلمت السيدة فاطمة الزهراء الكثير من المواقف والحكم خلال حياتها في بيت الرسول، وأصبحت عقلاً مستنيراً بالعلم ومتوجة بالخلق الرفيع ومزدانة بتعاليم الإسلام.

فكانت خير مرشد للنساء ونموذجا مشرقا للمرأة المسلمة المثقفة يستمع لها الجميع وتنقل لهم مواقفه مع الرسول وخطابه الأبوي التربوي لها، فتنشر الفكر الإسلامي بروح الحرية، وتخاطب عقل المرأة في احترام وتناقش الآراء في وقار وأدب ومودة.

وكان الرسول يثق فيها ويحبها وقال عنها:

– فاطمة بضعة مني.. يريبني ما رابها.. ويؤذيني ما أذاها.

وعندما توفي والدها النبي – ﷺ– وقفت على قبره ترثيه وقالت:

أغبر آفاقُ السماءِ وكورتْ ... شمسُ النهارِ وأظلم العصرانِ
والأرضِ من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليهِ كثيرةُ الأحزانِ
فليبكهِ شرقُ البلادِ وغربُها ... ولتبكهِ مُضرّ وكلُ يمانِ
وليبكهِ الطودُ الأشمُ وجوُهُ ... والبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ
ياخاتم الرُسلِ المبارك ضوءُهُ ... صَلى عليكَ مُنزل القُرآنِ

وعاشت فاطمة بعد أبيها ستة أشهر وهي أول من جعل له النعش في الإسلام قامت بإعداده لها أسماء بنت عميس، وكانت قد رأته يصنع في بلاد الحبشة. وتوفيت ليلة الثلاثاء في شهر رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة ودُفنت بالبقيع ليلاً.

ورحلت الزهراء.. صعدت روحها إلى السماء.. ومازالت من أشرف النساء.. في النسب والطهر والنقاء.. سيرتها نور وضياء.. كلامها فاق الشعر والشعراء.. تألقت وتجاوزت حد السماء.. أحبت البشر وفاقت العطاء.. لا تفرقه لا تميز لا استعلاء.. فالعالم كله سواء بسواء.

-١٧-

صفية بنت عبد المطلب

صفية بنت عبد المطلب.. منارة العلم وراية الجهاد.. الصوت الشعري بين المدن والبلاد.. تعذبت مهاجرة مع العباد.. وفي المعارك بين الجبال والوهاد.. وبين الجرحى يبكي الفؤاد.

تلملم نزيف الشهداء.. وتستلهم شعراً في المجد والرثاء.. لكم روحي أيها المجاهدون بين الوديان والصحراء.. فخضبوا وجه الأرض ببحر الدماء.

صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله – ﷺ– من النساء اللاتي اكتسبن ثقافة عالية.. وعلماً غزيراً.. ومكانة فاضلة.. وشرفاً عظيماً. كانت

أيضاً شاعرة كتبت في أغراض الوصف والرثاء.. وتميزت بالفصاحة .. وحسن البلاغة.. والأدب.

كانت مجاهدة صابرة تدافع عن الإسلام وتحملت مشقة الهجرة وعذاب الرحيل.. وشاركت في موقعة أُحد تبث روح العزيمة والنضال في نفوس المسلمين وتقوم على مداواة الجرحى وخدمتهم.

وعندما انهزم المسلمون حاول الكثير منهم التخلي عن رسول الله - ﷺ- ولكن كانت صفية ذات موقف شجاع حيث دعت إلى وحدة المسلمين والثبات في المعركة.

هناك نماذج وأمثلة كثيرة لمواقف صفية في الشجاعة والجهاد والبطولة، ويقال إنها أول امرأة قتلت رجلاً يهودياً عندما كان يطوف بحصن المسلمين ويتلصص على النساء. وفي يوم خيبر كانت صفية مع المسلمات المجاهدات يقفن مع المسلمين يدافعن معهم، ويداوين الجرحى وينقذن المصابين.

صفية بنت عبد المطلب هي أم الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أحد الستة من أهل الشورى الذين اختارهم عمر ليكون منهم الخليفة بعد موته، والزبير هو زوج أسماء بنت أبي بكر الصديق.

استطاعت صفية هذه السيدة المثقفة والأم الفاضلة أن ترعى بيتها وتشارك الرسول ابن أخيها في جهاده، فكانت تعظ النساء وتناقشهن في أمور حياتهن وتستمد من مواقف الرسول - ﷺ- العظات والعبر.

وأحبت صفية الرسول ووقفت بجواره منذ صغره وساندته في جهاده وتألمت وحزنت لوفاته وقالت هذه الكلمات ترثيه:

عيني جودي بدمعة وسهود ... واندبي خير هالك مفقود
واندبي المصطفى بحزن شديد ... خالط القلب فهو كالمعمود
كدت أقضي الحياة لما أتاه ... قدر خُطّ في كتاب مجيد
فلقد كان بالعباد رءوفاً ... ولهم رحمة وخير رشيد
رضي الله عنه حياً وميتاً ... وجزاه الجنان يوم الخلود

عاشت صفية بنت عبد المطلب قمة عالية في العلم والثقافة والجهاد وقد توفيت في خلافة عمر بن الخطاب. ومازالت ذكراها تحمل صورة رائعة للمرأة المسلمة الصابرة والمجاهدة والتي تضحي بكل شيء، من أجل إعلاء كلمة الحق.

ورحلت أميرة الفداء.. وباكية الشهداء.. صفية بنت عبد المطلب.. منارة العلم.. وراية الجهاد.. الصوت الشعري بين المدن والبلاد..

تعذبت مهاجرة مع العباد.. وفي المعارك بين الفرسان والقواد.. وبين الجرحى يبكي الفؤاد.. تلملم نزيف الشهداء.. وتستلهم شعراً في المجد والرثاء.. لكم روحي أيها المجاهدون بين الوديان والصحراء .. فخضبوا وجه الأرض ببحر الدماء.

-١٨-

أروى بنت عبد المطلب

أروى بنت عبد المطلب بن هاشم.. الصحابية غزيرة المعرفة.. والشاعرة المبدعة.. حباها الله بالنعم.. وتملكت روحها الهمم.. وحفلت أشعارها بالحكم.. عاشت حياتها بالعلم المنير.. بديعة الكلمات.. في المعنى والتصوير.. فصيحة اللسان.. بليغة اللغة والتعبير.

أروى عمة الرسول – ﷺ– ومن أوائل المسلمات وقد دافعت عنه قبيل إسلامها مما يؤكد رجاحة عقلها واهتداء فطرتها الصافية إلى الإسلام. وذلك حين أسلم ابنها وجاء يخبرها بذلك فقالت له:

– إن أحق من آزرت.. وعضدت ابن خالك.. والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه.

فقال لها ابنها:

– فما يمنعك يا أمي من أن تسلمي وتتبعيه فقد أسلم أخوكِ حمزة.

فقالت أروى:

– انظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن.

قال:

– فإني أسألك بالله ألا آتيه، فسلمت عليه وصدقته وشهدتِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وأسلمت أروى.. وحفظت القرآن.. وسمعت الأحاديث وناقشت أمور الدين مع الصحابة والمسلمين. وظلت فى موقفها تدافع عن الرسول - ﷺ - وتدعو الناس إلى الإسلام والإيمان برسالة الرسول الكريم - ﷺ.

وقد تصدت أروى لأعداء الإسلام.. وجهرت بإسلامها في وجوههم جميعاً، ولم تخش أحداً إذ تؤمن إنها مع الله الحق وفي رحاب رسوله.

وجاء إليها أبو لهب غاضباً وقال:

- عجباً لكِ.. ولاتباعك دين محمد..

فقالت له في شجاعة:

- قد كان ذلك.. فقم دون ابن أخيك وأعضده.. فإن يظهر أمره فأنت بالخيار أن تدخل معه أو تكون على دينك.. فإن يصب كنت قد أعذرت في ابن أخيك.

ويظل التاريخ يسجل مواقف أروى التي تدل على عمق تفكيرها.. وانطلاقها إلى نور الحق والخير.. إلى الدين الإسلامي. وكيف دافعت عن الرسالة والفكر الإسلامى قبل أن تسلم وتشجع ولدها على مساندة الرسول وملازمته في كل مكان.

وأروى شاعرة مطبوعة لها في الرثاء قصائد عن أبيها عبد المطلب منها:

بكت عيني وحُق لها البكاء   على سمحٍ سَجِيتهُ الحياءُ

علـــى ســـهل الخلائـــقِ أبطحـــيَّ كـــريمِ الشـــيمِ شـــيمتهُ العـــلاءُ

وتوفيت أروى في السنة الخامسة عشرة للهجرة ورحلت ومازال صوتها الشعري في الآفاق. يرسم صوراً من حياتها الجميلة.. وإسلامها العميق.

هذه السيدة التي حازت على ثقافة عالية.. وحباها الله بالنعم.. وتملكت روحها الهمم وحفلت أشعارها بالحكم.

عاشت غزيرة بالعلم المنير.. بديعة الكلمات.. في المعنى والتصوير.. فصيحة البيان.. بليغة اللغة والتعبير.

-١٩-

ظبية بنت البراء

الصحابية ظبية بنت البراء.. قلب على جناح الريح علا.. وفي آفاق العلم سما... الباحثة دائماً عن منطق ودليل.. فلا شك ولا تأويل.. إذا ناقشت فهي نبع التفسير.. وإذا تحدثت فالكلام أجمل تعبير.. في علم رواية الحديث لها رؤية وإبداع.. بين لغة الحوار والفهم والإقناع.

ظبية بنت البراء الصحابية التي أعلنت إسلامها وانحازت إلى مواكب الصحابيات المسلمات اللاتي خلفن آثاراً عميقة في التاريخ الإسلامي.

تعتبر محدثة بارعة.. وعابدة خاشعة.. تميزت بجمال وجلال.. وفصاحة وذكاء.. وكرم وعطاء. أتقنت رواية الحديث وحفظت القرآن الكريم.. وكانت

تعلم الناس مبادئ العقيدة الإسلامية وتناقشهم في كل ما يعترض حياتهم من مشاكل وقضايا اجتماعية ودينية.

كان لذكائها الحاد وتفكيرها العميق أثر كبير في حفظ أحاديث الرسول - ﷺ- وقد أجادت بصدق وأجابت في عمق وجالت بين الشرح والتفسير في لغة بديعة التعبير وجميلة التصوير فقد كانت تناقش الصحابة والفقهاء في معظم القضايا التي تخص المرأة أو المجتمع الإسلامي.

حياة ظبية بنت البراء تصور لنا المرأة المسلمة المثقفة في أروع مكانة وتجسد لنا المرأة المثالية التي تسعى دائماً إلى البحث والتساؤل، ومحاولة إقصاء الغموض عن كل المفاهيم والمعاني الدينية التي ذكرها القرآن ضمن الآيات والسور الكريمة. فالبحث عن المعنى والتفكر في الطبيعة من أنهار وأشجار ورمال الصحراء كان من سمات هذه الصحابية القديرة التي أسهمت من خلال الحضور الفعلي، لمواجهة افتراءات قريش في عالم الجاهلية والظلمات.

ومن الأحاديث التي روتها ظبية بنت البراء في أحد مواقفها مع الرسول - ﷺ- حين سألته:

- هل علينا معشر النساء جمعة أو جهاد؟

فقال لها الرسول ﷺ:

- ليس عليكن جمعة ولا جهاد.

فقالت ظبية بنت البراء في تشوق ولهفة:

- علمني يا رسول الله تسبيح الجهاد.

فقال لها:

- قولي سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

وكانت ظبية تخرج إلى الجهاد مع قومها وتردد هذا الدعاء الذي تعلمته من رسول الله - ﷺ.

إن ظبية بنت البراء تعد من أهم الصحابيات اللاتي وهبن قلوبهن وحياتهن لنصرة الإسلام، ومساندة رسول الله في مواقفه ضد الكفار.

وحين رحلت ظبية بنت البراء تكدست الغيوم في السماء وهبط على الدنيا ستائر الأحزان. وما زلنا نذكرها حيث سجلت آثارها في ذاكرة التاريخ الإسلامي.

فهي قلب على جناح الريح علا.. وفي آفاق العلم سما.. الباحثة دائماً عن منطق ودليل.. فلا شك ولا تأويل.. إذا ناقشت فهي نبع التفسير.. وإذا تحدثت فالكلام أجمل تعبير. في علم رواية الحديث لها رؤية وإبداع.. بين لغة الحوار والفهم والإقناع.

-٢٠-

بركة بنت ثعلبة "أم أيمن"

أم أيمن المهاجرة على رمال من سعير.. من مكة إلى المدينة بدأت المسير.. وحدها بين رياح الصحراء والهجير.. صائمة ظامئة تبحث عن

غدير.. ضائعة دون دليل أو سمير.. فمن أين الارتواء؟ وإلى أين الانتماء؟ يا سيدة النساء؟

ها هي تشق الريح.. ويهدأ القلب الجريح.. وتمطر السماء.. وينسكب الماء في القلب الظامئ.. يرتوي ويستريح.

أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن.. السيدة الفاضلة التي قامت برعاية النبي - ﷺ- صغيراً وظلت معه بمثابة أمه. وآمنت برسالته وأسلمت وكانت تعرف بالحبشية.

وهي وصيفة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي فلما مات صارت لزوجته آمنة بنت وهب أم النبي فظلّت تُكِنّ لها كل إخلاص ومحبة صادقة.

وسافرت معها ومع ابنها محمد - ﷺ- إلى يثرب لزيارة قبر زوجها عبد اللَّه.. ولما عادوا مرضت أم النبي وماتت فى الطريق. فدفنتها أم أيمن فى مكان يعرف بالأبواء.. وسط الصحراء في الطريق بين مكة والمدينة.

وحملتْ النبي إلى جده عبدالمطلب.. وظلتْ تخدمه وتسهر على راحته حتى تزوج السيدة خديجة بنت خويلد فانتقلت معه إلى منزلها.. وكانت موضع احترامٍ وتقديرٍ منهما. وعندما تقدم إليها عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج للزواج منها تكفلتْ السيدة خديجة بتجهيزها.

وبعد عام من الزواج أنجبت منه ابنها أيمن الذي تُكنى به دائمًا وقد استشهد أيمن في موقعة خيبر. ولما توفي عبيد بن زيد زوج أم أيمن تقدم زيد بن حارثة للزواج بالسيدة أم أيمن وزاد من رغبته فيها قول الرسول – ﷺ:

– من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة.. فليتزوج أم أيمن، فولدتْ له "أُسامة بن زيد" حِبّ رسول اللَّه.

أم أيمن من المؤمنات المجاهدات اللاتى شاركن فى المعارك الإسلامية مع رسول الله فقد شهدت أُحدًا.. وكانت تسقي المسلمين.. وتداوي الجَرْحَى.. وشهدت غزوة خيبر. وروت أم أيمن بعضًا من أحاديث رسول الله. وعُرف عنها العبادة والتقوى والحكمة والقول الطيب والقلب الرحيم.

تعلمت من النبي – ﷺ– وكانت لها بعض الآراء والأفكار تعظ النساء من حولها وتردد أحاديث الرسول – ﷺ– وتخاف عليه وتظل أبداً ملازمة له.

فهي إحدى المهاجرات الأُوَل.. كان رسول اللَّه يناديها: "يا أمة" وكان إذا نظر إليها يقول:

– "هذه بقية أهل بيتي.."

وكان النبي يزورها دائمًا.. ويكرمها.. ويقول عنها: "أم أيمن أمي من بعد أمي.. وكانت هي سعيدة بهذا الأمر.. وتعيشه كأنه حقيقة.. فكانت تحنو عليه حنان الأم على ابنها وتخشى عليه خشيتها.. وتغضب أحيانًا عليه كما تغضب الأم.

فعن أنس قال:

– انطلق بنا رسول الله إلى أم أيمن.. فانطلقت معه.. فناولته إناءً فيه شراب.

قال: فلا أدري أصادفته صائمًا أو لم يُرِدْه.. فجعلت تصخب عليه تصرخ فيه وتذمر عليه، وما كانت لتفعل ذلك مع رسول الله إلا وهو يعلم أنه بمثابة الابن فهي قد حضنته وربته.

أم أيمن أحاطت رسول الله بحبها ورعايتها.. وكانت أمّه صغيراً وكبيراً.. فأكرمها اللَّه بفضله.. وجزاها خيراً على جميلها.. وحفظها كما حفظت النبي.

أم أيمن تروي لنا قصة هجرتها إلى المدينة.. ومدى حماية الله تعالى لها.. فتقول:

– خرجتُ مهاجرة من مكة إلى المدينة.. وأنا ماشية على رجلي.. وليس معي زاد.. فعطشتُ وكنتُ صائمة.. فأجهدني العطش.

فلما غابت الشمس إذا بإناء تعلّق عند رأسي مُدَلًّى برشاء (أي حبل أبيض)، فدنا مني حتى إذا كان بحيث استمكن منه.. تناولته فشربتُ منه.. حتى رَويت.. فكنتُ بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس.. كي أعطش فما عطشتُ بعدها.

لما توفي النبي – ﷺ– قال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب:

– انطلقْ بنا نزْر أم أيمن.. كما كان رسول اللَّه يزورها.

فلما دخلا عليها بكت. فقالا:

- ما يبكيك.. فما عند اللّه خيراً لرسوله؟

قالت:

- أَبْكِي أنّ وحْي السماء انقطع.

فهيَّجتهما على البكاء. فجعلتْ تبكي ويبكيان معها. وتوفيت في آخر خلافة عثمان بن عفان، ودفنت بالمدينة بعد أن تجاوزت التسعين من عمرها.

وهكذا كانت أم أيمن تتعذب لتجاهد وتتألم لتكافح.. وتعاني لتقاوم من أجل إسلامها وعقيدتها وحياتها في الدنيا وفي الآخرة.

أم أيمن المهاجرة على رمال من سعير.. من مكة إلى المدينة بدأت المسير.. وحدها بين رياح الصحراء والهجير.. صائمة ظامئة تبحث عن غدير.. ضائعة دون دليل أو سمير.. فمن أين الارتواء؟ وإلى أين الانتماء؟ يا سيدة النساء؟

وتنشق الريح.. يهدأ القلب الجريح.. وتمطر السماء.. وينسكب الماء في القلب الظامئ يرتوي ويستريح.

-٢١-

ثويبة الأسلمية

ثويبة الأسلمية احتضنت اليتيم.. وعانقت بشائر النعيم.. تحتويه في خوف ورجاء.. وتتأمل كيف تتلون الأشياء.. وتضحك الأعشاب في الصباح والمساء.. وتغرد الطيور.. ويخفق قلبها الحنون الصبور.

ثويبة الأسلمية أول مرضعة للرسول – ﷺ– بعد وفاة أمه آمنة بنت وهب، وقبل أن ترضعه السيدة حليمة السعدية فقد احتضنت ثويبة الطفل اليتيم، وأغدقت عليه من نهر حنانها ومن فيض أمومتها وعاش معها أكثر من أربعة شهور ترعاه وتخاف عليه من كل شيء حتى ترده إلى أهله وهو في أفضل صحة وحال.

وثويبة كانت جارية أبي لهب وقد أسلمت حين بدأ الرسول – ﷺ – رسالته. ورغم الفترة القليلة التي عاشها الطفل الصغير في أحضان ثويبة إلا أنها تركت أثراً في حياة الرسول – ﷺ– حيث كان يعبر عن احترامه الكبير لأمه ثويبة وكل أمهاته من الرضاعة.

وعاشت ثويبة حياة كريمة في ظل الإسلام، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتني بها ويكرمها ويبعث لها بالهدايا، ويسأل عنها ويمنحها مكانة سامية بين الناس والصحابة.

وكذلك اهتمت السيدة خديجة بحياة ثويبة حتى أنها سألت أبا لهب أن يعتقها ويحررها، وقد أعتقها بعد أن هاجر رسول الله – ﷺ– إلى المدينة، وأصبحت بذلك ثويبة سيدة لها حياتها الكريمة واحترامها الكبير بين النساء.

كانت ثويبة الأسلمية من النماذج النسائية التي تجسد فيها معاني الحب ويخفق قلبها بالرحمة والمودة، فظلت المؤمنة التي تخاف على حياة الرسول –

ﷺ- فتسأل الصحابة عنه وتستفسر عن أحواله حتى يطمئن قلبها الرقيق ومشاعرها الحنونة، وهي الآن فخورة تموج مشاعرها بآيات من الرضى والاعتزاز والإيمان العميق بالرسول - ﷺ- ورسالته.

ورحلت ثويبة عن الحياة بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة حيث أوصى الرسول - ﷺ- علي بن أبي طالب أن يدعو اليهود إلى الإسلام وقد حزن الرسول - ﷺ- لوفاة ثويبة الأسلمية أول امرأة أرضعته عندما كان طفلاً. وهكذا مضت نهر الحب والحنان وظلت ذكراها تفوح عبر العصور بشذاها وتتألق صور من حياتها تعبر عن مواقفها وفضائلها التي ما زالت خالدة في تاريخ البشر.

ومازلنا نذكر كيف احتضنت ثويبة الأسلمية اليتيم.. وعانقت بشائرالنعيم.. تحتويه في خوف ورجاء.. وتتأمل كيف تتلون الأشياء.. وتضحك الأعشاب في الصباح والمساء.. وتغرد الطيور.. ويخفق قلبها الحنون الصبور.

-٢٢-

حليمة السعدية

حليمة السعدية الأم الحنونة الصبورة.. احتوت الطفل اليتيم في قلبها أسطورة.. وأشرق عليها بفيض نوره.. عاشت في أمان دون حدود.. في ظلال الحب والوجود.. تحولت حياتها إلى بذل وعطاء.. وبيتها بالأمل استضاء.

حليمة السعدية بنت أبي ذئيب عبد الله بن الحارس بن سعد.. زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ومن أبنائها عبد الله وأنيسة وحذافة التي عرفت باسم الشيماء.

وتعتبر من أمهات النبي – ﷺ- في الرضاع وكانت من المرضعات اللاتي يأتين إلى مكة من البادية ويبحثن عن أطفال ويفضلن من كان أبوه حياً ليغدق عليهن بالعطاء والكرم.

وتقص علينا حليمة السعدية قصتها مع الطفل اليتيم محمد وتقول:

قدمنا مكة وقد رفضنا النساء هذا الطفل، لأنه يتيم الأب وقلت لزوجي إني أكره أن أرجع وليس معي رضيع فأخذت ذلك اليتيم.

وقد شعرت حليمة في وجود هذا الطفل اليتيم أن حلت عليها البركة والخير الوفير والرزق الكثير وأحبته حباً ملك عليها مشاعر الأمومة الصادقة.

قامت حليمة السعدية على رعاية النبي – ﷺ- في مهده لا تفارق عيناها محياه أبداً وتخشى عليه من البرد والريح وتحتويه دائماً في صدرها وتفيض روحها بمشاعر الرقة والحنان، فكانت خير الأم الرحيمة والقلب العطوف، حتى أنها كانت تحزن كثيراً حين كان يعود إلى أهله وبعد سنوات بعد أن تزوج رسول الله – ﷺ- جاءت حليمة السعدية تشكو جدب الأرض وحياتها الفقيرة فاستقبلها الرسول – ﷺ- باحترام وتقدير وحب عميق وجلس معها يتفقد أحوالها ويعطف عليها وتحدث مع خديجة فقامت وأعطت لها أربعين شاة.

وعندما بدأت الدعوة الإسلامية أسلمت حليمة مع زوجها وذهبت لزيارة النبي – ﷺ– يوم معركة حنين وحين شاهدها قام على الفور وبسط لها رداءه لتجلس عليه.

وظلت حليمة خلال حياتها في رعاية رسول الله – ﷺ– يسأل عنها دائماً، ويبعث لها العطايا والهبات ويذكرها في مجلسه بين الصحابة والرجال فهي الأم التي احتوته طفلاً يتيماً ونشأ في بيتها البسيط لا تفرق بينه وبين أبنائها.

وعندما رحلت حليمة السعدية دعى الرسول – ﷺ– لها بالرحمة والمغفرة وحزن حزناً شديداً لفراقها فقد كانت دائماً نهراً من الحنان وشمساً دافئة في ليالي الشتاء وأمومة صادقة وقلباً يضيء بأجمل معاني الحب والوفاء.

هذه هي حليمة السعدية الأم الحنونة الصبورة.. احتوت الطفل اليتيم في قلبها أسطورة.. وأشرق عليها بفيض نوره.. عاشت في أمان دون حدود.. في ظلال الحب والوجود.. تحولت حياتها إلى بذل وعطاء.. وبيتها بالأمل استضاء.

-٢٣-
الشيماء

الشيماء الوجه الصبوح في المراعي والصحراء.. أخت الرسول –ﷺ– نبع الحب والوفاء.. مازالت نباتات الكون تردد الغناء.. ها هنا كبر اليتيم تعانقه

السماء.. يركض في واحات من نخيل وماء.. تلاحقه الشيماء.. بين خوف ورجاء.

الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدية أخت النبي من الرضاعة واسمها الحقيقي حذافة، ولكنها اشتهرت باسم الشيماء.

والشيماء ابنة حليمة السعدية هذه الأم الحنونة طيبة القلب التي سعت إلى البحث عن أطفال رضع وعادت وعلى صدرها محمد اليتيم ليحيي بين أخواته من الرضاعه وهم: عبد الله. وأنيسة. وحذيفة بنو الحارث. وحذافة وهي الشيماء.

عاش الرسول – ﷺ – في بيت حليمة السعدية يتمتع بالحب والحنان وترعاه أيضاً الشيماء، ويلهو مع أخواته في المراعي وفوق رمال الصحراء.

كانت الشيماء تخاف عليه وتداعبه بحبها وتركض وراءه في المراعي، وحين يشتد لهيب الصحراء تحمله وتظلل عليه خوفاً من حرارة الشمس.. وأحياناً تحمله إذا طال الطريق وتضمه إلى صدرها في حب عميق.

وحين تتعب الشيماء تجلس معه تحت ظل الشجرة وتغني له:

يا ربنا أبق لنا محمداً
حتى أراه يافعاً وأمردا
ثم أراه سيداً مسوّداً
واكبت أعاديه معاً والحُسَّدا

وأعطـــه عـــزاً يـــدوم أبـــداً

وتمضي السنوات ويتزوج النبي - ﷺ- من السيدة خديجة، وتبدأ الدعوة الإسلامية وانفتحت الحصون وانهارت السدود أمام نور الإسلام.

وفي أحد المواقع الحربية في هوازن انتصر المسلمون وعادوا بكثير من الأسرى، وكانت من بينهم الشيماء. وتوجهت الشيماء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالت له:

- يا رسول الله إني لأختك من الرضاعة.

قال مستفسراً:

- وما علامة ذلك؟

قالت الشيماء:

- عضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك.

وتذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أيام المراعي وظل الشجرة والغناء العذب والطفولة البريئة. وعرف العلامة وبسط لها ردائه ثم قال لها:

- ها هنا.

فأجلسها عليه وخيرها وقال:

- إن أحببتِ فأقيمي عندي محببة مكرمة.. وإن أحببتِ أن أمتعكِ فأرجعي إلى قومك.

فقالت:

- ألا تمتعني وتردني إلى قومي.

فأمر الرسول - ﷺ- أن تُكرم وترحل في أمان إلى قومها، ويقال إنها أسلمت في نفس السنة.. وقد توفيت بعد السنة الثامنة من الهجرة.

ورحلت الشيماء التي احتضنت الرسول طفلاً وتداعبه بالحب والحنان والرحمة. الشيماء الوجه الصبوح في المراعي والصحراء.. أخت الرسول - ﷺ - نبع الحب والوفاء.. مازالت نباتات الكون تردد الغناء.. هاهنا كبر اليتيم تعانقه السماء.. يركض في واحات من نخيل وماء.. تلاحقه الشيماء بين خوف ورجاء.

-٢٤-
درّة بنت أبي لهب الهاشمية

درَّة بنت أبي لهب الهاشمية.. الهاربة من جحيم الجاهلية.. إلى نور الله والعقيدة الإسلامية.. عاشت تجاهد لتمحو ماضٍ أليم.. صور وذكريات تمزق قلبها الرحيم.. تحلم أن تظل في إسلامها عابدة.. تدعو الله قائمة ساجدة.

تزوجت في الجاهلية من الحارث بن نوفل بن عبد المطلب وأنجبت عقبة والوليد وأبا مسلم، ولكن زوجها الحارث قُتل في معركة بدر.

وعنـدما تسـرب الإيمـان إلى قلبهـا وأضـاء روحهـا تفكـرت وتـدبرت في الوجود أيقنت بدعوة الرسول - ﷺ- وأصبحت من الصحابيات اللواتي لهن قـدر كبير بـين المسـلمين جميعاً وتزوجهـا الصـحابي دحيـة بـن خليفـة بـن فـروة الكلبي الذي كان جبريل يأتي في صورته.

لقـد رفضـت درة بنـت أبي لهـب بيئـة الجهالـة وعنـف الصـحراء وعبـادة الأصنام وتهادت في عالم من الرفق بالإنسان والكون الممزوج بالعدل والرحمة والأمان، وأعلنت إسلامها دون خوف من أهلها المشركين.

تعلمـت درة مـن أحاديـث الرسـول مبـادئ الحـب والسـلام وقـيم الإسـلام والمثل العليا، وفاضت آيات القرآن الكريم تحلق بروحها في مستويات عالية من الإيمان. والتقت بأم المؤمنين عائشة ونهلت كثيراً من أحاديثها ونصائحها في العلم والفقه ورجاحة عقلها.

هـاجرت درة مـن مكـة إلى المدينـة مـع المهـاجرين وواجهـت مشـقة الجهـاد والمثابرة في وجه الأزمات واضطهاد اليهود للمسلمين.

وعكفـت درة علـى العبـادة وتلقـي العلـم مـن الصـحابة والصـحابيات، ولكـن في يوم مـا أصابها الحزن والألم فذهبت إلى الرسـول - ﷺ - وقالـت في أسى:

- يا رسول اللَّه. إنّ الناس يصيحون بي ويقولون أنت بنت حطب النار لا تغني عنك هجرتك، أنت بنت حطب النار.

وصعد الرسول الكريم - ﷺ- على المنبر وقال:

- ما بال رجال يؤذوني في أهل بيتي، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتّى يحبّني ولا يحبّني حتّى يحبّ فيَّ ذريّتي. فما لي أوذي؟

قالوا:

- نعوذ باللّه من غضب اللّه وغضب رسوله.

وكان الناس يذكرون موقف عائلة درة حين وقف أبويها ضد الإسلام، فقد كان أبو لهب يتحدى الدعوة ويواجه الرسول بالشر والهمجية، وأما أمها أم جميل حمالة الحطب امرأة أبي لهب نموذج للشر والحقد والكراهية، تقوم بوضع الشوك والحجارة في طريق الرسول - ﷺ.

وكذلك عتيبة وعتبة أخواها فقد انفصلا عن أم كلثوم ورقية، حين بدأت الدعوة الإسلامية.

ورحلت درة بنت أبي لهب أثناء خلافة عمر بن الخطاب بعد رحلة حياة حافلة بالعطاء والإيمان العميق.. وظلت دائماً السيدة الفاضلة تنهل من علوم القرآن وأحاديث الرسول - ﷺ.

هذه صورة بسيطة ولمحات قصيرة عن الصحابية درَّة بنت أبي لهب الهاشمية الهاربة من جحيم الجاهلية.. إلى نور الله والعقيدة الإسلامية.. عاشت تجاهد لتمحو ماضٍ أليم.. صور وذكريات تمزق قلبها الرحيم.. تحلم أن تظل في إسلامها عابدة.. تدعو الله قائمة ساجدة.

-٢٥-

أسماء بنت أبي بكر

أسماء بنت أبي بكر.. رمز التضحية والعز والفخر.. سيدة الجهاد والحق والدين أم عبد الله القرشية ذات النطاقين.. المجاهدة المحلقة بجناحين.. من نور ونهر حنين. والدة الخليفة عبدالله بن الزبير.. وأخت أم المؤمنين عائشة.. وآخر المهاجرات وفاةً. روت عدة أحاديث وعمرت دهراً.. وتُعرف بذات النطاقين. وكانت أسن من عائشة بعشر سنين.. هاجرت حاملاً بعبدالله:

وشهدت اليرموك مع ابنها وزوجها الزبير وهي.. وأبوها.. وجدها.. وابنها ابن الزبير. أربعتهم صحابة كرام.

وتقص علينا أسماء بعض مواقفها مع الرسول - ﷺ- فتقول:

- صنعت سفرة النبي - ﷺ- في بيت أبي حين أراد أن يهاجر فلم أجد لسفرته ولا لسقائه ما أربطهما فقلت لأبي:

- ما أجد إلا نطاقي.

قال:

- شقيه اثنين فأربطي بهما.

قالت:

- فلذلك سُميت ذات النطاقين.

لما توجه النبي – ﷺ– من مكة حمل أبي بكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف. فأتاني جدي أبو قحافة وقد عمي فقال:

– إن هذا قد فجعكم بماله ونفسه فقلت:

– كلا. قد ترك لنا خيراً كثيراً. فعمدت إلى أحجار فجعلتهن في كوة البيت وغطيت عليها بثوب، ثم أخذت بيده ووضعتها على الثوب فقلت هذا تركه لنا فقال:

– أما إذ ترك لكم هذا فنعم.

قالت:

– تزوجني الزبير وماله شيء غير فرسه. فكنت أسوسه وأعلفه وأدق لناضحه النوى وأستقي وأعجن، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله – ﷺ– على رأسي (وهي على ثلثي فرسخ)، فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله – ﷺ– ومعه نفر فدعاني فقال:

– إخّ . إخّ ليحملني خلفه فاستحييت وذكرت الزبير وغيرته. فمضى. فلما أتيت أخبرت الزبير فقال:

– والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه. حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني. قالت أسماء:

– يا رسول الله. إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟

قال:

– نعم صلي أمك.

ومن موقفها مع الحجاج أنه قال لها:

– ان ابنك ألحد في هذا البيت وإن الله أذاقه من عذاب أليم.

قالت:

– كذبت.. كان براً بوالدته صواماً.. قواماً، ولكن قد أخبرنا رسول الله – ﷺ– أنه: سيخرج من ثقيف كذابان. الآخر منهما شر من الأول.

وتوفيت وقد بلغت من العمر مائة سنة بعد رحلة جهاد وكفاح مع المسلمين.

ومازالت أسماء بنت أبي بكر.. رمز التضحية والعز والفخر.. سيدة الجهاد والحق والدين.. أم عبد الله القرشية ذات النطاقين.. المجاهدة المحلقة بجناحين.. من نور ونهر حنين.

-٢٦-

السيدة زينب (بنت على بن أبي طالب)

السيدة زينب.. وردة الحزن العميق.. والدمع الرقي.. وشجر الأسى في العراء.. ونفحات الوجد المخضب بالدماء.. والدمع النازف حسرة وبلاء.. والقلب المحترق قهراً في ليلة كربلاء.

فما أقساه من ألم وشقاء!! فمن يمنح القلب سلواه؟ من يقدم العزاء؟

فما الدمع.. وما الأسى.. سوى ملامح وجهها البريء.. وقلبها الطاهر الفياض بدعوات الفجر وأمسيات التسابيح والحمد لله رغم المأساة.

السيدة زينب ابنة الإمام علي بن أبي طالب.. شقيقة الحسن والحسين عليهما السلام.. وأمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله – ﷺ.

السيدة زينب نفحة روحية.. ونبتة نقية وشجرة خضراء ترعرعت في بيت كريم، حيث تفقهت في علوم الدين وتعلمت مبادئ الدعوة الإسلامية وتهذبت بالقيم العليا ونضجت على قراءة القرآن وأحاديث الرسول الكريم – ﷺ.

اكتسبت قدراً من الفصاحة في الحديث والبلاغة في التعبير والتعمق في أمور الدنيا والدين.. وتأمل أحوال البشر.. والتعلم من المواقف الحكم والعبر.

كانت أيضاً على معرفة بالشعر وأخبار العرب فكان لحديثها طرافة ولكلامها طلاقة ولنبض قلبها مشاعر شفافة خافقة بالحب والحنين لكل من حولها من أمهات المسلمين.

عاصرت تجربة كربلاء وأذهلتها الصدمة الرهيبة فأضاف لها ذلك بعداً إنسانياً للموت والحياة ومصارع الإنسان. وفي ليلة اغتيال أخيها الحسين أخرجت رأسها من الخباء وصرخت في حزن وألم وقالت هذه الأبيات:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بِعَتْرتي وأهلي بعد فرقتكم
منهم أُساري ومنهم خُضبوا بدمِ

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تخلفــوني بســوء في ذوي رحمــي

كانت السيدة زينب جزعة ليلة كربلاء.. تهمى الدموع من أجفانها محترقة.. والحروف على شفتاها مضطربة.. والمحنة تغتال قلبها.. تمزق روحها.. ورغم ذلك وقفت أمام الناس تتحدث في لغة جزلة مؤثرة وتقول:

- يا أهل كوفة الختل.. والخذل.. أتبكون فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة.. إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم آلا وإن فيكم الصلف والضعف وداء الصدر الشنف.

وتبكي السيدة زينب محنتها.. وهذا الكرب الذي ساد الأمة الإسلامية فتقول باكية:

- فابكوا كثيراً.. وأضحكوا قليلاً فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن تدحضوها بغسل أبداً وإنما تدحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم ومنار محجتكم وسيد شباب أهل الجنة.

ويلكم يا أهل الكوفة.. ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم.. أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

وظلت السيدة زينب تندب رحيل الحسين الذي سُفكت دماؤه في كربلاء وتصيح في حزن عميق:

- وامحمداه.. صلى عليك ملائكة السماء.. هذا الحسين بالعراء مزمل بالدماء.. مقطع الأعضاء.. وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا فأبكت كل عدو وصديق.

السيدة زينب عاشقة الحزن والقلب المنفطر والنفس التي أضناها الكرب والمأساة في كربلاء.

وشاهدت الحسين صريعاً ويقول قبيل موته:

يا دهر أفٍ لك من خليل
كم لك بالشريف والأصيل
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيل
والدهر لا يُقنع بالبديلِ
وإنما الأمر إلى الجليلِ
وكل هالك سالك السبيلِ

وعندما سمعت السيدة زينب كلمات الحسين صاحت:

- واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة.

إنها عاشقة الحزن والدمع الذي يلهب الوجنات ويحرق القلب لفراق الأحبة والجزع للمصاب الأليم. رحلت عن الحياة بعد رحلة فجيعة ومأساة مازالت تخضب تاريخ الإسلام بالحزن والدمع الغزير. فمازال التاريخ يبكي لمذبحة كربلاء ومازال متدفقاً نزيف الدماء فوق خارطة العالم الإسلامي.

تلك هي الطاهرة السيدة زينب.. وردة الحزن العميق.. والدمع الرقيق.. وشجر الأسى في العراء.. ونفحات الوجد المخضب بالدماء.. والدمع النازف حسرة وبلاء.. والقلب المحترق قهراً في ليلة كربلاء. فما أقساه من ألم وشقاء!!

فمن يمنح القلب سلواه؟.. من يقدم العزاء؟

-٢٧-

سبيعة بنت الحارث

سبيعة بنت الحارث الأسلمية.. سيدة الفكر العميق.. والفهم الدقيق.. والتدبر في كل قضية.. بالقرآن والسنة المحمدية.. عاشت في زهد وجهاد.. تسبح رب العباد.. لها من الأحاديث ماروت.. تنهل من فيض وما ارتوت. أشرق قلبها بنور الإسلام ووهبت روحها للدعوة الإسلامية تعاهد الله والرسول – عليه السلام – على نصرة الحق ومقاومة أهل الشرك والدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد. فكانت تستمع إلى أحاديث الرسول – ﷺ– وتتعلم كثيراً عن عقائد الدين الإسلامي.

سبيعة بنت الحارث الأسلمية صحابية استطاعت أن تتفقه في الدين وتثري عقلها بالقضايا الاجتماعية، ولا سيما قضايا المرأة في الحياة. وكانت تروي الحديث حتى أصبح لها تلاميذ منهم فقهاء أهل المدينة.. وأهل الكوفة من التابعين.

وبذلك حققت هذه الصحابية مكانة عالية بين أهل الفكر والفقهاء ومن مروياتها عن رسول الله – ﷺ – أنه قال:

– من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت. فإنه لا يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة.

أشهر ما عرفت به سبيعة هو قصتها مع عدة المرأة الحامل إذا توفي زوج المرأة وهي حبلى. فما عدة المرأة الحامل؟. هل تعتد بأربعة أشهر وعشر؟.. أم تعتد بوضع الحمل؟

كانت سبيعة قد تزوجت من سعد بن خولة وتوفي عنها وهي حامل وبعد أن ولدت تقدم إلى الزواج منها رجلان أحدهما هو أبو السنابل بن بعكك فرفضته، لأنها قد وافقت على الرجل الآخر فقال لها أبو السنابل:

– والله ما يصلح أن تنكحيه حتى تعتدي آخر الأجلين.

فمكثت قريباً من عشر ليال. ثم جاءت إلى النبي – ﷺ – تستفسر منه عن هذه القضية متى يحق للمرأة الحامل أن تتزوج، لأن أبا السنابل أفتى لها بعدم شرعية زواجها حتى تُوفي عدتها فقال لها الرسول – ﷺ –:

– كذب أبو السنابل قد حللت فانكحي من شئت.

ومعنى هذا أن الرسول – ﷺ – قد أفتى بأن عدة المتوفي عنها زوجها وهي حبلى أن تضع مولودها.

ورحلت سبيعة بنت الحارث بعد حياة عاشتها في ورع وإيمان تحلق روحها دائماً في جنبات الكون تسبح بحمد الله.

وظلت دائماً سيدة الفكر العميق.. والفهم الدقيق.. والتدبر في كل قضية.. بالقرآن والسنة المحمدية.. عاشت في زهد وجهاد.. تسبح رب العباد.. لها من الأحاديث ماروت.. تنهل من فيض وما ارتوت.

-٢٨-

أم كلثوم بنت عقبة بن معيط

أم كلثوم الصحابية المهاجرة في الخفاء.. وحيدة فوق رمال الصحراء.. تصاحبها الشموس وتصادقها الأنواء.. فلا رفيق ولا صديق في رحلة الشقاء.. وهبت روحها لرب السماء.. وهاجرت بين مشاعر الخوف والرجاء.

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي. كان والدها أحد رجال قريش الأثرياء وقد مات قبل أن يسلم. وأم كلثوم شقيقة عثمان بن عفان لأمه أروى بنت كريز.

عاشت أم كلثوم في مكة وانفتح قلبها للدعوة الإسلامية وتعتبر أول من هاجر إلى المدينة بعد هجرة الرسول – ﷺ – وكان ذلك بعد معاهدة صلح الحديبية.

وقصة هجرتها مشهورة في التاريخ الإسلامي فقد واجهت مشقة جسيمة، حيث خرجت مهاجرة وحيدة تواجه الصحراء دون أن يكون معها

رفيق، ولكن كانت عناية الله تصاحبها في كل خطوة، حيث اجتازت مسافة طويلة على قدميها من مكة إلى المدينة فكانت المهاجرة في الصحراء من أجل الله ورسوله

لم تكن تعلم أم كلثوم أن أخويها الوليد وعمار قد أسرعا خلفها لمنعها من الهجرة، ولذلك ذهبا إلى الرسول – ﷺ– ليأذن لهما ويتسلما أم كلثوم طبقاً لشروط صلح الحديبية.

وتقف أم كلثوم في شجاعة تدافع عن ذاتها وإسلامها وتقول للرسول ﷺ:

– يا رسول الله: أنا امرأة.. وحال النساء إلى الضعف ما قد علمت.. أتردني إلى الكفار يفتنونني في ديني ولا صبر لي.

وهنا أنزل الله تعالى فيها وفي مثل حالها من النساء سورة الممتحنة:

"يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن" (الممتحنة –١٠).

وقال لهما الرسول – ﷺ:

– قد أبطل الله العهد في النساء بما قد علمتا.

وهكذا لم ترجع أم كلثوم إليهما وعاشت في حياة الإسلام كريمة ذات عزة وكبرياء يحترمها الصحابة ويقدرها المسلمون.

تزوجت أم كلثوم شخصيات من الصحابة لهم مكانة كبيرة في الإسلام، فكان الزوج الأول زيد بن حارثة وقد استشهد في معركة مؤتة.

وبعد ذلك تزوجت الزبير بن العوام وأنجبت منه زينب، ولكن لم تستمر الحياة بينهما وطلقها. وفي المرة الثالثة تزوجت عبد الرحمن بن عوف وأنجبت منه إبراهيم وحميداً وإسماعيل. وبعد أن توفي زوجها عبد الرحمن بن عوف تقدم إليها عمرو بن العاص ليصبح الزوج الرابع والأخير، لأنها توفيت بعد شهر من زواجه منها.

عاشت أم كلثوم حياة فاضلة بين الجهاد والعبادة ورعاية أسرتها والمساهمة مع المسلمين في رعاية الفقراء والمحتاجين.. ولا شك أنها قد تعلمت الكثير من أحاديث الرسول – ﷺ– وكذلك من خلال حياتها مع أزواجها الصحابة.

وحين رحلت أم كلثوم تمزقت القلوب من أجلها وتدفقت الدموع في قلب الصحراء.. وظل الجميع يذكرها بالمهاجرة التي هاجرت في سبيل الله ورسوله – ﷺ– هذه الممتحنة التي اجتازت الصعاب وصدقت مع نفسها وعاشت كريمة في حياتها تمنح الحب لكل من حولها.

هذه المهاجرة في الخفاء.. وحيدة فوق رمال الصحراء.. تصاحبها الشموس وتصادقها الأنواء.. فلا رفيق ولا صديق في رحلة الشقاء.. وهبت روحها لرب السماء.. وهاجرت بين مشاعر الخوف والرجاء.

-٢٩-

فاطمة بنت قيس

فاطمة بنت قيس.. فقيهة فاضلة رائعة.. وراوية صادقة مبدعة.. ذات رأي صائب وفكر ثاقب.. وذكاء غالب.. وكمال باهر.. وجمال آسر.. وكلام ساحر.. ثرية الفكر والخاطر.. واجهت المشقة والمخاطر.. وآمنت وهاجرت وتحدت الكفار.. وساهمت في الآراء والأفكار.. تعلمت لغة القرآن وفن الحوار.. فأشرق في عينيها النهار.. وتغنت بفضائلها حمائم وأطيار.

فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة صحابية جليلة من الذين سارعوا إلى الإيمان برسالة الرسول - ﷺ- وهاجرت مع المسلمين، وتحملت المشقة والعذاب في صبر وجلد.

حفظت القرآن الكريم وأحبت العلم وجلست تستمع إلى علماء الصحابة ورجال الإسلام. وتعلمت من الرسول - ﷺ- وعاشت حياتها بين العبادة والتصدق على الفقراء، ومساعدة الناس والتعبير عن رأيها في بعض القضايا الفقهية.

كانت دائماً تستشير النبي - ﷺ- في كل ما يواجهها في حياتها من مشاكل أو مواقف. وذلك عندما طلقها زوجها حفص بن المغيرة تقدم إلى خطبتها معاوية وأبو جهم بن حذيفة فذهبت إلى النبي تخبره بذلك لتعرف رأيه.

فقال لها النبي ﷺ:

- أما معاوية فصعلوك.. لا مال له.. وأما أبو حذيفة فلا يضع عصاه عن عاتقه.

ثم أشار عليها بأسامة بن زيد فتزوجته وعاشت معه حياة كريمة، حيث تميز بالخلق الكريم والفهم الدقيق والصدق العميق. فتلاقت معه وعاشا معاً حياة جميلة في ظل الحياة الإسلامية الحافلة بالعبادة والدفاع عن الدين والمشاركة في الجهاد.

عرف الناس فاطمة بنت قيس والتفوا حولها يستمعون إليها وهي تعظهم وتروي لهم بعض أحاديث الرسول - ﷺ- وتتحدث من القرآن وتفسر بعض المعاني وتشرح بعض المواقف وتيسر للعامة المفاهيم القرآنية.

لذلك تعتبر فاطمة بنت قيس من رواة الحديث، وقد روى عنها مجموعة من الصحابة الذين اهتموا بها اهتماماً كبيراً لإيمانها الكبير وعلمها الغزير وسعيها نحو الخير والعطف على الفقراء ومساعدة المحتاج ووعظ الناس ودعوتهم للخير والفضائل.

ولذلك عندما سافرت إلى الكوفة لتزور أخاها الضحاك بن قيس عندما كان أميراً هناك من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عرف الناس بقدومها فخرجوا جميعاً لمشاهدتها والاستماع إلى حديثها وكلامها الطيب.

فجلست معهم تحدثهم بما سمعته من رسول الله - ﷺ- وتحثهم على العلم والصلاة والعبادة والخير.

ولمكانتها التي يقدرها الجميع اجتمع أهل الشورى في بيتها وعرضوا عليها القضية واستطلعوا رأيها في ذلك. وهذا يؤكد ما كان لهذه السيدة من منزلة عليا في ذلك الوقت. ورحلت عن الحياة وتركت في كتب التاريخ ذكراها العاطرة بالإيمان العميق والعلم الغزير.

ومازلنا نذكر الجليلة فاطمة بنت قيس.. الفقيهة الفاضلة الرائعة.. الراوية الصادقة المبدعة.. ذات الرأي الصائب.. والفكر الثاقب.. والذكاء الغالب.. والكمال الباهر.. والجمال الظاهر.. والكلام الساحر.. ثرية الفكر والخاطر.

واجهت المشقة والمخاطر.. وآمنت وهاجرت وتحدت الكفار.. وساهمت في الآراء والأفكار.. تعلمت لغة القرآن.. وفن الحوار.. فأشرق في عينيها النهار.. وتغنت بفضائلها حمائم وأطيار.

-٣٠-

ريحانة بنت زيد

ريحانة بنت زيد.. رجاحة العقل.. وفصاحة القول.. وملاحة الوجه.. وحُسن تدبيرها.. وعُمق تفكيرها.. ومواقفها الحكيمة.. الحازمة.. وأقوالها الصريحة الحاسمة.

ريحانـة.. أسـلمت وأصـبحت سـيدة عميقـة الإيمـان.. تَسْـبح في نـور الـرحمن.. وتحيـا في سماحـة الإسـلام.. وتهـدأ روحهـا على ضـفاف السـلام.. وتفكر في حقيقة الوجود.. وتتأمل قصص البعث والخلود.

تألقـت في حيـاة كريمـة.. وتميـزت بـدعوات رحيمـة.. ورحلـة بـين الهـدى والهداية.. والإشراق الروحي في رحاب الرسول - ﷺ.

كانـت ريحانـة ضـمن سبايا بني قريظـة بعـد أن انتصر المسلمون عليهم، وعـادوا بالغنـائم والسبايا. بـدت ريحانـة حزينـة.. منكسرة.. وهـي التـي حـازت مكانة رفيعة بين قومها.

ولذلك في بداية الأمر رفضت أن تدخل في الإسلام فعزلها الرسول - ﷺ.

وعاشـت ريحانـة فـترة ترقـب أحـوال المسـلمين وتسـمع أقـوالهم وتشـاهد أفعـالهم وتعليمـات الرسـول - ﷺ- الـتي تتسـم بالرحمـة والحـب والعطـف والتسامح مع الناس جميعاً من مختلف الأديان.

وظلت تفكر في أحوالها فتأثرت بالمواقف الإسلامية الرائعة من المسلمين وأفكـارهم الخالصـة لوجـه الله، والحيـاة القائمـة على الحـب والعـدل والرحمـة والعبادة والقرآن الكريم، وقررت أن تعلن إسلامها بكامل رغبتها الشديدة دون قهر أو شدة.

وبينما الرسول في مجلس أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه. فأخبر أصحابه أنه قد جاء من يبشر بإسلام ريحانة.

وقال لها رسول الله – ﷺ:

– إن أحببتِ أن أعتقك.. وأتزوجك فعلتُ.. وإن أحببت أن تكوني في ملكي فعلت.

فقالت: يا رسول الله أكون في ملكك أخف عليّ وعليك.

فكانت في ملكِ رسول الله – ﷺ– وعاشت في الحياة الإسلامية وفي رحاب الرسول – ﷺ– مصدر العلم ونبع الدين والشريعة، وتعلمت وحفظت القرآن وفهمت وأدركت حقيقة هذا الدين وما يحمله للناس من هداية ويقين وخير وفضائل.

شعرت ريحانة بذاتها تعلو فوق إغراءات الدنيا.. وإن روحها تسمو فوق الحياة.. وأشرقت في كيانها مصابيح الخير والإيمان.. وتعلمت من علماء الصحابة وفهمت وفاضت روحها بالعبادة.. وتدعو الله الواحد وتردد دائماً:

– الحمد لله رب العالمين.

كان لريحانة هذا الموقف الرائع.. ففي بداية الأمر، قالت بكل حرية لرسول الله – ﷺ:

– أنا على دين قومي.

واحترم الرسول موقفها وتركها تعيش حرة كريمة في المجتمع الإسلامي دون إرهاب أو قهر أو إرغام على الإسلام. وعاشت السيدة الجميلة ريحانة في ظلال الإسلام، ودُهشت لهذه المواقف الإنسانية الرائعة من المسلمين تجاه الأسرى والآخرين.

وفكرت كثيراً.. ثم اهتدت إلى الإسلام..

وتوفيت في السنة العاشرة من الهجرة ودفنت بالبقيع إلى جوار نساء أهل البيت الطاهر.

ولكننا مازلنا نذكر هذه السيدة التي اختارت ما تريد، وحققت ذاتها بكل حرية في المجتمع الإسلامي الذي لا يفرق بين شخص وآخر في العلاقات الإنسانية.

ولا يمكن أن نغفل.. كيف كانت ريحانة بنت زيد تتميز برجاحة العقل.. وفصاحة القول.. وملاحة الوجه.. وحسن تدبيرها.. وعمق تفكيرها.. ومواقفها الحكيمة.. الحازمة.. وأقوالها الصريحة الحاسمة.

-٣١-
أم كُجَّة

أم كجة هذه السيدة الحكيمة العاقلة.. الزاهدة المؤمنة الفاضلة.. بحثت عن مبادئ الشريعة العادلة.. أثارت آراء وأحداثا.. في قضايا توزيع الميراث..

ونزلت سورة النساء.. تحكم بالرحمة بين الأبناء.. فما أروع حكمة القرآن.. شَرْعٌ.. وشَرْحٌ.. وتفسيرٌ وبيان.

كانت تناقش قضايا الحياة مع الرسول – ﷺ– بكل حرية وتستمع إلى كلماته وتطرح رأيها وتستعرض مشكلتها في ثقة وصدق وحب كبير.

جاءت إليه فقالت:

– يا رسول اللّه.. هاتان ابنتاي استشهد أبوهما معك يوم أُحد.. وقد أخذ عمهما مالهما كله.. ولم يدع لهما شيئًا إلا أخذه.. فما ترى يا رسول اللّه.. فواللّه لا يُنكحان أبداً إلا ولهما مال. فقال رسول اللّه – ﷺ:

– يقضي اللّه فى ذلك.

فأنزل اللّه تعالى فى أمرهما آية الميراث.. وجعلها أساسًا وشريعة لكافة المسلمين.

قال تعالى: "يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً" (النساء: ١١).

فلما نزلت هذه الآية قال النبي – ﷺ:

- ادع إلى المرأة وصاحبها.

فقال للرجل:

- أعطهما الثلثين وأعط أمهما الثمن... وما بقي فهو لك.

وما أن فرض نظام الميراث فى الإسلام حتى استفادت النساء من عدله ورحمته.. وأصبح لهن نصيبا مفروضاً بعد أن كان أهل الجاهلية لا يورّثون النساء ولا الضعفاء من الرجال.. ويقولون:

- إلا من قاتل على ظهور الخيل.. وطاعن بالرمح.. وضارب بالسيف.

عاشت السيدة أم كُجَّة فى المدينة تتعلم شرائع الإسلام من النبي - ﷺ- وتساند مسيرة الإسلام المباركة. وتلتزم بالصلاة والعبادة الحقة وتبتهل إلى الله العلي القدير أن ينصر رسوله والمؤمنين في المعارك التي يخوضها من أجل رفع راية الإسلام.

تزوجت أوس بن ثابت شقيق حسان بن ثابت شاعر الرسول - ﷺ - وتعلمت منه الكثير من أصول الأدب والشعر.. وساهمت فى الجهاد فحضرت أُحداً حيث استشهد زوجها وكانت تؤدي دوراً حيوياً في المعركة بشجاعة وإيمان عميق ورغبة في الشهادة.

وبعد وفاة زوجها كانت تواصل جهادها في الإسلام بين الناس وتستمع إلى كلمات وأحاديث الرسول - ﷺ- في مجلسه مع الصحابة والناس.

توفيت وتركت ذكرى طيبة وعرفها الناس بأنها صاحبة الميراث حيث ناقشت قضية الميراث مع الرسول - ﷺ- ونزلت الآيات الكريمة من سورة النساء لحل هذه القضية الاجتماعية والإنسانية.

هذه السيدة الحكيمة العاقلة.. الزاهدة المؤمنة الفاضلة.. بحثت عن مبادئ الشريعة العادلة.. أثارت آراء وأحداثا في قضايا توزيع الميراث ونزلت سورة النساء تحكم بالرحمة بين الأبناء.. فما أروع حكمة القرآن.. شَرْعٌ.. وشَرْحٌ.. وتفسيرٌ وبيان.

-٣٢-

خولة بنت الأزور

خولة بنت الأزور الكندي.. فارسة مجاهدة.. وشاعرة مبدعة.. وقائدة مؤمنة مفكرة.. وعقلية مدبرة.. وحكمة آثرة.. عُرف عنها الشجاعة والإقدام.. والبسالة والاقتحام.. والجراءة والضرب بالحسام.

وإلى جانب ذلك خطيبة مؤثرة.. تقف وتخطب في النساء تحثهم على القتال والجهاد خلال المعارك حتى أنها أذهلت القائد خالد بن الوليد في قتالها وهي ملثمة لا يعرفها أحد، حيث تخترق صفوف الروم.. وتضرب بالسيف فيهم.. وتتناثر أشلاء الأعداء حولها.

واقترب خالد بن الوليد إليها قائلا:

- ويحك لقد شغلتَ قلوب الناس وقلبي لفعلك.. من أنت؟

فلما علم خالد أنها امرأة.. سألها عن قصتها.. فقالت خولة بنت الأزور.. إن أخاها ضراراً قد وقع أسيراً فى أيدي الأعداء وتريد إنقاذه. ووعدها خالد بذلك.

وفي المعركة اشتبك جيش المسلمين مع الأعداء وقتلوا منهم عدداً كبيراً.. وكان النصر للمسلمين. وسارت تلك الفارسة خولة بنت الأزور تبحث عن أخيها وتبكي وتقول:

– يا بن أمي ليت شِعْرِي.. فى أية بَيْدَاء طَرَحُوكَ.. أم بأي سِنَانٍ طعنوك.. أم بالحُسام قتلوكَ. يا أخي لك الفداء.. لو أني أراك أنقذكَ من أيدي الأعداء.. ليت شِعْرِي أترى أني لا أراك بعدها أبداً؟ لقد تركتَ يابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها – ليت شعري.. لقد لحقت بأبيك المقتول بين يدَي النبي فعليك مني السلام إلى يوم اللقاء.

فما إن سمعها الجيش حتى بكوا وبكى خالد بن الوليد. وعلمت خولة بنت الأزور بأن أخاها مازال على قيد الحياة.. وأن جيش الأعداء قد أرسله إلى ملك الروم مكبَّلاً بالأغلال. فأرسل خالدٌ رافعَ بن عميرة فى مائة من جيش المسلمين ليلحق بالأعداء ويفك أسْرَ أخيها.

فما إن سمعتْ بخروج رافع بن عميرة حتى أسرعتْ إلى خالد تستأذنه للخروج مع المسلمين لفك أسر أخيها. فذهبتْ معهم حيث أعدوا كميناً فى

الطريق. وما أن مرَّ الأعداء بالأسير حتى هجموا عليهم هجمة رجل واحد وما لبثوا أن قضوا عليهم وفكوا أسر أخيها وأخذوا أسلحة العدو.

وفى موقعة "صجورا" وقعت هي ونسوة معها فى أسر جيش الروم. ولكنها أبت أن تكون أسيرة منهزمة.. فأخذت تحث أخواتها على الفرار من الأسر فقامت فيهن قائلة:

– يا بناتَ حِمْيَر وبقية تبع.. أترضين لأنفسكن أن يكون أولادكن عبيداً لأهل الروم؟ فأين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب؟ وإني أرى القتل عليكن أهون مما نزل بكُنَّ من خدمة الروم.

فألهبت بكلامها حماس النسوة. فأبَيْن إلا القتال والخروج من هذا الذُّل والهوان.

وقالت لهن:

– خذن أعمدة الخيام.. واجعلنها أسلحة لكُن.. وكنَّ فى حلقة متشابكات الأيدي مترابطات لعل اللَّه ينصرنا عليهم.. فنستريح من معرَّة العرب.

فهجمت وهجم معها النسوة على الأعداء، وقاتلن قتال الأبطال حتى استطعن الخروج من معسكر الأعداء وتخلصن من الأسر.

ومن قصائدها في مواقفها المختلفة حين بكت من أجل أخيها وباقي أسرى المسلمين تقول:

أبعد أخي تلذُّ الغمض عيني

فكيــف ينــام مــقروح الجفــونِ
سـأبكي مـا حييـتُ على شقيق
أعــز علــيَّ مــن عيــني اليمــينِ
فلـــو أني لحـــقتُ بـــه قتـــيلا
لهــان علــيّ إذ هــو غــير هــونِ
وكنـــت إلى السُـــلو أرى طريقـــا
وأعـــلق منـــه بالحـــبل المتـــينِ
وإنـــا معـــشرُ مـــن مـــات منـــا
فلــيس يمــوتُ مــوتَ المســتكينِ
وإني إن يُقـــال مضـــى ضـــرار
لباكيـــــة بمنســـــجم هتـــــونِ
وقــالوا لم بُــكاكِ فقلــت مهــلا
أمــا أبكــي وقــد قطــعوا وتيــني

ورحلت الفارسة.. ومازال الحصان يجول وحيداً في الصحراء.. رحلت ومازال سيفها في الغمد حزيناً بين حسرة الماضي وعذابات الحاضر.

إنها خولة بنت الأزور الكندي الفارسة المجاهدة.. والشاعرة المبدعة.. والقائدة.. المؤمنة المفكرة.. والعقلية المدبرة.. والحكمة الآثرة.

عُرف عنها الشجاعة والإقدام.. والبسالة والاقتحام.. والجراءة والضرب بالحسام.

-٣٣-

فَاطمَةُ بنتُ اليَمَان

فَاطمَةُ بنتُ اليَمَان صحابية جليلة.. عاشت في روضة النبوة الظليلة.. وحازت لدى الجميع مكانة رفيعة.. ومنزلة كبيرة.. لسمو أخلاقها.. ورفعة شأنها.. وحُسن إسلامها.. وبديع وعظها.

تألقت بروح صافية.. ونفس زاهدة.. عُرف عنها إحسانها للفقراء.. وعطفها على البؤساء.. وبرها بالمساكين والضعفاء.. واحترامها للعلماء.. وتقديرها للفقهاء.

نشأت في أسرة يضيء روحها بنور العقيدة والإيمان. كان أبوها اليمان من خيار الصحابة واستشهد في غزوة أُحد.

وأخوها حُذيفة بن اليمان أحد صحابة رسول الله – ﷺ– الذي خاطر ليلة الأحزاب ليجُس أخبار العدو ويحذر المسلمين.

إنها المرأة الصابرة العابدة.. والمؤمنة الصادقة الزاهدة.. حين تلقت نبأ استشهاد أبيها في غزوة أُحد لم تجزع أو تفزع بل شكرت الله أنه مات شهيداً. وتحملت الموقف وجاهدت احزانها ولكنها أصبحت رفيقة الألم والعذاب.

تعتبر من النساء الصحابيات اللاتي روين الحديث النبوي الشريف، وروى عنها كثير من العلماء ومن الأحاديث التي روتها قالت:

– خطبنا رسول الله – ﷺ– فقال:

– يا معشر النساء أليس لكن في الفضة ما تحلين؟ أما إنه ليس منكن إمرأة تحلى ذهباً تظهره إلا عُذبت به.. فكانت النساء يتخذن لكمهن زراً يخفين ما يبدو من الذهب والخواتم.

ومن مواقف فَاطمَةُ بنتُ اليَمَان مع الرسول – ﷺ– قالت:

– عدْتُ رسول الله – ﷺ– في نسْوةٍ وإذا سِقاءُ مُعلقُ وماؤه يقطر عليه من شدة ما يجدُ من حَرّ الحّمى.

وقالت:

– يا رسول الله لو دعوت الله عز وجل أن يكشف عنك.

فقال ﷺ:

– إنَّ أشدَ بلاء الأنبياء.. ثم الذين يلونهم.. ثم الذين يلونهم.. ثم الذين يلونهم.

ورحلت فاطمة بنت اليمان.. وتدفقت دموع الأحزان، ليذكرها التاريخ في أجل المواقف وأصدق الأحداث.

فَاطمَةُ بنتُ اليَمَان صحابية جليلة.. عاشت في روضة النبوة الظليلة.. وحازت لدى الجميع مكانة رفيعة.. ومنزلة كبيرة.. لسمو أخلاقها.. ورفعة شأنها.. وحُسن إسلامها.. وبديع وعظها.

تألقت بروح صافية.. ونفس زاهدة.. عُرف عنها إحسانها للفقراء.. وعطفها على البؤساء.. وبرها بالمساكين والضعفاء.. واحترامها للعلماء.. وتقديرها للفقهاء.

- ٣٤ -

أم كلثُوم بنت على بن أبي طالب

أم كلثوم نبع المعاني الجميلة.. وسر اخضرار كل خميلة.. في وجهها شموس لا تعرف الغياب.. وأنهار للحب في تدفق وانسياب.. وقلبها النقي نبع الثواب.. تهادى الخير في رحابها.. وسادت الرحمة حياتها.. وتألقت الفضائل في إيمانها.

فما من ظامئ إلا ويرتوي من أنهارها.. وما فقير إلا وسكن في روضها.. وما طفل إلا وشعر بحنانها.. واختبأ في أشجار عطفها.. واحتمى في ظلالها.

أم كلثُوم بنت علي بن أبي طالب السيدة الصحابية التي أسلمت في طفولتها وتعلمت من أبيها حقائق الإسلام وحازت مكانة عالية عند جدها رسول الله – ﷺ– وهي أيضاً شقيقة الحسن والحسين وزوجها عمر بن الخطاب.

نشأت في بيئة إسلامية عريقة تساهم في إغاثة المنكوب.. وتساعد المكروب.. وتشعر كيف يمكن أن يسود العدل بين الرعية من خلال حكم أمير المؤمنين زوجها عمر بن الخطاب. فكانت تشعر بالفخر والإعجاب وتتعلم كثيرا من الحقائق وأصول الشريعة الإسلامية.

ومن المواقف الإنسانية العظيمة الرائعة التي عاشتها أم كلثوم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، حينما خرج كعادته يتفقد أحوال الرعية فشاهد بيت شعر يلوح وسط الظلام لم يكن قد راه في الليلة الفائتة.

ودنا عمر بن الخطاب من الخيمة فسمع أنين امرأة ينبعث من الداخل ورأى رجلاً فاقترب منه وسأله:

- من الرجل؟

قال الرجل:

- رجل من أهل البادية جئتُ إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله.

فقال عمر متعجباً:

- ما هذا الصوت الذي أسمعه داخل الخيمة؟

فرد الرجل دون مبالاة وقال:

- انطلق يا هذا رحمك الله لحاجتك.

قال عمر:

- عليَّ ذاك ما هو؟

قال الرجل:

- امرأتي جاءها المخاض.

وسأله عمر:

- هل عندها أحد؟

قال الرجل في يأس:

- لا فإنا وحيدان غريبان.

وانطلق عمر مسرعاً حتى أتى منزله، وقال لامرأته أم كلثوم:

- هل لكِ في أجر ساقه الله إليكِ يا أم كلثوم؟

قالت مستفسرة: خيراً وما هو؟

قال عمر بن الخطاب:

- امرأة غريبة تمخض وليس عندها أحد.

فقالت أم كلثوم:

- نعم إن شئت يا أمير المؤمنين.

فقال لها:

- خذي معكِ ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن، وجيئيني ببرمة قدر وشحم ودقيق وحبوب.

فجاءت به فقال لها عمر:

- انطلقي واتبعيني.

وحمل عمر على ظهره البرمة والدقيق والسمن، وحملت أم كلثوم حوائجها ومشت خلفه حتى انتهى إلى الخيمة، ودخلت أم كلثوم إلى المرأة وانطلق عمر وجهز القدر، وأوقد تحته النار وجلس يعد الطعام حتى نضج.

وما هي إلا سويعة حتى ولدت المرأة وانبعث بكاء الوليد من داخل الخيمة، فخرجت أم كلثوم وقالت:

- يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام.

فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين دُهش واستعظم ذلك وجعل ينتحي عنه استحياء. وأخذ يعتذر إلى عمر. فقال له عمر:

- قف مكانك يا هذا كما أنت لا بأس عليك.

وحمل القدر فوضعه على باب الخيمة ونادى أم كلثوم قائلاً:

- خذي القدر وأطعمي صاحبتك.

وبعد أن فرغت من طعامها.. جعلت القدر أمام باب الخيمة. فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدي الرجل، وقال له:

- كُل يا أخي فإنك قد سهرت من الليالي وتعبت.

وأشار عمر على الرجل، وقال له:

- إذا كان غداً فائتنا نأمر لك بما يصلحك إن شاء الله تعالى.

وحين توفيت أم كلثوم أغلقت الشمس أبوابها.. ومالت حزينة منكسرة .. وانخطف الضوء من عيون الناس وانفجرت الدموع في كل مكان. فلماذا كان موتها مأساة كبيرة؟

لأنها.. نبع المعاني الجميلة.. وسر اخضرار كل خميلة.. في وجهها شموس لا تعرف الغياب.. وأنهار للحب في تدفق وانسياب.. وقلبها النقي نبع العذاب.. تهادي الخير في أعمالها.. وتمشت الرحمة في حياتها.. وتألقت الفضائل في إيمانها.

فمن ظامئ إلا ويرتوي من أنهارها.. ومن فقير إلا وسكن في روضها.. وما طفل إلا وشعر بحنانها.. وتظلل في أشجار عطفها.. واحتمى في ظلالها.

-٣٥-
أم مُبشر الأنصارية

أم مبشر الأنصارية.. سيدة الموقف الجميل.. والرأي الصائب الجليل... غرست في الأرض نخيل.. ترعرع ونما ظل ظليل.. فالأرض نبات وأعشاب وحقول.. وينابيع صدقات لا تجف أو تزول.

أم مبشر الأنصارية.. نبغت في العلوم الفقهية.. وخبرت الأحداث والوقائع الإسلامية.. فهي الصحابية العالمة الفقيهة.. راوية الحديث النبوي الشريف. وامرأة فاضلة حفظت القرآن والأحاديث وعرفت المعارك والأخبار. واشتهرت بما حازت عليه من علم ومعرفة.

أبوها من صحابة رسول الله - ﷺ- وهو البراء بن معرور بن صخر الأنصاري. وزوجها زيد بن حارثة أحد الرجال النجباء ومن الصحابة الكرام.

كانت أم مبشر تتعلم من الرسول - ﷺ- مباشرة وتحفظ عنه كلماته وتوجيهاته وتروي إحدى هذه المواقف وتقول:

- دخل عليّ رسول الله - ﷺ- وأنا في نخلٍ لي.

فقال: من غرسه مسلم أم كافر؟

قلت: مسلم.

قال: ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو سبع إلا كان له صدقة.

روت أم مبشر عدة أحاديث وروى عنها جابر بن عبد الله الأنصاري ومجاهد بن جبير ومحمد بن عبد الرحمن الأنصاري. ولها حديث مشهور عن فضائل أهل بدر وبيعة الرضوان فقد قالت:

- كان رسول الله - ﷺ- في بيت حفصة فقال:

- لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية.

قالت حفصة:

- أليس الله يقول "وإن منكم إلا واردها" (مريم ٧١)

فقال رسول الله - ﷺ:

- "ثم نُنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا". (مريم ٧٢)

ظلت أم مبشر الأنصارية تنشر علمها بين النساء وتحدثهن عن كلمات الرسول وتعظهن وتعلمهن قواعد الشريعة الإسلامية.

وامتدت حياتها حتى عصر الخلفاء الراشدين تجاهد بالكلمة والعمل الصالح، من أجل إعلاء صوت الحق في كل مكان. وتشعر أن عليها رسالة يجب أن تؤديها إلى المسلمات والمسلمين وتعمل من أجلها.

نالت احترام وتقدير ومحبة الناس والحكام وشاركت بعلمها في حل قضايا ومشاكل تُطرح عليها أو تصادفها أثناء مجلسها مع النساء فتقدم النصيحة والمشورة في صدق وأمانة.

ورحلت عن الحياة وقد تركت ذكرى طيبة وصورة رائعة للمرأة المسلمة التي اكتسبت العلم، ووهبت حياتها للإسلام والمسلمين.

إنها أم مبشر الأنصارية.. سيدة الموقف الجميل.. والرأي الصائب الجليل.. غرست في الأرض نخيل.. ترعرع ونما ظل ظليل.. فالأرض نبات وأعشاب وحقول.. وينابيع صدقات لا تجف أو تزول.

-٣٦-

أم أيوب الأنصارية

أم أيوب الأنصارية.. أضاء النور في بيتها.. وغرد الطير حولها.. فنبت زرعها وانسابت أنهارها.. وكبرت أشجارها.. ونضجت ثمارها.. فاليوم الرسول زارها.. وسكن في دارها.. والناقة قد أوحى لها.. ووقفت على أرضها.

أمُ أيوب بنت قيس بن سعد الخزرجية الأنصارية صحابية كريمة الأصل فاضلة المنبت ثابتة العقيدة راسخة الإيمان. وقد ازدادت قدراً حين نزل رسول الله – ﷺ– في دارها فنالت بذلك شرف عظيم.

عندما دخل الرسول – ﷺ– المدينة استقبله أهلها بالفرح والسرور وكل منهم يريده في بيته، ولكن وقفت الناقة أمام دار أبي أيوب الأنصاري.

وغمرت السعادة أمُ أيوب وزوجها فقد أصبحا في رحاب الرسول ﷺ. وغدت أم أيوب تعد الطعام الذي يشتهيه الرسول ﷺ، وتقول عن ذلك:

– ما رأيتهُ أمر بطعامٍ يُصنعُ له بعينيهِ ولا رأيتهُ ذم طعاماً قط، ولكن أبا أيوب أخبرني أنه تعشى معه ليلة من قصعة أرسل بها سعدُ بنُ عبادة فيها طفيشل "مرق" فرآه ينهكها نهكاً لم يره ينهك غيرها فكنا نعملها له، وكنا نعمل له الهريس فنراه يعجبه وكان يحضر عشاؤه الخمسة إلى الستة إلى العشرة.

تعلمت أمُ أيوب الأنصارية من الرسول – ﷺ–مباشرة من خلال قربها منه فتجلس لتسمع حديثه وترهف أحاسيسها لكلماته وتوجيهاته وتفسيره للمواقف والأحداث وتعليماته للصحابة والرجال وعطفه على الفقراء وحبه للناس ورحمته بالضعفاء والمساكين.

تعتبر أم أيوب الأنصارية من النساء اللاتي روين الحديث الشريف ومنه قالت:

– صنعت للنبي – ﷺ– طعاماً فيه من بعض البقول فلم يأكل وقال:

– إني أكره أن أوذي صاحبي يعنى جبريل عليه السلام.

كانت أم أيوب تكثر من الصلاة والعبادة وتستمع إلى الرسول – ﷺ – فيشرق قلبها بالنور وتستوعب الأحداث وتتعلم من المواقف وتلتقي بالناس وتقص عليهم أروع المواقف وأعظم الكلمات التي جاءت على لسان الرسول – ﷺ.

ظلت حياتها صورة مضيئة للمرأة العربية المسلمة التي تشارك في الحياة السياسية والاجتماعية وتمنح من حبها وفكرها في عطاء زاخر لا ينضب أبداً.

وتوفيت أم أيوب الأنصارية بعد رحلة إيمان عميقة وحياة زاخرة بالعطاء والكرم والعبادة، ومازال التاريخ يذكرها حين أقام عندها الرسول صلى الله عليه وسلم، وبذلك أضاء النور في بيتها.. وغرد الطير حولها.. فنبت زرعها.. وتدفقت أنهارها وكبرت أشجارها.. ونضجت ثمارها.. فاليوم الرسول زارها.. وسكن في دارها.. والناقة قد أوحى لها.. ووقفت على أرضها.

-٣٧-

الرميصاء بنت ملحان الأنصارية الخزرجية (أم سليم)

الرميصاء لبت النداء.. وشهرت خنجر الفداء.. في وجه الأعداء.. وهبت ريح الفناء.. وانطلق الدعاء.

هذه الرميصاء في الميدان.. تداوي الجرحى في حنان.. وتحارب في عنفوان.. فلا دموع دون أحزان.. ولا تقوى دون إيمان.

الرميصاء أم سليم.. تسمع أنات اليتيم.. وتدعو السميع العليم.. لتواجه عالما من قلب سقيم.. ووجدان عقيم.

اشتهرت بلقب أم سليم المؤمنة الداعية المجاهدة من أجل الإسلام تميزت بجمال موهوب وخلق محمود ورأي حصيف وذكاء موصوف. كانت من

السابقين إلى الإسلام الذي أشرق نوره في قلبها وتمردت على مجتمعها الجاهلي، لتصبح من أهم النساء الداعيات والواعظات.

عاشت دائماً داعية حكيمة ومجاهدة تشارك في المعارك، حيث وقفت في معركة حنين تتولى الجرحى بالرعاية والعلاج، وتساند الرجال في مواقفهم وتحثهم على القتال بشجاعة.

وقد شوهدت ومعها خنجر يوم حنين للقتال ضد المشركين، وقالت:

- يارسول الله إن دنا مني مشرك بقرت به بطنه.

وقد بشرها الرسول - ﷺ- بالجنة حين قال:

دخلت الجنة فسمعت خشفة.. فقلت من هذا؟ قالوا هذه الرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك.

تميزت الرميصاء بعمق إيمانها الإسلامي ووقفت في صلابة ضد زوجها حين قال لها غاضباً:

- أصبوتِ؟

فقالت بعزم وثقة:

- ما صبوت ولكني آمنت.

وبدأت تعلم ولدها أنس ابن مالك تعاليم الإسلام، وظلت تردد:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حتى خرج زوجها من البيت وقتل على يد أحد أعدائه.

وفكرت الرميصاء أن يكون ولدها بجوار رسول الله - ﷺ- ويتعلم منه فعرضت عليه أن يعمل ولدها في خدمته ورحب بذلك.

وعاشت الرميصاء تتعلم أصول الدين وتحفظ القرآن وتدعو النساء إلى الإيمان بالفضائل والقيم، وتعظ المشركات وتنير عقولهن بما تعلمت وحفظت وعرفت من عقائد الإسلام.

تقدم أبو طلحة أحد الرجال الأثرياء للزواج من الرميصاء، وعرض عليها مهراً غالياً ولكنها رفضت، وقالت:

- أنا امرأة مسلمة وأنت كافر لا تصلح لي أن أتزوجك.

وفكر الرجل بعمق عدة ليال ثم عاد، وقال لها:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وبذلك كانت هداية أبي طلحة على يديها. وقيل:

- ما كانت امرأة أكرم مهراً من أم سليم.. كان مهرها الإسلام. ومن مآثر هذه المرأة الفاضلة العابدة الداعية وزوجها أن أنزل الله فيهما آيات من القرآن. ويتحدث عن ذلك أبو هريرة - رضي الله عنه - ويقول:

جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ- فقال:

- إني مجهود..

فأرسله رسول الله إلى بعض نسائه. فقالت:

- والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما عندي إلا ماء.

ثم أُرسل إلى أخرى.. فقالت مثل ذلك. وقلن كلهن مثل ذلك.

فقال الرسول - ﷺ:

- من يضيفه يرحمه الله.

فقام أبو طلحة زوج الرميصاء، وقال:

- أنا يا رسول الله.

وانطلق بالرجل إلى بيته وهناك سأل امرأته "الرميصاء":

- هل عندك شيء؟

قالت:

- لا إلا قوت صبياني.

قال أبو طلحة:

- علليهم بشيء ونوميهم فإذا دخل ضيفنا أريه أنّا نأكل فإذا هوى بيده ليأكل، فقومي إلى السرج كي تصلحيه فاطفئيه.

ففعلت.. وأكل الضيف.. وبات أبو طلحة وزوجه طاويين. وفي اليوم التالي قال لهما رسول الله - ﷺ:

- قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة.

وأنزل الله عز وجل: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة".(الحشر آية ٩).

وفرح أبو طلحة وزوجته لأن الله قد أنزل فيهما قرآنا يتلى. وحين رحلت الرميصاء بكت من أجلها الورود على النهر والسنابل على الضفاف. وعاشت

في القلوب وردة من صفاء.. بعد أن لبت النداء.. وشهرت خنجر الفداء.. في وجه الأعداء.. وهبت ريح الفناء.

ها هي الآن في الميدان.. تداوي الجرحى في حنان.. وتحارب في عنفوان.. فلا دموع دون أحزان.. ولا تقوى دون إيمان.. الرميصاء أم سليم.. تسمع أنات اليتيم.. وتدعو السميع العليم لتواجه عالم من قلب سقيم.. ووجدان عقيم.

-٣٨-

الشفاء بنت الحارث بن عبد الله

الشفاء بنت الحارث بن عبد الله.. سيدة العلم والنور.. والفكر المستنير.. وبحر المعرفة الغزير.. والصحابية التي طبعت في الأذهان أثراً وتأثير.. وما زالت صورة حياتها من النماذج الإنسانية التي نالت كل إعجاب وتقدير.

هي وجه من الوجوه النسائية الناصعة الإشراق بتعاليم الإسلام فقد كانت المعلمة الأولى في دولة الإسلام، حيث حفظت القرآن الكريم وتعلمت القراءة والكتابة ونهلت من أحاديث رسول الله – ﷺ– فحازت علماً واكتسبت فضائل وازدانت بالمكارم والقيم الإسلامية العليا.

الشفاء بنت الحارث هي بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن كعب القرشية العدوية آمنت بدعوة الإسلام قبل الهجرة، ولذلك فهي من

المؤمنات الصالحات المبايعات شهد لها الجميع بعلمها وفكرها العميق ورأيها الحصيف وصدق حديثها وكمال خلقها وجمال فضلها ومآثرها.

كانت المعلمة الأولى في الإسلام فقد عاشت محبة لدينها ولرسول الله - ﷺ- تنصت إلى أحاديثه وتحفظها وتتعلم معنى الحياة والجهاد وتشرق أمامها الدنيا بخيرها وجمالها، وتتبين ما في القرآن من علم وحياة واطمئنان نفسي وهداية روحية، فتقوم بتعليم النساء وتكشف لهن عجائب الكون وعظمة الخلق وترشدهن إلى درب النور واليقين والهدى.

الصحابية المثقفة التي حازت على بعض العلوم والمهارات والمعلومات والمعرفة ما جعلها من مشاهير عصرها بين النساء. فقد برعت في بعض أسرار الطب، واستطاعت أن تعالج كثيراً من الناس، ولذلك أطلقوا عليها اسم "الشفاء".

آمنت الشفاء بنت عبد الله بدعوة الرسول - ﷺ- وهاجرت وتحملت عذاب الرحيل، وظلت صابرة تواجه الآلام والمواقف الصعبة وتقاوم قسوة قريش وحروبهم ضد المسلمين.

وتعلمت القراءة والكتابة وبعد أن اعتنقت الإسلام بدأت في قراءة القرآن وحفظ آياته ومعانيه وتجلس تستمع إلى أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيزداد الإيمان عمقاً في مشاعرها وحياتها. وقد عرف عنها البحث الدائم في الثقافات المختلفة حتى تعلمت طريقة العلاج بالرقية.

ولذلك سألت الرسول - ﷺ:

- يا رسول الله إني قد كنت أرقي برقية في الجاهلية، وأردت أن أعرضها عليك، فقال لها الرسول - ﷺ:

- أعرضيها.

وحين شرحت أمامه طريقة الرقية قال لها:

- ارقي بها وعلميها لحفصة.

وهكذا سمح لها الرسول - ﷺ- أن تمارس مهنتها بين المسلمين، وقد شفي كثير من الناس على يديها.

تميزت بالذكاء الحاد والتفكير العميق والثقافة الثرية بالحقائق والأخبار والمعلومات.. وبرعت في علاج المرضى وتعليم النساء القراءة والكتابة، فكانت الطبيبة والمعلمة.

ولا شك أن الشفاء روت كثيراً من أحاديث الرسول - ﷺ- لاسيما تلك التي تتحدث عن رسائله إلى ملوك الفرس والروم.

كانت لها مكانة علمية خاصة بين الصحابة والفقهاء والعلماء، فكان عمر ابن الخطاب يعرض عليها بعض القضايا واعترف بفضائل الشفاء بنت الحارث، وكان يقدمها في الرأي ويرعاها ويعتز بكلامها ويسترشد برأيها في بعض الأمور المتعلقة بقضايا المسلمين. وقد تأثرت أيضاً بعمر ابن الخطاب وتعاليمه في التقوى والإصلاح.

شاهدت الشفاء ذات مرة بعض الفتيان يقصدن في المشي، ويتكلمن رويداً، فقالت:

- ما هذا؟ قلن لها:

- إننا نساك!!

فقالت الشفاء:

- كان والله عمر إذا تكلم أسمع.. وإذا مشى أسرع.. وإذا ضرب أوجع.

وكان رسول الله - ﷺ- يعترف بقدر الشفاء بنت الحارث في علمها وفكرها ودورها التنويري، ولذلك طلب منها أن تعلم حفصة الرقية والكتابة.

وكانت الرقية هدفها أن تشفي المريض من بعض الجروح في جبينه، وكان المريض يشعر كأن نملاً يسير في جسده، ولذلك سميت: رقية النملة. وكلمات الرقية تقول:

"اللهم رب الناس مذهب البأس اشف أنت الشافي.. لا شافي إلا أنت.. شفاء لا يغادر سقماً".

عاشت الشفاء بنت الحارث معلمة، ومجاهدة صابرة، نالت احترام الجميع لعلمها وإيمانها العميق، فكانت مثالاً جميلاً مشرقاً للمرأة المسلمة المثقفة المستنيرة. ورحلت وخلفت تعاليمها في قلوب وعقول كل من استمع إليها وتعلم منها.

توفيت في زمن عمر بن الخطاب ورحلت المعلمة الأولى وصاحبة الرقية التي عاشت بين الناس تساهم بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية والمعرفة المثمرة. وساهمت في تأسيس مدرسة علمية تخرج منها بعض الفقهاء والعلماء الذين ذكروا فضائل الشفاء بنت عبد الله وجهدها الكبير.

ورحلت سيدة العلم والنور.. والفكر المستنير.. وبحر المعرفة الغزير.. والصحابية التي طبعت في الأذهان أثراً وتأثير.. وما زالت صورة حياتها من النماذج الإنسانية التي نالت كل إعجاب وتقدير.

-٣٩-

زينب بنت عامر "أم رومان"

أم رومان.. سيدة الفضائل.. جميلة الشمائل.. نبع المكارم.. من أهل العزائم.. ذات الفكر البديع.. والقلب الوديع.. تميزت بحكمة بالغة.. ومواقف عاقلة.. ونظرات متأنية.. وروح هائمة.. في سماء عالية.

أم رومان هي زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن مالك بن كنانة سافرت من الجزيرة العربية مع زوجها الحارث إلى مكة.. وارتبط زوجها بصداقة أبي بكر الصديق.. فلما توفي زوجها تزوجها أبو بكر الصديق وأنجبت له عبد الرحمن وعائشة أم المؤمنين.

أصبحت أم رومان زوجة أبي بكر وأم عائشة فكانت من السابقات إلى الإسلام عندما آمن الصديق زوجها برسالة محمد - ﷺ- وكانت مثالاً للزوجة الكريمة الصالحة التي تساند زوجها في كل ما يصادفه من صعوبات مع الرسول - ﷺ- لنشر الدعوة بين العرب.

ومن أروع مواقفها التي تميزت بالحكمة حين عادت ابنتها عائشة إلى البيت حزينة منكسرة بسبب ما شاع عنها في حادثة الإفك. جلست أم رومان والدموع تنساب من عينيها وتقول لابنتها:

- أي بنية.. هوني عليكِ الشأن.. فوالله ما كانت امرأة حسناء عند زوج يحبها ولها ضرائر إلا كثرن وكثر عليها الناس.

وظلت أم رومان تعاني عذاب هذا الإفك الذي أصاب ابنتها - زوجة الرسول - ﷺ- حتى نزل القرآن يبرئ أم المؤمنين مما قيل عنها.

وتعلمت أم رومان الكثير من مبادئ الدين الإسلامي من الرسول عليه السلام، حين كان يتردد على دار أبي بكر الصديق، وتستمع إليه أم رومان حين يتحدث عن أمور الدعوة والمحن التي تواجهه وكيف كان يعتصم بقدرة الله، ويتحدث عن مشاكل المسلمين وأهداف دعوته.

ومن المواقف الأخرى التي تبين حكمة أم رومان ومعاناتها في تحمل أعباء الحياة مع زوجها، وذلك عندما هاجر النبي - ﷺ- مع صديقه أبي بكر الصديق وظلت أم رومان تواجه الكفار وحدها.

وتتحدث أسماء بنت أبي بكر عن هذا الموقف، وتقول:

- جاء أبو جهل بن هشام مع مجموعة أخرى من الكفار يسألون عن أبي، وقالوا:

- أين أبوك يا بنت أبي بكر؟

قلت: والله لا أدري أين أبي؟

فرفع أبو جهل يده ولطمني لطمة أطاحت بالقرط من أذني.

وتحملت أم رومان هذه المواقف الصعبة مع أسماء وعاشت تجربة مؤلمة تخاف على الرسول - ﷺ- وزوجها وتحاول حماية بيتها وأبنائها من بطش وغدر الكفار. وكانت تدعو الله أن ينصر رسوله وصاحبه في تلك الفترة الحافلة بالأخطار والمصاعب.

استطاعت أم رومان أن تلقن أولادها التربية الإسلامية الحقة دون تفرقة بين أبناء زوجها من زوجته الأولى عبدالله وأسماء وأولادها عبد الرحمن وعائشة أم المؤمنين. وتعلم الأبناء منها حكمتها وخلقها الكريم وفضائلها الكثيرة.

عاشت أم رومان في رحاب النبوة ونفحات الإيمان العميق، واستمعت إلى أحاديث الرسول - ﷺ- وتعلمت كيف يمكن للمرأة المسلمة أن تتحلى بالصفات الطيبة النابعة من الدين الإسلامي.

وحين توفيت أم رومان نزل الرسول - ﷺ- في قبرها واستغفر لها وقال:

- اللهم إنك تعلم ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك.

وسنظل دائماً نذكر أم رومان سيدة الفضائل.. جميلة الشمائل.. نبع المكارم.. من أهل العزائم.. ذات الفكر البديع.. والقلب الوديع.. تميزت بحكمة بالغة.. ومواقف عاقلة.. ونظرات متأنية.. وروح هائمة.. في سماء عالية.

-٤٠-

خولة بنت ثعلبة

خولة بنت ثعلبة الفصيحة المجادلة.. في كل موقف ومسألة.. لمس صوتها سبع سموات.. وللحديث شجون وللمعاني كلمات.. فسمع الله شكواها ونزلت الآيات.. أيتها المجادلة في حرية وثبات.. تجلى الحوار وسطع النور.. إن الله بعباده رحيم غفور.

خولة بنت ثعلبة المرأة التي جادلت رسول الله - ﷺ- في أمور دينها، وظلت على موقفها ثابتة اليقين راسخة الفكر فقد تعلمت أن الرأي شورى في الإسلام، وأن المرأة المسلمة من حقها أن تعبر عن شكواها وأفكارها بحرية دون قيود.

لقد غضب منها زوجها ذات يوم حين راجعته في أمر ما. فانصرف غاضباً وهو يقول:

- أنتِ عليّ كظهر أمي.

وحين عاد زوجها ناسياً ما قد حدث رفضته وقررت أن تعلم حكم الله في هذه القضية، وقالت:

- والذي نفس خولة بيده.. لا تخلصن إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

خولة بنت ثعلبة المجادلة.. ذهبت إلى رسول الله - ﷺ- تستفتيه وتجادله في هذا الأمر وهذا يؤكد أن المرأة المسلمة لم تكن في يوم ما مقهورة أو مغلوبة على أمرها، حيث رفضت أن تستسلم لزوجها بعد أن أقسم أنها محرمة عليه.

وقصت الأمر لرسول الله، فقال لها:

- ما أُمرنا في أمرك بشيء.. ما أعلمك إلا قد حُرمتِ عليه.

وظلت خولة بنت ثعلبة تعيد قصتها وترفض هذا الرأي الأخير بأنها مفارقة زوجها لا محالة، وتوضح للرسول الكريم ما قد يصيبها من أذى إذا افترقت عن زوجها، ولكن الرسول في كل مرة يقول لها:

- ما أعلمك إلا قد حُرمتِ عليه.

وشعرت خولة بنت ثعلبة بأنها حقاً في محنة والأسى يمزق كيانها، وتعتقد أنه لا بد أن يكون هناك حلاً آخر لهذه المشكلة، فرفعت رأسها إلى السماء وصرخت باكية:

- اللهم إني أشكو اليك ما نزل بي.

وما كادت خولة تنتهي من هذا الدعاء والاستغاثة إلى الله حتى أنزل الله الوحي على النبي - ﷺ- وقال لها:

- يا خويلة قد أنزل الله فيكِ وفي صاحبك قرآناً.

وقرأ عليها قوله تعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير". سورة المجادلة١.

وأوضح لها الرسول كيف تكون كفارة الظهار، فقال لها:

- عليه أن يعتق رقبة.

فقالت:

- يا رسول الله ما عنده ما يعتق.

فقال لها الرسول - ﷺ:

- فليصم شهرين متتابعين.

قالت خولة:

- والله إنه لشيخ كبير ماله من صيام.

قال الرسول - ﷺ:

- فليطعم ستين مسكيناً من تمر.

قالت: يا نبي الله والله ما عنده ما يطعم.

فقال الرسول ﷺ:

- فإنا نستعينه بفرق من تمر.

وقالت خولة:

- يا رسول الله وأنا أستعينه بفرق آخر.

تميزت خولة بنت ثعلبة بالشجاعة والقدرة على المواجهة بما اكتسبت من فكر راجح، ورأي صائب، وموقف ثابت، وحكمة بالغة وثقافة دينية عميقة وأصيلة. ومن مواقفها تلك حين أوقفت عمر بن الخطاب الخليفة لتعظه وتقدم له النصيحة، وتقول:

- أيا عمر عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ ترعى الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب.

كل هذا وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين يسمع كلامها وهو يحني إليها رأسه. وقال لها أحد رفقاء عمر:

- قد أكثرتِ على أمير المؤمنين.

فقال له عمر بن الخطاب:

- دعها أما تعرفها؟ هذه خولة التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات فعمر أحق أن يسمع لها.

هذه صورة رائعة للمرأة المسلمة المثقفة الواعظة المؤمنة بدورها في المجتمع، إنها ترشد الناس وتعظهم بل إنها تجادل رسول الله وتعظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

ورحلت عن الحياة خولة بنت ثعلبة الفصيحة المجادلة.. في كل موقف ومسألة.. لمس صوتها سبع سموات.. وللحديث شجون وللمعاني كلمات.. فسمع الله شكواها ونزلت الآيات.. أيتها المجادلة في حرية وثبات.. تحلى الحوار وسطع النور.. إن الله بعباده رحيم غفور.

-٤١-

أم ورقة

أم ورقة في دنياها وحيدة.. وفي بيتها نازفة شهيدة.. فالكلمات حزينة والمعاني شريدة. فمن اغتال ضوء الصباح؟ من فجر نهر الجراح؟.. من يشعل الشموع على ضفاف نهر الدموع؟

يا سيدة المحن والمآسي.. هذا زمان الكذب والمعاصي.. وأرض المحن والمأساة.. اليوم يغفر قلبك للجناة.. ليظل التسامح رمز الحياة.

أم ورقة ابنة عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل وهي أول امرأة في الإسلام تقوم بدور الإمام حيث كانت تؤم أهل دارها وقد جعل لها الرسول - ﷺ- مؤذناً يؤذن لها عند الصلاة.

أم ورقة حفظت القرآن الكريم لأنها ساهمت في جمعه والحفاظ عليه وتعلمت أصول العقيدة الإسلامية من الرسول - ﷺ- ومن خلال أحاديثه ومواقفه وسيرته العطرة التي تفوح بأروع العبر والدروس المفيدة في الحياة.

أم ورقة داعية صالحة ومؤمنة فاضلة ومن شريفات النساء المسلمات وهبت نفسها للدفاع عن العقيدة والجهاد في سبيل الله. فقد قالت لرسول الله قبيل غزوة بدر:

- أتأذن لي أن أخرج معكم أداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله يهدي إليّ الشهادة.

فقال لها النبي - ﷺ:

- إن الله يهديكِ الشهادة وقري في بيتك فإنك شهيدة.

عاشت أم ورقة في بيتها تعلو فوقه تسابيح المسلمات وصوت المؤذن يقطر رحمة ونورا بكلمات الله. وبيت أم ورقة تقام فيه الصلوات الخمس وتأتي إليه النساء ليمارسن عبادة الله تعالى، والدعاء له أن ينصر الإسلام والمسلمين.

صار بيت أم ورقة دار للندوة الدينية تناقش الآراء حول شئون الدنيا والدين، وكيف تتكامل المعاني الدينية والإنسانية في المرأة المسلمة لتصبح الصورة المثلى لنساء العالم. إذ كيف تكتسب المرأة ثقافتها وتدافع عن كيانها وتكون غيورة على دينها ولا تتهاون فيه أبداً. بل إن المعنى الأعمق للمرأة المسلمة أن تعمق المبادئ الإسلامية في روح أطفالها لتعد جيلاً أكثر وعياً والتزاماً.

كانت تلك الأفكار تدور في لقاء أم ورقة مع النساء المسلمات، حيث يتناقشن في كل ما يصادفهن من قضايا ومشاكل يومية وقد تستشير أم ورقة الرسول - ﷺ- إذا لم تستطع مواجهة بعضاً من هذه المشكلات.

وتأتي نهاية أم ورقة مؤسفة وحزينة حيث قام غلام وجارية لها وقتلاها دون سبب يذكر وربما بعض من الحاقدين قد أوعزوا للغلام والجارية بذلك.

وفي اليوم التالي قال عمر بن الخطاب:

- والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة.

وذهب إلى دارها فلم ير شيئاً.. فدخل غرفتها فإذا هي ملفوفة في قطيفة.

فقال في فزع ودهشة:

- صدق رسول الله حين كان يقول:

- انطلقوا بنا نزور الشهيدة.

وانكشف أمر الغلام والجارية واعترفا بما اقترفا فأمر عمر بن الخطاب فصلبا، فكانا أول من صُلب بالمدينة.

وظلت أم ورقة في دنياها وحيدة.. وفي بيتها نازفة شهيدة.. فالكلمات حزينة والمعاني شريدة.. فمن اغتال ضوء الصباح؟ من فجر نهر الجراح؟.. من يشعل الشموع.. على ضفاف نهر الدموع؟

يا سيدة المحن والمآسي.. هذا زمان الكذب والمعاصي.. وأرض المحن والمأساة.. اليوم يغفر قلبك للجناة.. ليظل التسامح رمز الحياة.

-٤٢-

أسماء بنت يزيد

أسماء بنت يزيد السيدة المبدعة.. والمحدثة المقنعة.. والخطيبة المؤثرة.. والمجاهدة الشجاعة.. شُهد لها بالبراعة.. والفقيهة المؤمنة.. وراوية الأحاديث المفسرة.. خطيبة النساء لبيانها الساحر.. وكلماتها المعبرة.

الصحابية التي تغامر في الحروب.. بين السهول والدروب.. تشهر في الفضاء سيفها.. تقاتل في العراء وحدها.. فلا فرق بين نساء ورجال.. وصوت الجهاد لا يعرف المحال.

تعلمت في مدرسة النبوة معنى الشجاعة في الحق.. ورفض الذل والقهر.. والجهاد في سبيل الله ومناقشة أمور دينها في روية وتسامح دون تعصب أوغضب، ولذلك وفدت على رسول الله – ﷺ– في السنة الأولى للهجرة وبايعته بيعة الإسلام.

كانت تجلس مع رسول الإسلام تتعلم منه وتستمع إليه وتستفسر منه عن كل ما يخص حياة المرأة المسلمة، وبذلك تفقهت في الدين وحازت معرفة عميقة بحياة المرأة في ظل العقيدة الإسلامية.

وجاءت أسماء ذات مرة تسأل الرسول – ﷺوتقول:

– يا رسول الله.. إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن لي وهن على مثل رأي.. أن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك

واتبعناك.. ونحن معاشر النساء مقصورات.. مخدرات.. قواعد بيوت.. ومواضع شهوات الرجال.. وحاملات أولادهم.. وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد. وإذا خرجوا للجهاد حفظنا أموالهم وربينا أولادهم.. أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فقال رسول الله – عليه الصلاة والسلام:

– انصرفي يا أسماء واعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرتِ للرجال.

وعن جهادها فقد شاركت في معركة اليرموك، وقتلت تسعة من الروم وظلت تساند المسلمين، وتقوم على مداواة الجرحى وسقي الماء.

وشهد لها الجميع بتفوقها وعزيمتها وصبرها ومقاومتها ودفاعها عن الحق، وجهادها في سبيل الله.

وظلت أسماء بنت يزيد بن السكن صورة رائعة للمرأة المسلمة التي حازت العلم واكتسبت معرفة عميقة بشئون الدنيا والدين. وأيضاً المجاهدة الصلبة صاحبة العقيدة الثابتة والموقف الحازم. إن أسماء كانت مثالاً للمرأة المسلمة التي تشارك مع الرجل في كل مجالات الحياة دون تفرقة سواء في السلم أو في الحرب.

وعندما توفيت هذه المحاربة في كل مكان ظل الناس يتناقلون أخبارها، فهي سيدة الموقف التي لا تهاب الموت السيدة المبدعة.. والمحدثة المقنعة..

والخطيبة المؤثرة.. والمجاهدة الشجاعة.. شُهد لها بالبراعة.. والفقيهه المؤمنة.. وراوية الأحاديث المفسرة.. خطيبة النساء لبيانها الساحر وكلماتها المعبرة.

الصحابية التي تغامر في الحروب.. بين السهول والدروب.. تشهر في الفضاء سيفها.. تقاتل في العراء وحدها.. فلافرق بين نساء ورجال.. وصوت الجهاد لا يعرف المحال.

-٤٣-

غزية بنت جابر

غزية بنت جابر.. طيف من العذاب عابر.. ريح تضرب القلب الحائر.. في ظلام الغرفة تنام.. رفيقها دمع الآلام.. صوت السياط يلهب الجدران.. خيوط دماء تخضب المكان.. هل تتراجع المؤمنة الصامدة؟ هل تنهزم الروح العابدة؟

غزية بنت جابر رفضت صورة العبيد.. والقهر.. والسجن وقضبان الحديد.. ورفعت أصبعها للسماء بإشارة التوحيد.. وغامت الدنيا وأشرق النهار.. وانكسر السوط.. وانهزم الكفار..

المرأة التي عاشت للدعوة الإسلامية.. تواجه العذاب.. والآلام.. وترفض أن تتراجع عن موقفها وقلبها يسبح الله الواحد وروحها ثابتة على الإيمان العميق، وتؤكد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

آمنت غزية بنت جابر بالدين الإسلامي وانفتحت أمامها أبواب الرحمة.. والنور والحب والخير والجمال.. وأشرق قلبها مفتوناً بعظمة هذا الدين الذي يخرج الناس من ظلمات التوحش إلى نور الهداية والتسامح والمحبة.

وبدأت تتعلم أصول هذا الدين.. من أحاديث الرسول ﷺ وتصلي سراً مع المسلمات، وتدعو ربها أن ينصر المسلمين ورسول الإسلام. وحين أيقنت أنها قد استوعبت بعض علوم الدين الإسلامي قررت أن تقوم بوعظ النساء ودعوتهن للحق واليقين.

شعرت غزية بنت جابر أن عليها رسالة علمية يجب أن تباشرها.. ورحلة دعوة لله بين نساء قريش لتشرح لهن بعض معالم وأفكار هذا الدين الجديد الذي يحترم المرأة ويصون الحقوق ويكفل العدل للجميع والمساواة بين الغني والفقير.

ساهمت غزية بدور كبير في الدعوة للدين الإسلامي فكانت تزور النساء سراً دون أن يراها أحد أو يعرفها.. وتجلس بين نساء قريش وتتحدث عن أسس العقيدة الإسلامية وتشرح للنساء بعضاً من الآيات الكريمة، وتفسر بعضاً من مواقف الرسول وأهداف دعوته ورسالته.

كانت غزية هي المعلمة للنساء تشرح لهن مبادئ العقيدة وتدعوهن إلى الإيمان عن اقتناع وصدق وفهم واستيعاب أفكار هذا الدين. واستطاعت أن

تُقنع كثيراً من النساء بنبذ تعاليم الجاهلية وعبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد الذي لا شريك له إطلاقاً.

وانتشر أمر السيدة الداعية الواعظة بين النساء.. وتربص لها بعضهم واقتادوها إلى قومها للانتقام منها وعقابها، لأنها قد أسلمت ونشرت تعاليم الإسلام في بيوت قريش سراً بين النساء.

وصاح أهلها:

– والله لنعذبنك عذاباً شديداً.

وذاقت الداعية غزية مرارة العذاب.. وعن ذلك تقول:

– تركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري ويقولون اتركي ما أنت عليه. ما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة. وأنا أشير بأصبعي إلى السماء بالتوحيد.

وظلت هذه المؤمنة الصابرة المجاهدة ثابتة الإيمان واثقة النفس قوية الهمة والعزيمة. وهي في غرفة مظلمة حبيسة دون طعام أو ماء. وترفع رأسها إلى الله تستجير به من هؤلاء الظالمين وهول ما تعاني من فظائعهم.

وفي النهاية لم يستطع هؤلاء الكفار أن يجعلوا غزية الصابرة الداعية المؤمنة أن تتحول عن الدين الإسلامي، بل إن بعضهم حين شاهدها تعاني تلك المعاناة اقتنع بموقفها ونطق بالشهادة ودخل الإسلام.

غزية بنت جابر.. طيف من العذاب عابر.. ريح تضرب القلب الحائر.. في ظلام الغرفة تنام.. رفيقها دمع الآلام.. صوت السياط يلهب الجدران.. خيوط دماء تخضب المكان.. هل تتراجع المؤمنة الصامدة؟ هل تنهزم الروح العابدة؟

غزية بنت جابر رفضت صورة العبيد.. والقهر.. والسجن وقضبان الحديد.. ورفعت أصبعها للسماء بإشارة التوحيد.. وغامت الدنيا وأشرق النهار.. وانكسر السوط.. وانهزم الكفار.

-٤٤-

لبابة بنت الحارث

لبابة بنت الحارث.. شجرة وارفة الظلال.. نبع الحب والجمال.. شُجاعة في مواقفها.. ومؤمنة عالمة بدينها.. معبرة عن أفكارها.. سريعة الخاطر.. رقيقة المشاعر.. في مواقفها عبرة.. وفي رؤياها فكرة.

محبة للعلم والعلوم.. عابدة للحي القيوم.. اكتسبت في الحديث مهارة.. في كل قضية إشارة.. وفي كل رأي نقاش وجواب.. وفي مجد العلم حياة وثواب.

لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية من رواة الحديث الشريف، حيث روت أحاديث كثيرة وروى عنها ابنها عبد الله بن العباس وأنس بن مالك. ولبابة هي زوجة العباس عم النبي – ﷺ.

وأم لبابة هي خولة بنت عوف القرشية التي شهد لها الرسول - ﷺ - بالإيمان العميق مع أخوات مؤمنات مثلها هن: ميمونة وأسماء وسلمى.

أنجبت لبابة خير الرجال، وقامت على تربيتهم، وعلمتهم أصول الدين، وكيف يشقون طريق حياتهم على هدى من نور الله وكتابه الكريم، وسنن الرسول - ﷺ- وأحاديثه وتعاليمه.

كانت بذلك مثالاً رائعاً لصورة الأم التي وهبت حبها وفكرها لتربية أبنائها ورعايتهم بالحب والإيمان. ويقال إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم المؤمنين ووقفت بجوار الرسول - ﷺ- في دعوته تستمع إليه تسانده وتقف معه في جهاده من أجل إعلاء كلمة الحق والنور.

لبابة بنت الحارث.. أم الفضل وزوجة العباس عم النبي - ﷺ - من خير النساء وأكثرهم رفعة وتكريما، ولذلك كان الرسول - ﷺ- يزورها ويجلس في بيتها ويتحدث معها كثيراً عن أموره وشئون دعوته.

اكتسبت معرفة عميقة من رسول الإسلام وروت عنه كثيراً من الأحاديث الشريفة وسمعت آيات القرآن الكريم وحفظت وعلمت أولادها ووعظت النساء وعلمتهن وثقفتهن فنالت مكانة كبيرة بين النساء والقبائل.

ومن مواقفها التي تميزت بالحكمة أنها حين كُثر تساؤل الناس يوم عرفة هل رسول الله - ﷺصائم أم مفطر؟ فكرت كيف تجد مخرجاً لهذه المشكلة..

فاستدعت أحد أولادها وبعثت معه بكوب لبن إلى النبي - ﷺ - وهو بعرفة. فتناوله النبي على مرأى من الناس.

ومن مواقف الشجاعة لهذه السيدة المؤمنة الفاضلة أنها ضربت أبو لهب، وشجت رأسه حين كان يتهجم على المسلمين. ويقال إن أبا لهب سقط على الأرض مغشياً عليه، ثم قام ذليلاً وظل عدة أيام مريضاً بسبب ذلك.

لبابة بنت الحارث فرع طيب من أصل كريم ومن أروع النماذج النسائية التي عاشت في ظل الإسلام تتعلم وتعلم.. تدرس وتُدرس.. تتفقه وتُفقه.. وتتألق بإيمانها وشجاعتها وعزيمتها وحياتها الكريمة.

لبابة بنت الحارث شجرة وارفة الظلال.. نبع الحب والجمال.. شجاعة في مواقفها ومؤمنة عالمة بدينها.. معبرة عن أفكارها.. سريعة الخاطر.. رقيقة المشاعر.. في مواقفها عبرة.. وفي رؤياها فكرة.

محبة للعلم والعلوم.. عابدة للحي القيوم.. اكتسبت في الحديث مهارة.. في كل قضية إشارة.. وفي كل رأي نقاش وجواب.. وفي مجد العلم حياة وثواب.

-٤٥-

سمية بنت خياط

سمية بنت خياط.. أول شهيدة من الأبرار.. وضعوا على صدرها الأحجار.. وأشعلوا في قلبها النار.. صرخت الصحراء من لوعة ودمار.. ونزفت الدماء تروي الأشجار.. سلام أيها الصامدون.. سلاماً يا أم عمار.

الريح تعصف في زمان عاثر.. وأبو لهب جاهل وغادر.. مزق صدرها بطعنات خناجر.. تشهق الروح وتحلق بين المنابر.. والجسد ملقى يبحث عن ساتر.. صبراً صبراً آل ياسر.. موعدكم جنة الشهيد المثابر.

أول شهيدة في الإسلام.. الزهرة التي ظلت تضربها الريح من كل إتجاه ولكنها تظل صامدة بعزيمة إيمانها.. وتشعر بأن حياتها يهون فيها الموت من أجل أن تظل على إسلامها وعهدها الدائم بأن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

سمية بنت خياط صورة نادرة صعب أن تتكرر في التاريخ مرة أخرى.. حيث يكمن إيمانها الحقيقي في موقفها تجاه الكفار فهي المرأة الصادقة.. العابدة.. المؤمنة.. المجاهدة التي عذبها الكفار كي تتراجع عن الدين الإسلامي فتقول: لا.

ويضع الكفار على صدرها الأحجار.. ويهيلون على وجهها التراب.. ويعذبونها في الصحراء الشديدة القيظ.. ولكن سمية المؤمنة.. التي تمكن حب الإسلام من روحها.. ووهبت حياتها من أجل الجهاد في سبيل الله ترفض أن تتخلى عن موقفها الكبير وتفخر إنها المسلمة المؤمنة، وتردد في وجوه الكفار:

- لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.

ولم تكن وحدها التي تتعذب ولكن أيضاً لزوجها ياسر وولدها عمار.. قصة من أروع قصص التضحية والفداء في سبيل الله.

وتبدأ رحلة العذاب والألم حين أعلن عمار ولدها إنه قد آمن برسالة محمد – ﷺ– وعرض عليهما الإيمان بالرسول – ﷺ – وبعد أن شرح عمار لوالديه هذا الدين الجديد وما يحمله من خير وفضائل وحياة أخرى قائمة على عبادة الله الواحد، في ظل منهاج التسامح والمحبة والعلم واحترام الإنسان. وأعلنت سمية وزوجها ياسر إسلامهما فكانت سمية سابعة سبعة في الإسلام.

وعندما علم الكفار بذلك انقضوا على الأسرة المؤمنة بطرحهم في الصحراء.. وضربهم.. ووضع الحجارة الكبيرة على صدورهم.. حتى يرجعوا عن دين الإسلام، ولكن سمية تقول: لا. وزوجها ياسر يؤكد ويرفض.. وولدهما عمار أيضاً يثبت على إيمانه وإصراره عدم التراجع.

ويشاهد الرسول الكريم الأسرة المسلمة في رحلة العذاب فيدعو لهم ويقول:

– صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

وتسمع سمية كلمات الرسول – ﷺ– فتقول وهي تعاني الألم:

– أشهد أنك رسول الله وأن وعدك حق.

وشاهدت سمية زوجها وهو يعاني ويتألم ويصرخ، ولكنه ثابت على الدين الإسلامي حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وودع الحياة.

وظلت شامخة.. ترفض أن تطيع الطغاة.. ترفض أن تلين وتسقط منكسرة.. ظلت السيدة المؤمنة.. المجاهدة.. التي علمت كل النساء معنى التضحية والجهاد من أجل الله ورسوله.

هي أول شهيدة في الإسلام.. من مواقفها تعلمنا كيف نلتزم بالمبادئ.. وننتمي إلى ديننا العظيم. ويكمن درسها العلمي والإنساني في استشهادها وصيحتها الدائمة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وينظر الطغاة إليها وهي ترفض أن تطيعهم وتتمنى الشهادة.. يقترب منها أبو جهل.. لا يدري كيف يرغمها على التردي والتراجع. فلا يجد من شيء يفعله.. سوى أن يطعنها بحربة في يده.. وتنساب الدماء.. تتدفق فوق الصحراء.. وتصرخ الرمال في ذل وانحناء.. وتئن الريح وتعوى في الفضاء.. وفاضت روحها البريئة إلى السماء لنتعلم منها شجاعة الموقف.. وشموخ الروح في مواجهة قوى التعسف والظلم وأجمل معاني الثبات على الموقف والتضحية من أجل إعلاء كلمة الله.

إنها سمية بنت خياط.. أول شهيدة من الأبرار.. وضعوا على صدرها الأحجار.. وأشعلوا في قلبها النار.. صرخت الصحراء من لوعة ودمار.. ونزفت الدماء تروي الأشجار.. سلام أيها الصامدون.. سلاماً يا أم عمار.

الريح تعصف في زمان عاثر.. وأبو لهب جاهل وغادر.. مزق صدرها بطعنات خناجر.. تشهق الروح وتحلق بين المنابر.. والجسد ملقى يبحث عن ساتر.. صبراً صبراً آل ياسر.. موعدكم جنة الشهيد المثابر.

-٤٦-

فاطمة بنت الخطاب

فاطمة بنت الخطاب.. صوت يتلو من خلف الباب.. يسمعه عمر بن الخطاب.. قرآناً يسري في الخفاء.. هل هذا سحر أم صوت نداء يلمس القلب في فضاءات العمق؟ هاقد ذهب الباطل وأشرق الحق.

يا صاحبة الفخر والعز والمجد.. يا سيدة المشاعر.. والحس والوجد.. ها قد انفجر المد.. وقرأ ابن الخطاب لغة الخلد.. وتجاوز النور كل حد.

فاطمة بنت الخطاب المرأة التي واجهت قريش.. واحتملت الشدائد في سبيل الدعوة الإسلامية ونصرة الرسول - ﷺ- وقد تميزت بالبلاغة والأدب الرفيع وتعد من المبايعات الأوليات، ومن رواة أحاديث الرسول - ﷺ- وتملك قدرة على التحليل والتفسير ومناقشة قضايا الدين والحياة بحكمة ورجاحة عقل وإحساس متوهج ومشاعر رقيقة.

آمنت فاطمة قبل أخيها عمر بن الخطاب وكانت تخفي إسلامها عنه، وقد بدأت تؤمن بالدعوة حين حدثها زوجها سعيد بما كان من أمر إسلامه، وأخذ يشرح لها ما عرفه عن الدين الإسلامي وهي تصغي إليه بكل جوارحها وأعماقها.

وعندما أنهى حديثه شهدت بالشهادتين، وأصبحت من المسلمات الأوائل تقرأ وتتعلم القرآن مع زوجها عندما كان يأتي إليهما الصحابي خباب بن الأرت يقرأ عليهما آيات من القرآن الكريم.

وشعرت فاطمة بالخوف أن يشيع خبر إسلامها، ولا سيما أن أخاها عمر بن الخطاب وقف ضد الدعوة الإسلامية في بداية الأمر.

وفي أحد الأيام.. بينما عمر بن الخطاب يمضي في طريقه متوجهاً نحو دار الأرقم ليفتك برسول الله، إذ لقيه رجل من بني زهرة فسأله:

– أين تريد ياعمر؟ وما لي أراك غاضباً هائجاً متوشحاً سيفك؟

فقال له عمر:

– أريد أن أقتل محمداً.. ذلك الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها.

فقال الرجل:

– تالله لقد غرتك نفسك من نفسك ياعمر.. أترى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

فقال عمر: وأي أهل بيتي؟

قال الرجل:

– ختنك (صهرك) وابن عمك وأختك فاطمة فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه.

واشتد غضب عمر، وقال:

- أو قد فعلا ذلك؟ لأقتلنهما شر قتلة.

وما أن دنا عمر من باب أخته فاطمة حتى سمع أصواتاً تردد كلاماً لم يتبينه، فدخل فرأى خباب بن الأرت يقرأ على مسمع أخته وزوجها آيات من القرآن الكريم.

فلما سمعا عمر أخذت فاطمة الصحيفة تحت يدها لتواريها.

وقال عمر بن الخطاب:

- ما هذه الهيمنة التي سمعت.

وهجم على أخته وضربها وأخذ منها الصحيفة ليقرأها.

فقالت له أخته:

- يا أخي إنك نجس على شركك ولا يمسها إلا الطاهر.

فقام واغتسل وقرأ من سورة طه، وقال:

- ما أطيب هذا الكلام وأحسنه وأكرمه.

وخرج عمر بن الخطاب إلى دار الرسول - عليه الصلاة والسلام - وأعلن إسلامه.

وهكذا ارتبطت حياة فاطمة وأخبارها بقصة إسلام عمر. وعاشت فاطمة لترى أخاها أميراً للمؤمنين، وقد ذكر أنها روت عن الرسول ﷺ.

ورحلت فاطمة بنت الخطاب ومازال صوتها يتلو من خلف الباب.. يسمعه عمر بن الخطاب. قرآنا يسري في الخفاء.. هل هذا سحر أم صوت نداء؟ يلمس القلب في أعماق العمق.. ها قد ذهب الباطل.. وأشرق الحق.

يا صاحبة الفخر والعز والمجد.. يا سيدة المشاعر.. والحس والوجد.. ها قد انفجر المد.. وقرأ ابن الخطاب لغة الخلد.. وتجاوز النور كل حد.

- ٤٧ -

أم أنس

أم أنس.. يا من هاجرت من عالم الفناء.. وانحازت إلى الخلد والبقاء.. ورفضت صخب وضوضاء.. وعاشت في صدق وضياء.. في كل وقت صوتها يتلو القرآن وفي كل يوم دعاء.. وتسابيح وغفران.

الصحابية التي نبض قلبها بالخير والتقوى.. واتخذت ظلال المحبة مأوى.. تدعو إلى العبادة وعن الشر تنأى.. يهفو القلب إلى النور ويهوى.

أم أنس والدة عمران بن أبي أنس من أهم رواة الحديث عن الرسول – ﷺ. كانت دائمة العبادة.. محبة للقرآن تحفظه وتتلوه.. وتناقش المسلمات في أمور الدين وحين تواجه مشكلة في ذلك تلجأ إلى رسول الله – ﷺ– تستفسر منه وتتعلم وتستمع وتحفظ ما يقوله.

عاشت امرأة صالحة من نساء المسلمات وصحابية صادقة ومؤمنة فاضلة تميزت بالطهر.. والذكاء والرحمة والتسامح والحب العميق لكل الناس والوقوف معهم في المحن ومناصرتهم في الشدائد.

الإسلام لديها علم وسلوك وحياة خالية من الإثم.. حياة نقية تقاوم الشر وتمحو الفساد وتبصر الحق وتتأثر بالجمال وتعرف التسامح والغفران.

أماعن مواقفها مع رسول الله - ﷺ- فقد كانت تستشيره وتناقشه وتتعلم منه وتروي عنه الحديث.

تقول أم أنس:

- أتيت رسول الله - ﷺ- فقلت له:

- جعلك الله في الرفيق الأعلى من الجنة وأنا معك.

قال الرسول - عليه الصلاة والسلام:

- أقيمي الصلاة.. فإنها أفضلُ الجهاد.. واهجُري المعاصي فإنها أفضلُ الهجرة.. واذكري الله كثيراً فإنه أحب الأعمال إلى الله.

هكذا يكون الدرس العميق في الحياة: الصلاة وهجر المعاصي وذكر الله.. ومن خلال هذه المفاهيم التربوية كانت أم أنس تعرف طريقها، فتقيم الصلاة، وتذكر الله، وتدعو الناس إلى تجنب المعاصي.

كانت سيدة فاضلة عميقة التفكير.. تسأل وتبحث وتخزن في ذاكرتها كل ما تعلمته، وتجلس بين النساء تحاول أن تثقفهن وترشدهن وتمنحهن من علمها في صدق وحماس كبير.

وظلت أم أنس حديث الناس ومثالاً للمرأة العابدة الفاضلة والقلب الكبير الذي تعلم من رسول الله - ﷺ- معنى الحب والعطاء، وكيف يعيش المرء لمجتمعه ودينه ينشر الخير ويرشد الآخرين إلى طريق الصلاح.

كانت أم أنس حقاً نموذجاً لصورة المرأة المسلمة العابدة، ومن أهم رواة الحديث الذين اعترف بفضلها كثير من المؤرخين والمفسرين والدعاة، فمن هي هذه الصحابية الصالحة التقية؟

هي التي هاجرت من عالم الفناء.. وانحازت إلى الخلد والبقاء.. ورفضت صخب وضوضاء.. وعاشت في صدق وضياء. في كل وقت صوتها يتلو القرآن.. وفي كل يوم دعاء وتسابيح وغفران.

الصحابية التي نبض قلبها بالخير والتقوى.. واتخذت ظلال المحبة مأوى.. تدعو إلى العبادة وعن الشر تنأى.. يهفو القلب إلى النور ويهوى.

-٤٨-

هند بنت عُتبة

هند بنت عُتبة فصيحة المقال.. ثرية العبارة.. خصبة الخيال.. عميقة الفكر.. صاحبة الأمر.. في أعماقها ثورة وتمرد.. وفي موقفها رفض وتفرد.. ليس سهل إقناعها.. ومن الصعب احتواؤها وإخضاعها.

امرأة جميلة النساء بين المدن والبلاد.. عُرف عنها أنها آكلة الأكباد.. الصوت الصارخ في البرية.. غضب الصحراء في الجاهلية.. ثائرة رافضة وحشية.. في أعماقها عصور من الهمجية.. سيدة النساء الثائرات دون صبر أو روية.

حين احتواها نسيم الإسلام.. ترقرق قلبها بالحب والأحلام.. وسبحت روحها في نهر الإنسجام واحتوت ولدها وحملت في القلب همه، وقالت:

- ثكلته إن لم يسد إلا قومه.

هند بنت عُتبة.. سيدة العلم.. وأميرة الحكمة.. جميلة الوجه.. حازمة الموقف.. صلبة الرأي شجاعة لا تهاب أحداً.. شاعرة مبدعة.. ذات ثقة كبيرة بشخصيتها.. وكبرياء عال. زوجها أبي سفيان بن حرب وولدها معاوية بن أبي سفيان الذي أصبح خليفة للمسلمين.

هند بنت عُتبة امرأة طموحة.. فخورة بنسبها وأهلها.. وزوجها وولدها. وقد شاهدها الناس كيف تتحدث عن ولدها بفخر فقالوا لها:

- لعله إن عاش ساد قومه.

ولكنها لم يرق لها هذا المديح فقالت في كبرياء:

- ثكلته إن لم يسد إلا قومه.

تحققت طموحاتها الكبيرة في ولدها إذ أصبح معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين يعيش في ترف وثراء، ويحكم المسلمين ويرسل القادة والولاة ويعزل من يشاء، وأصبح شهيراً في التاريخ الإسلامي.

في موقفها رفض وتفرد.. ليس سهل إقناعها.. ومن الصعب احتواؤها وإخضاعها لكل ما لا تقتنع به أو تؤمن بأهميته وبعد طلاقها من زوجها الأول الفاكهة بن المغيرة المخزومي، قالت لوالدها عتبة بن ربيعة:

- إني قد ملكت أمري.. فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليّ.

وتقدم لها رجلان ووصفهما أبوها لها فاختارت أبو سفيان بن حرب، وقبل أن تعرف اسمه قالت عنه في لغة بديعة:

- بعل الحرة الكريمة.. إني لأخلاق هذا لوامقة.. وإني له لموافقة.. وإني لآخذه بأدب البعل مع لزومى قبتي وقلة تلفتي. وإن السليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته الذائد عن كتيبتها. المحامي عن حقيقتها.. الزائن لأرومتها..غير مواكل.. ولا زُميل عند ضعضعة الحوادث.. فمن هو؟

هند بنت عُتبة كانت امرأة حادة.. وشرسة قبل إسلامها.. فقد قُتل أبوها في موقعة بدر وعمها وأخوها، وظلت تبحث عن فرصة للانتقام من حمزة بن عبد المطلب، لأنه قتل أباها في المعركة.

وقد تزعمت المشركين وخرجت وراءها مجموعة من النساء وهن يشجعن جنود قريش ويصرخن بهذه الكلمات:

نحـــــن بنـــــات طـــــارق
نمشـــــي علـــــى النمـــــارق
إن تقبلـــــــوا نعـــــــانق
وإن تـــــــدبروا نفـــــارق

وفي غزوة أحد أوعزت هند بنت عُتبة إلى عبد لديها اسمه: وحشي بن حرب أن يتبع حمزة ويقتله ووعدته بالحرية. واستطاع هذا العبد الوحشي أن

يسدد رمحاً في صدر حمزة، وتأتي هند بنت عُتبة وتمزق جسد حمزة بالسكين وتنزع كبده وتمضغها. وأطلقوا عليها: آكلة الأكباد.

وبعد مدة بدأت تتحقق من الدعوة الإسلامية وتسمع القرآن فيرق قلبها، وترتعش أوصالها فذهبت مع مجموعة من النساء إلى الرسول - ﷺ- وقالت في ثقة وشجاعة:

- أنا هند بنت عُتبة..

واستقبلها الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالتسامح والغفران ودخلت الإسلام مذهولة من كرم الرسول - ﷺ- وتسامحه.

وتحولت هذه المرأة الوحشية إلى مسلمة تقية عابدة نادمة على حياتها في الجاهلية، وترقرقت روحها وتخلت عن أحقادها.. وتوحشها وحفظت القرآن الكريم وأحاديث الرسول - ﷺ- وتفقهت في الدين واكتسبت العلم بين الصحابة والخلفاء وروت كثيراً من الأحاديث النبوية.

وروى عن هند ابنها معاوية بن أبي سفيان وعائشة أم المؤمنين. ولها مجموعات من القصائد في الرثاء.

ورحلت الجميلة الحالمة.. بعد حياة هادئة مسالمة.. وعاشت فصيحة المقال.. ثرية العبارة.. خصبة الخيال.. عميقة الفكر.. صاحبة الأمر.. في أعماقها ثورة.. وتمرد وفي موقفها رفض وتفرد.. ليس سهل إقناعها.. ومن الصعب احتواؤها وإخضاعها.

امرأة جميلة النساء بين المدن والبلاد.. عُرف عنها أنها آكلة الأكباد.. الصوت الصارخ في البرية.. غضب الصحراء في الجاهلية.. ثائرة رافضة وحشية.. في أعماقها عصور من الهمجية.. سيدة النساء الثائرات دون صبر أو روية.

-٤٩-

الخنساء

الخنساء.. شاعرة الشعراء.. الصحابية أم الشهداء.. كانت درة زمانها.. وفريدة عصرها.. بالحكمة سما قدرها.. والإيمان أثرى صبرها.. وأنار قلبها.. وشرح صدرها.. وفي الجهاد شرفها أبناؤها.. بعد أن أسلموا طائعين.. وهاجروا مختارين.

فمن يمنح الشاعرة وردة من نقاء؟ من يكتب الشعر بدم الشهداء؟ من يصلي الآن فوق القمة الشماء؟ أيتها المجاهدة يا أم الأبناء.

الخنساء هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، من قبيلة مضر التي اعتبرها الرسول – عليه الصلاة والسلام – حصن القبائل العربية.

كانت مزيجا من العلم.. والأدب والفصاحة والشجاعة والمروءة والوقار. شاعرة اشتهرت في الجاهلية بقصائد الرثاء عن أخويها معاوية وصخر ودوت الصحراء تردد تلك المراثي البديعة حتى صارت أعظم امرأة شاعرة.

وقد شهد لها الرسول - ﷺ- بتميزها وإبداعها وقد أعجب بشعرها وكان يطلب منها أن ترده باستمرار، وقال عنها لعدي بن حاتم حين تحدث عن أشعر وأسخى وأفرس الناس:

- ليس كما قلت يا عدي.. أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو.. وأما أسخى الناس فمحمد رسول الله.. وأما أفرس الناس فعلي بن أبي طالب.

تعبر حياتها عن أروع صورة للأم الصابرة.. الشجاعة.. المؤمنة عندما استشهد أبناؤها الأربعة في معركة القادسية. وقبيل المعركة اجتمعت بهم وقالت لهم هذه الوصية التي سجلها التاريخ الإسلامي من أعظم الوصايا الإسلامية في الحرب.. فقالت:

- يابني إنكم أسلمتم طائعين.. وهاجرتم مختارين.. ووالله الذي لا إله إلا هو انكم بنو امرأة واحدة.. ما خنت أباكم.. ولا فضحت خالكم.. ولا هجنت حسبكم.. ولا غيرت نسبكم.. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين.. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية.

يقول الله عز وجل:

"يا أيها الذينَ آمنوا اصبروا وصابرُوا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون). (آل عمران ٢٠٠).

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين.. فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين.. وبالله على أعدائه مستنصرين.. فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن

ساقها.. واضطربت لظى على سياقها.. وجللت ناراً على أوراقها.. فتيمموا وطيسها.. وجالدوا رئيسها عن احتدام حميسها.. تظفروا بالغنم والكرامة.. في الخلد والمقامة.

واستشهد أولادها الأربعة.. فقالت تلك الكلمات التي ما زال التاريخ يرددها:

– الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم.. وأرجو من ربي أن يجمعنى بهم في مستقر رحمته.

وقد أجرى عمر بن الخطاب للخنساء أرزاق أولادها الأربعة. وظلت مثالاً عظيماً للتضحية والأم المثابرة.. الحزينة الفخورة بشهادة أولادها في الحرب.

وتوفيت في عهد عثمان بن عفان في العام الرابع والعشرين هجرية.

ومن نماذج الرثاء ما قالته عن أخيها صخر:

يذكرني طلوع الشمس صخراً   واذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي   على موتاهم لقتلت نفسي

الخنساء.. شاعرة الشعراء.. الصحابية أم الشهداء.. كانت درة زمانها.. وفريدة عصرها.. بالحكمة سما قدرها.. والإيمان أثرى صبرها.. وأنار قلبها.. وشرح صدرها.. وفي الجهاد شرفها أبناؤها.. بعد أن أسلموا طائعين.. وهاجروا مختارين.

فمن يمنح الشاعرة وردة من نقاء؟ من يكتب الشعر بدم الشهداء؟ من يصلي الآن فوق القمة الشماء؟ أيتها المجاهدة يا أم الأبناء.

-٥٠-
مسيكة

مسيكة.. امرأة الطهر والحرية.. الجارية التي رفضت العبودية.. والخضوع لتعاليم وعادات الجاهلية.. وعاشت حياتها مسلمة نقية.. بعيدة عن كل إثم أو خطية.

الصحابية العفيفة الوجدان.. العابدة المشرقة بالإيمان.. تجاوزت آثام الدنيا وقهرت الشيطان.. أسلمت ومضت في درب الإيمان.. وتألقت روحها.. تطهرت في سلام.. ارتقت.. وسمت نفسها.. وشفت.. وعلت وغشاها نور الإسلام.

إنها سيدة الفكر القويم.. صلبة الرأي.. عنيدة الموقف.. منحازة أبداً إلى عهدها الوثيق مع الرسول – ﷺ– أن تظل نقيه صافية بيضاء.. بعيدة عن طريق الخطايا.. والإثم والشرور.

إنها السيدة الفاضلة.. المتفقهة التي فاض عقلها بتعاليم الدين الإسلامي.. وتحصن قلبها بنعمة الثواب.. والخير. وتمردت على العبودية ورفضت الخضوع لتعاليم عصر الجاهلية وذهبت إلى الرسول – ﷺ – تشهد

أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فأسلمتْ وبايعتْ النبي – عليه السلام – على ألا تشرك باللَّه شيئاً.. ولا تسرق ولا تزني ولا تقتل أولادها.. ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديها ورجليها.. ولا تعصيه فى معروف.

وذلك مصداقاً لقوله تعالي:

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ ولا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (الممتحنة:١٢).

كانت مسيكة قبل الإسلام جارية لعبد اللَّه بن أبي بن سلول رأس النفاق فى المدينة، ولكن بعد إسلامها تبدل بها الحال وتمردت على العبودية، ورفضت أن تُباع للرجال في سوق الرقيق، لأنها قد أسلمتْ وبايعتْ النبي ﷺعلى ألا تشرك باللَّه شيئاً، ولا تسرق ولا تزني ولا تقتل أولادها، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديها ورجليها، ولا تعصيه فى معروف.

وكان البِغاء من عادات الجاهلية المرذولة.. حيث كان الرجل يدفع بجواريه وإمائه إلى راغبي المتعة ومبتاعي الرذيلة رجاء الكسب وابتغاء المال.

وذات يوم أراد عبد اللَّه بن أبي بن مسلول أن يدفع بجاريته المسلمة إلى تلك السبيل المرذولة، لكن المسلمة العفيفة رفضت ذلك.. وذهبت إلى رسول اللَّه – ﷺ– تشكو إليه حالها فاستمع إليها وقدَّر فيها موقفها، ورفضها للإثم والفجور والخطيئة.

ثم ما لبث أن نزل عليه قول اللَّه تعالى:

"وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ" النور(٣٣ – ٣٤).

وهكذا نزل القرآن في هذا الموقف ليؤيد السيدة الفاضلة الطاهرة مسيكة. فقد حازت احترام الرسول – ﷺ– وإعجابه بشجاعتها ورفضها معصية الله.

وكان هذا بداية إلغاء الرق والعبودية في دولة الإسلام. ويعود الفضل إلى هذه الصحابية الجليلة.. فى تثبيت دعائم الفضيلة.

إنها مسيكة.. امرأة الطهر والحرية.. الجارية التي رفضت العبودية.. والخضوع لتعاليم وعادات الجاهلية.. وعاشت حياتها مسلمة نقية.. بعيدة عن كل إثم أو خطية.

الصحابية العفيفة الوجدان.. العابدة المشرقة بالإيمان.. تجاوزت آثام الدنيا وقهرت الشيطان أسلمت ومضت في درب الإيمان. وتألقت روحها.. تطهرت في سلام.. ارتقت.. وسمت نفسها.. وشفت.. وعلت وغشاها نور الإسلام.

-٥١-
فاطمة بنت أسد

فاطمة بنت أسد.. سيدة النساء.. صاحبة العز والكبرياء.. شمس الحنان.. ووردة البستان.. ورفيقة دمعة اليتيم.. والعطف والشوق الحميم. فمن ينسى ذكر القلب الرحيم؟ من يقدر أن ينساها؟ أو يعيش دون ذكراها؟ فما أروع تقواها.. وصبرها وثباتها.. وسجاياها؟

زوجة عم الرسول أبي طالب وأم علي بن أبي طالب. وقد تربى النبي – ﷺ– على يديها حين كان في بيت عمه. فقامت ترعاه أجل رعاية وتحنو عليه أرق حنان، فكانت بمثابة الأم الحقيقية له.

نشأت السيدة فاطمة فى بيت من أشرف بيوت قريش وأعزها.. فأبوها هو "أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وأمها فاطمة بنت قيس، وقد تزوجت فاطمة بنت أسد من أبي طالب فولدت له طالبًا وعقيلاً وجعفرًا وعليّا وأم هانئ.. وجمانة.. وربطة.

تعتبر من أوائل من دخل الإسلام، وهاجرت مع النبي – ﷺ– إلى المدينة في أول الهجرة وتحملت المشقة وساندت النبي عليه السلام وأحبته وربته صغيراً بين أبنائها وجعلته لا يشعر بغربة أو يتم إطلاقا.

تميزت فاطمة بخلق طيب.. ونفس صافية نقية.. وتقوى.. وإيمان عميق نابع من صلتها بالرسول - ﷺ- حيث لم تكن تفارقه أبداً ولذلك تعلمت منه.. وتفقهت وأصبحت مصدراً للنقل والرواية.

وروت عن النبي - ﷺ- أكثر من خمسين حديثاً.

لما تُوفِّيت دخل عليها النبي عليه السلام وجلس عند رأسها.. وقال:

- رحمك اللَّه يا أمي.. كنت أُمي.. تجوعين وتشبعيني.. وتعرّيْنَ وتكسينني.. وتمنعين نفسك طيبها وتطعمينني.. تريدين بذلك وجه اللَّه والدار الآخرة.

ثم أمر أن تغسل ثلاثًا. فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول اللَّه - ﷺ- بيده. ثم خلع قميصه. فألبسها إياه.. وكفنها.

ولما حُفِر قبرها وبلغوا اللَّحد حفره النبي - ﷺ- بيده وأخرج ترابه، فلما فرغ دخل فاضطجع فيه ثم قال:

- اللَّه الذي يحيي ويميت.. وهو حي لايموت.. اللّهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد.. ولقِّنها حجتها.. ووَسِّعه عليها بحق نبيك والأنبياء من قبلي.. فإنك أرحم الراحمين.

ثم كبَّر عليها أربعًا. وأدخلها اللحد ومعه العباس وأبو بكر الصديق يساعدانه.

وعندما سأله الصحابة. ما رأيناك صنعتَ بأحد ما صنعتَ بهذه.

قال الرسول - ﷺ:

- إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرّ بي منها.. وإنما ألبستُها قميصي لتُكْسَى من حُلل الجنة، واضطجعتُ فى قبرها لأُهَوِّنَ عليها عذاب القبر.

هذه هي منزلة السيدة فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب عند رسول اللَّه - ﷺ- حيث كانت ترعاه رعاية خاصة.. فقد كانت تشعر باليُتْم الذي يعانيه حتى إنها كانت تفضله على أبنائها.

وتوفيت فاطمة بنت أسد في المدينة في عهد الرسول - ﷺ- وحزن على فراقها الجميع وظلت في القلب ذكراها.. بعد أن غابت شمسها في السماء.

فاطمة بنت أسد.. سيدة النساء.. صاحبة العز والكبرياء.. شمس الحنان.. ووردة البستان.. ورفيقة دمعة اليتيم.. والعطف والشوق الحميم.

فمن ينسى ذكر القلب الرحيم؟ من يقدر أن ينساها؟ أو يعيش دون ذكراها؟ فما أروع تقواها.. وصبرها وثباتها.. وسجاياها.

-٥٢-

فاختة بنت أبي طالب (أم هانئ)

فاختة بنت أبي طالب سيدة الصدق والوفاء.. من بيتها بدأ الإسراء.. ووقفت حائرة بين الجهر والإخفاء.. آمنت برحلة خاتم الأنبياء.. في ذات الليلة بعد صلاة العشاء.. من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم سابع سماء.

لا تخافي يا ابنة أبي طالب.. ذاك عصر الجهل كاذب.. والرياء والنفاق والزور غالب.. فجاء الحق يطهر القلوب.. يزرع الورد في الدروب.. فمن يقرأ كتاب الغيوب؟ من صور الشروق والغروب؟ سوى رب العالمين.. مالك يوم الدين.

أم هانئ ابنة عم النبي – ﷺ- تَرَّبتْ معه فى بيت أبيها أبي طالب فكانت تُكِنّ له المودة التامة والحب الكثير. وكانت قبل إسلامها تدفع عنه أذى المشركين.. وتنصره فى كل تحركاته فى سبيل اللَّه.. وكان يصل فيها رحمه.. فكان يزورها ويطمئن عليها.

إنها أم هانئ فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابنة عم النبي، وأخت الإمام علي وأمها. فاطمة بنت أسد.

روى أنه لما عاد رسول الله من ثقيف "الطائف"، وكان حزيناً لإعراض أهلها عن دين اللَّه توجه لزيارتها ثم بات عندها فكان ما كان من حادثة الإسراء والمعراج.. فكانت أم هانئ تحدث بحديث الإسراء والمعراج.. حتى قيل:

– ما ذكر الإسراء والمعراج إلا وذكر معه اسم أم هانئ.

قالت أم هانئ:

– ما أُسرى برسول اللَّه – ﷺ- إلا وهو فى بيتي نام عندنا فى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة.. ثم نام ونمنا.. فلما كان قبيل الفجر أيقظنا رسول اللَّه.. وقال:

– يا أم هانئ! لقد صلَّيتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتِ بهذا الوادي.. ثم جئتُ بيت المقدس فصلَّيتُ فيه.. ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما تَرَيْنَ.

وقام ليخرج.. فأخذت بطرف ردائه.. فقلت له:

– إني أذكرك الله.. أنك تأتي قومك يكذبونك وينكرون مقالتك.

قال الرسول ﷺ:

– واللَّه لأحدثنّهُمُوه.

قلت لجارية لي حبشية:

– ويحك اتبعي رسول اللَّه حتى تسمعي ما يقول للِناس.. وما يقولون له.

فلما خرج رسول اللَّه – ﷺ– إلى الناس أخبرهم.. فعجبوا. فذكر لهم دلائل وعلامات على صدق ما يقول.

وكانت قبل إسلامها زوجة لهبيرة بن أبي وَهْب بن عمرو المخزومي.. وأنجبتْ منه: عمرة. وجعدة. وهانئًا. ويوسف. وطالبًا. وعقيلاً. وجمانة.

وقد تولى ابنها جعدة بن هبيرة ولاية خراسان فى عهد الإمام علي.

وقد أسلمت أم هانئ يوم فتح مكة.. بينما فَرَّ زوجها هبيرة هاربًا.. وقال فى ذلك شعرًا:

لَعَمْـرك ماولَّيْـتُ ظهـري محمـدًا وأصحابه جبنًا ولاخيفة القَتلِ
ولكني قَلَّبتُ أمري فلم أجد لسيفي غنـاءً إن ضُـربتُ ولا نبلـي

فلما علم النبي – ﷺ- بأمرها وفرار زوجها هارباً كارهاً أن يدخل في دين اللَّه تقدم إليها ليخطبها، فقالت:

– واللَّه إني كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام.. ولكني امرأة مُصبية أي عندي صبيان وأكره أن يؤذوك. يا رسول اللَّه! لأنتَ أحبُّ إليّ من سَمْعِي وبَصَرِي وحقُّ الزوج عظيم. فأخشى إن أقبلتُ على زوجي أن أضيع بعضَ شأني وولدي، وإن أقبلتُ على وَلَدِي أن أضيع حق الزوج.

فقال الرسول – ﷺ:

– "نساء قريش خير نساء ركبن الإبل. أحناه على طفل.. وأرعاه على زوج فى ذات يده.

ومن مواقفها الأخرى مع الرسول – ﷺ- تقول:

– ذهبتُ إلى رسول الله يوم الفتح.. فوجدتُه يغتسل.. وفاطمة تستره بثوب.. فسلمتُ.. فقال الرسول – ﷺ:

– من هذه؟

قلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب.

فقال الرسول – ﷺ:

–"مرحبًا بأم هانئ".

فلما فرغ من غسله.. قام فصلى ثمان ركعات ملتحفًا في ثوب واحد.

فقلتُ: يا رسول الله.. زعم ابن أمي – تعني عليًّا – أنه قاتل رجلاً قد أجرتُه: فلان بن هبيرة.

فقال الرسول – ﷺ:

–"قد أجرْنا من أجرتِ يا أم هانئ.

وقد روتْ عن النبي أحاديثَ كثيرة. وتُوفيت أم هانئ سنة أربعين هجرية.

ورحلت عن الحياة سيدة الصدق والوفاء.. من بيتها بدأ الإسراء.. ووقفت حائرة بين الجهر والخفاء.. آمنت برحلة خاتم الأنبياء. في ذات الليلة بعد صلاة العشاء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم سابع سماء.

لا تخا في يا بنت أبي طالب.. ذاك عصر الجهل كاذب.. والرياء والنفاق والزور غالب.. فجاء الحق يطهر القلوب.. يزرع الورد في الدروب.. فمن يقرأ كتاب الغيوب؟ من صور الشروق والغروب؟ سوى رب العالمين.. مالك يوم الدين.

-٥٣-

الحولاء العطارة

الحولاء العطارة.. وردة في مهب الريح.. يبكي قلبها الجريح.. غفت على وسادة من الندم.. ما بين الرضا والسخط والعدم.. إلى أين أيتها المسافرة في نهر بكاء؟ الحب رحلة حنان وعطاء.. رعشات في القلب وخفق ونداء.

فمن يمسح عن الشمس أحزانها؟ ومن يهب النجمات أضواْها؟ ومن يرد للروح بقائها؟ ومن يحفظ سواكِ أسرارها؟

الحولاء سيدة بسيطة تتاجر في الطيب والعطارة وفي يوم ما سألها زوجها معروف، فرفضت ونهرته بشدة وغضب عليها، فحاولت أن ترضيه، فمضى ساخطاً عليها، وظلت تبكي بشدة وقررت أن تذهب إلى دار رسول الله – ﷺ.

ثُمَّ قَصَّتْ لَهُ الْقِصَّةَ، فَقَالَ الرسول – ﷺ:

يا حَوْلاءُ .. مَا مِنِ امْرَأَةٍ تَرْفَعُ عَيْنَهَا إِلَى زَوْجِهَا بِالْغَضَبِ إلا كُحِّلَتْ بِرَمَادٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ. يَا حَوْلاءُ.. والَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً وَرَسُولا إِنَّ لِلرَّجُلِ حَقّاً عَلَى امْرَأَتِهِ إِذَا دَعَاهَا تُرْضِيهِ وَإِذَا أَمَرَهَا لا تَعْصِيهِ وَلا تُجَاوِبُهُ بِالْخِلافِ وَلا تُخَالِفُهُ وَلا تَبِيتُ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَلَوْ كَانَ ظَالِماً وَلا تَمْنَعُهُ نَفْسَهَا إِذَا أَرَادَ وَلَوْ كَانَتْ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ.

يَا حَوْلاءُ.. إِنَّ الْمَرْأَةَ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تُرْضِيَ زَوْجَهَا إِذَا غَضِبَ عَلَيْهَا.. وَلا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْظُرَ إِلَى وَجْهِهِ نَظْرَةً مُغْضِبَةً.. وَلَكِنْ تَقْتَحِمُ عَلَى رِجْلَيْهِ تُقَبِّلُهُمَا وَتَمْسَحُ عَلَى رِجْلَيْهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا رَبُّهَا، وَإِنْ سَخِطَ عَلَيْهَا فَقَدْ سَخِطَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهَا.

– يَا حَوْلاءُ...

وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً وَرَسُولا لَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّيَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ فَعَرَضَنِي عَلَى جَنَّتِهِ وَنَارِهِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءَ.

فَقَالَتِ الْحَوْلاءُ:

- يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ:

- لأَنَّهَا إِذَا غَضِبَتْ عَلَى زَوْجِهَا سَاعَةً تَقُولُ:

- مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ عَسَى أَنْ تَكُونَ قَدْ وَلَدَتْ مِنْهُ أَوْلاداً.

يَا حَوْلاءُ.. لِلرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَلْزَمَ بَيْتَهُ وَتَوَدَّدَهُ وَتُحِبَّهُ وَتُشْفِقَهُ وَتجتنب سَخَطَهُ.. وَتَتَّبِعَ مَرْضَاتَهُ وَتُوفِيَ بِعَهْدِهِ وَوَعْدِهِ وَتَتَّقِيَ صَوْلَاتِهِ وَلا تُشْرِكَ مَعَهُ أَحَداً فِي أَوْلاده.. وَلَا تُهِينَهُ وَلا تُشْقِيَهُ وَلا تَخُونَهُ فِي مَشْهَدِهِ وَلا فِي مَالِهِ.

يَا حَوْلاءُ.. مَنْ كَانَتْ مِنْكُنَّ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ لا تَجْعَلُ زِينَتَهَا لِغَيْرِ زَوْجِهَا وَلا تُبْدِي خِمَارَهَا وَمِعْصَمَهَا.. وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ جَعَلَتْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِ زَوْجِهَا فَقَدْ أَفْسَدَتْ دِينَهَا وَأَسْخَطَتْ رَبَّهَا عَلَيْهَا.

يَا حَوْلاءُ ... مَا مِنِ امْرَأَةٍ تَسْتَخْرِجُ مَا طَيَّبَتْ لِزَوْجِهَا إلا خَلَقَ اللَّهُ لَهَا فِي الْجَنَّةَ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ فَيَقُولُ لَهَا كُلِي وَاشْرَبِي بِمَا أَسْلَفْتِ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ.

يَا حَولاءُ.. مَا مِنِ امْرَأَةٍ تَحَمَّلُ مِنْ زَوْجِهَا كَلِمَةً إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهَا بِكُلِّ كَلِمَةٍ مَا كَتَبَ مِنَ الأجْرِ لِلصَّائِمِ وَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَتِ الْحَولاءُ:

- يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ - هَذَا كُلُّهُ لِلرَّجُلِ؟

قَالَ: ﷺ - نَعَمْ.

قَالَتْ:

- فَمَا لِلنِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ:

- أَخْبَرَنِي أَخِي جِبْرَئِيلُ وَلَمْ يَزَلْ يُوصِينِي بِالنِّسَاءِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَلا يَحِلَّ لِزَوْجِهَا أَنْ يَقُولَ لَهَا أُفٍّ.. يَا مُحَمَّدُ اتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ عَلَى أَمَانَاتِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا اسْتَحْلَلْتُمْ مِنْ فُرُوجِهِنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ مِنْ فَرِيضَةٍ وَسُنَّةٍ وَشَرِيعَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - ﷺ.

فَإِنَّ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقّاً وَاجِباً لِمَا اسْتَحْلَلْتُمْ مِنْ أَجْسَامِهِنَّ وَبِمَا وَاصَلْتُمْ مِنْ أَبْدَانِهِنَّ وَيَحْمِلْنَ أَوْلَادَكُمْ فِي أَحْشَائِهِنَّ حَتَّى أَخَذَهُنَّ الطَّلْقُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَشْفِقُوا عَلَيْهِنَّ وَطَيِّبُوا قُلُوبَهُنَّ حَتَّى يَقِفْنَ مَعَكُمْ، وَلا تَكْرَهُوا النِّسَاءَ وَلا تَسْخَطُوا بِهِنَّ، وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا بِرِضَاهُنَّ.

وكان حديث الرسول - ﷺ- درساً في الحياة للبشر فقد كانت الحولاء العطارة.. وردة في مهب الريح.. يبكي قلبها الجريح.. وغفت على وسادة من الندم.. ما بين الرضا والسخط والعدم.. إلى أين أيتها المسافرة في نهر بكاء؟ الحب رحلة حنان وعطاء.. رعشات في القلب وخفق ونداء.

فمن يمسح عن الشمس أحزانها؟ ومن يهب النجمات أضواءها؟ ومن يرد للروح بقاءها؟ ومن يحفظ سواكِ أسرارها؟

-٥٤-

ليلى بنت أبي حثمة

ليلى بنت أبي حثمة المهاجرة في الصحراء.. ما بين الأرض والسماء.. لا مال ولا بيت ولا ماء.. سوى الرحيل والتقوى رداء.. تتجاوز محن الآلام والشقاء.

ليلى سيدة الموقف والحوار.. تناقش تتعلم تدرك الأسرار.. تكشف عن مشاعر الولاء.. الحب والعطف والعزة والكبرياء.

تعد سيدة من نساء الإسلام الخالدات اللاتى تحملن الشقاء وواجهن المصاعب، من أجل الدعوة ومساندة الرسول – ﷺ.

هاجرت في رفقة زوجها وتخلت عن كل شيء كانت تملكه من دار ومال وأرض، لأنها عرفت حقيقة الإسلام وعظمته.. فضحَّت من أجله بكل غالٍ ونفيس. فقد أسلمت وجهها للَّه وبايعت النبي – ﷺ– وهاجرت مع زوجها إلى أرض الحبشة الهجرتين الأولى والثانية.

وأنها لما أقدمت على الهجرة مع زوجها عبد اللَّه بن عامر ابن ربيعة.. وتوجها معاً صوب الجنوب نحو الحبشة.. قابلهما عمر بن الخطاب وذلك قبل أن يُسلم. فقال لهما:

- إنه الانطلاق يا أم عبداللَّه.

فقالت له بلا خوف ولا تردد:

- نعم واللَّه لنخرجنّ في أرض اللَّه.. آذيتمونا وقهرتمونا.. حتى يجعل الله لنا مخرجاً.

فقال عمر بن الخطاب:

- صحبكم اللَّه.

ثم انصرف. فقالت لزوجها:

- يا أبا عبد الله.. لو رأيت عمر آنفاً ورِقَّته وحزنه علينا!

- قال: أطمعتِ فى إسلامه؟

قالت: نعم.

قال: فلا يُسلم الذي رأيت حتى يُسلم حِمَارُ الخطاب.

قال أبو عبد الله ذلك لما كان يرى فى عمر وغيره من المشركين من الغلظة تجاه المسلمين الجدد. وأسلم عمر بن الخطاب وأصبح يغار على الإسلام والمسلمين وكرّس حياته فى خدمة هذا الدين.

ومن مواقفها مع الرسول - ﷺ- أنه ذات مرة سمعها رسول اللَّه تنادي ابنها عبد اللَّه بن عامر، وهو طفل فقالت:

- هاكَ تعالَ أعطيك.

فقال لها النبي - ﷺ:

-"وما أردت أن تعطيه؟"

قالت: أُعطيه تمراً.

فقال النبي – ﷺ:

- أما إنك لو لم تعطيه شيئاً لكتبت عليك كذبة.

وهكذا كان رسول اللَّه – ﷺ- يعلِّم أصحابه.. ولا سيما أمام الأطفال، لكي يزرع في أعماقهم الأخلاق الإسلامية السامية. فأعطى للمرأة درساً فى معاملة أولادها بالصدق... لتكون نموذجاً للمسلمة الصادقة مع أولادها.فمن تكون هذه الصحابية القديرة؟

إنها ليلى بنت أبي حثمة المهاجرة في الصحراء.. ما بين الأرض والسماء.. لا مال ولا بيت ولا ماء.. سوى الرحيل والتقوى رداء.. تتجاوز محن الآلام والشقاء.

ليلى سيدة الموقف والحوار.. تناقش تتعلم تدرك الأسرار.. تكشف عن مشاعر الولاء.. والحب والعطف والكبرياء.

-٥٥-

زينب بنت أم سلمة

عاشت في بيت النبوة.. بين فضائل القيم وسحر القدوة.. تبحر روحها في مراكب الهداية.. وفي ظلال الدعوة كانت البداية.. فالدين سر الوجود

والنهاية.. وصوت القرآن يعلو في كل الفتوحات.. للهدى دعاء وابتهالات.. وللحق فرسان وصولات.

زينب بنت أم سلمة القرشية المخزومية من مواليد الحبشة عندما كانت أمها مهاجرة مع زوجها، ولكن مات الزوج وعادت أم سلمة مع طفلتها إلى المدينة وتزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام.

عاشت زينب في رحاب الدعوة الإسلامية تنهل من نبع الحياة الجديدة وتتعلم أصول الدين وحكمته وتسمع من أحاديث الرسول - ﷺ- ما يضيء أمامها طريق الحياة فتشرق النفس بروائع الكلام.. وتهتدي روحها مع نسمات الهداية والأمان تستمتع بالقيم الإسلامية العظيمة التي يدعو إليها الرسول - ﷺ.

أصبحت زينب من أفقه نساء زمانها وقيل عنها:

- إنها من الثقات الفقيهات فقد عاشت وتربت بين يدي رسول الله - ﷺ- عندما تزوج أمها السيدة أم سلمة.

وقد اعترف الكثير بعلمها وقدرتها في مواجهة المشاكل التي تنشأ بين المسلمين، وكيف كان الناس يعتزون برأيها ويقتنعون بأفكارها ولا عجب فى ذلك، فقد تعلمت من رسول الله - ﷺ- الكثير من شئون الدنيا والحياة والدين.

ومن المواقف التي تدل على علمها وثقافتها الدينية حين قال أبو رافع:

- غضبت يوماً على امرأتي فقالت:

- هي يوماً يهودية ويوماً نصرانية، وكل مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك.

فذهبت إلى عبد الله بن عمر وقصصت له ما حدث. فقال:

- إنما هذه من خطرات الشيطان. وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفقه امرأة في المدينة.

وكان أبو رافع يردد دائماً ويقول:

- كنت إذا ذكرت امرأة فقيهة بالمدينة ذكرت زينب بنت أم سلمة.

ومن فضائل زينب العلمية والفقهية أنها حفظت عن النبي - ﷺ - وروت الأحاديث عنه، وكذلك عن أمها. وروى عنها أولادها.

وقضت حياتها بين الناس تعظ بالكلام الطيب.. وترشد وتعلم.. وتناقش وتستعلم وتنصت إلى كلام رسول الله - ﷺ- وتفهم وتدرك وتحفظ بفكر عميق وإيمان وثيق.. وثبات على الحق.. وشغف بالمعرفة والعلم.

ورحلت زينب بنت أم سلمة بعد حياة حافلة بالجهاد في سبيل الله.. وقيامها بوعظ الناس وتعليم النساء فضائل دينهم الإسلامي.

عاشت في بيت النبوة.. بين فضائل القيم وسحر القدوة.. تبحر روحها مع نسمات الهداية.. وفي ظلال الدعوة كانت البداية.. فالدين سر الوجود والنهاية.. وصوت القرآن يعلو في كل الفتوحات.. للهدى دعاء وابتهالات.. وللحق فرسان وصولات.

-٥٦-

فارعة الثقفية

الصحابية الصادقة.. والعالمة الواثقة.. والفقيهة العارفة.. بسر المعرفة.. والشاعرة الأصيلة.. والسيدة الجليلة.

إنها العابدة التقية.. فارعة ابنة أبي الصلت الثقفية.. حياتها تأمل في عجائب الكون.. بين ضربات الريح.. ونغمات السكون.. تملك الإيمان قلبها.. أشرق الطريق أمامها واستضاء بالهدى دربها.

وهي أيضاً أخت أُمية بن أبي الصلت. تميزت بالتأمل العميق في الحياة.. والتأثر بقصائد أخيها في الحكمة والموت والوجود. آمنت بالرسول – ﷺ – والتزمت بالعبادة وقراءة القرآن.. تأثرت بأخيها تأثراً عميقاً فكانت تحفظ قصائده في الحكمة.. ولذلك عندما مات سألها الرسول– ﷺ – عن لحظات وفاته فقالت هذه الرواية:

– إني رأيتُ بينما هو راقد إذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه. فقال الذي عند رجليه:

– وَعَى. فقال: أزكا؟ قال: أزكا.

فسألته عن ذلك.

فقال:

– خير أريد بي ثم قطرت عينه ثم غشى عليه. فلما آفاق قال:

كــل عــيش وإن تطــاول دهــره صــائراً أمــره إلى أن يــزو لا
ليتــني كنــتُ قبــل مــا قــد بــدا لي في تــلال الجبــال أرعــى الوعــولا
اجعل الموت نصب عينك واحذر غولــة الــدهر إن للــدهر غــولا
إن يــوم الحســاب يــوم عظــيم فيــه شـيب الصـغار يومـاً ثقـيلاً

قال لها الرسول ﷺ:

- ما أطيبه من شعر.. سألتك بالله أعيديه.

فأعادت عليه شعر أخيها وأنشدت شعراً جميلاً فقالت:

لـك الحمـدُ والنعمـاء والفضـل ربنـا فــلا شــيء أعلــى منــك داً وأمجــد
مليك على عرش السماء مُهيمن لعزتــه تعنــو الوجــوه وتسجــدُ

وقال الرسول - ﷺ:

-كان مثل أخيكِ كمثل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان، فكان من الغاوين آمن شعره وكفر قلبه.

وعاشت فارعة أكثر النساء إيماناً ومعرفة من خلال الحياة الإسلامية، وفي ظل تعاليم الرسول - ﷺ.

اكتست حياتها بالفضائل.. والكرم والخلق الطيب والمثل العليا النابعة من القرآن الكريم، وحياة الرسول - ﷺ- وأحاديثه وسننه. فارعة الثقفية سيدة النساء في عبادتها.. وتقواها وإيمانها وإسلامها.. إلى جانب ثقافتها وتفقهها في علوم الدين.

إنها الصحابية الصادقة.. والعالمة الواثقة والفقيهة العارفة.. بسر المعرفة.. والشاعرة الأصيلة.. والسيدة الجليلة .. والعابدة التقية.. فارعة ابنة أبي الصلت الثقفية.

حياتها تأمل في عجائب الكون.. بين ضربات الريح.. ونغمات السكون.. تملك الإيمان قلبها.. أشرق الطريق أمامها.. واستضاء بالهدى دربها.

-٥٧-
أسماء بنت عميس

أسماء بنت عميس الروح المهاجرة.. الصحابية الصابرة.. والعالمة الفقيهة.. والمتعبدة المؤمنة... اتسعت لديها البصيرة.. وتعمق فكرها.. فكانت مدهشة وقديرة في الرؤيا لها تفسير.. وفي الحكمة تعبير.. وفي الحديث أروع تصوير.

أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث هي أخت ميمونة زوج النبي – ﷺ– وأخت لبابة أم الفضل زوجة العباس ولقد لقبت بصاحبة الهجرتين، لأنها هاجرت إلى الحبشة ثم المدينة.

تزوجت أسماء بنت عميس جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله – ﷺ– أحد السابقين إلى الإسلام وأحد المدافعين عن الحق الواقفين في وجه الظلم والكفر.

عاشت أسماء زوجة وفية ومجاهدة صابرة، حيث هاجرت إلى الحبشة بصحبة زوجها من جملة المسلمين المهاجرين متحملين أذى قريش وطغيانهم ظلت في ديار الغربة قرابة خمسة عشر عاماً.

وأثناء استقرار المسلمين في الحبشة جاء وفد من قريش إلى ملك الحبشة "النجاشي" يطالبونه بطرد المسلمين، وإرجاعهم إلى مكة وكان من ضمن وفد قريش عمرو بن العاص. فقالوا:

– قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء. فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم.

فما كان من النجاشي إلا أن أرسل يطلب وفد المسلمين يسألهم بشأن هذا الأمر. فتقدم جعفر بن أبي طالب. زوج أسماء – رضي الله عنها فقال:

– أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع الأوثان، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

فنشوّق النجاشي لسماع المزيد فسأله عما ما جاء به النبي – عليه الصلاة والسلام – من عند الله. فأسمعه من سورة مريم فبكى النجاشي حتى اخضلّت لحيته، وبكى معه أساقفته.

فقال النجاشي:

– إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا. فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكيدهم أحد. فكان ذلك سبباً في إسلام النجاشي. وكان النجاشي سبباً في إسلام وفد قريش الذي كان من بينهم عمرو بن العاص.

عادت أسماء من الحبشة متوجهة إلى هجرة ثانية إلى المدينة المنورة، وفرح الرسول – عليه الصلاة والسلام – بعودتهما وقد صاحب ذلك فتح خيبر فقال:

– لا أدري بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر؟ أو بقدوم جعفر؟

فمضت أسماء إلى بيت النبوة. تزور زوجاته وبناته. ومضى جعفر مع الرسول – عليه الصلاة والسلام – يشارك في كل المعارك.

وقد استشهد زوجها فحزنت حزناً شديداً فقامت تصيح وتنحب، حتى اجتمع عليها الناس يهدئونها من روعها. فقال عليه الصلاة والسلام:
– يا أسماء لا تقولي هجراً ولا تضربي صدراً.

تقدّم لها أبو بكر الصديق طالباً الزواج منها فقبلت الزواج منه، وانتقلت معه إلى بيت الزوجية.

وكانت نعم الزوجة المخلصة وبقيت عنده إلى أيام خلافته وأنجبت له ابنه "محمداً". وعندما أحس أبو بكر الصديق بدنو أجله. أوصى أسماء بتغسيله، وأوصاها إن كانت صائمة في ذلك اليوم أن تفطر.

أخذت أسماء على عاتقها الدعوة إلى الله وتربية أبنائها من جعفر وابنها محمد من أبي بكر. تدعو الله أن يوفقهم ويصلح الله بينهم.

تزوجت بعد ذلك علي بن أبي طالب وعاشت معه فكانت نموذجاً حياً لأخلاق القرآن والإسلام.

وتمر الأيام والأحداث حتى فجعت بمقتل زوجها الخليفة علي بن أبي طالب، فلم تعد قادرة على احتمال المصائب والأوجاع حتى وقعت صريعة المرض، تتلوى من شدة الألم على فراق أزواجها الصحابة الطاهرين وولدها محمد بن أبي بكر، وفاضت روحها إلى السماء العليا.

إنها أسماء بنت عميس الروح المهاجرة.. الصحابية الصابرة.. والعالمة الفقيهة.. والمتعبدة المؤمنة.. اتسعت لديها البصيرة.. وتعمق فكرها فكانت مدهشة وقديرة في الرؤيا لها تفسير.. وفي الحكمة تعبير.. وفي الحديث أروع تصوير.

-٥٨-
أم حرام بنت ملحان

أم حرام... طائر السلام.. الوجه المسافر على جناح الأحلام.. تحلم أن تموت شهيدة.. فارسة في المعارك عنيدة.. في ساحات القتال تحارب.. ومع الفرسان تمضي في مواكب.

أم حرام.. معلمة في الإسلام.. تعلم النساء.. معنى العطاء.. في الحب والفداء.. وتحدي الصعاب.. في نهر العذاب. فمن يقرأ آيات الكتاب؟ من يفتح للرحمة أبواب؟ سوى رب العباد غافر الذنوب التواب.

صحابية من أكابر النساء.. روت كثيراً من الأحاديث عن رسول الله - ﷺ- وهي أخت أم سليم.. وخالة أنس بن مالك خادم رسول الله.. وأيضاً زوجة الصحابي الجليل عبادة بن الصامت.

ولدت في المدينة.. وأسلمت.. وبايعت النبي - ﷺ- وهاجرت وتحملت مشقة الرحيل.. وصابرت من أجل نشر الإسلام.

اكتمل إيمانها الكبير.. وتمنت أن تجاهد وتخرج مع الأبطال والفرسان لتحارب أعداء الإسلام وتدعو الناس إلى عبادة الله الواحد. وقد تحقق لها هذا الحلم عندما تزوجت من الصحابي الجليل عبادة ابن الصامت وخرجت معه في إحدى الحروب، واستشهدت في إحدى الغزوات.

كانت تتحدث مع الرسول - ﷺ- حين كان يزورها في بيتها، وطلبت منه أن يدعو لها أن تكون مع الغزاة وتستشهد من أجل إعلاء كلمة الله.

وقد قال لها رسول الله - ﷺ:

- ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة.

فقالت أم حرام:

- يا رسول الله.. ادع الله أن يجعلني منهم.

فدعا لها الرسول - ﷺ- وتحقق لها هذا الحلم أن تموت شهيدة في إحدى المعارك البحرية التي خاضها المسلمون ضد الأعداء.

تميزت هذه الصحابية بحبها لقومها وللناس ومساعدتها لكل الفقراء والمحتاجين، ودعوتها إلى الدين الإسلامي فكانت تجلس مع النساء توعظهن وتعلمهن أمور الدين، وتقص عليهن ما سمعته من النبي - ﷺ- في الحياة.

تعلمت أم حرام الكثير من أمور العقيدة الإسلامية من خلال اتصالها المباشر برسول الله - ﷺ- وشغفها بالمعرفة وحفظ القرآن الكريم والتفقه فيه. وقد اعتاد الرسول عليه السلام أن يزورها فتنصت له وتفهم وتتعلم.

يقول أنس بن مالك:

- دخل علينا رسول الله - ﷺ- ما هو إلا أنا وأمي وخالتي أم حرام فقال:

- قوموا لأصل بكم.

فصلى بنا في غير وقت صلاة.

وهذا يؤكد مدى العلاقة الشديدة بين أم حرام والرسول، فقد كانت هي وأختها أم سليم خالتين لرسول الله - ﷺ- إما من الرضاع وإما من النسب.

أم حرام بنت ملحان شهد لها الجميع بفضائلها وصدقها وحياتها التي قضتها بين العبادة ورواية الحديث. سيدة تمثلت بالخلق الكريم والصفات الطيبة وتحلت بالقيم الإسلامية. فمن تكون هذه الصحابية؟

إنها أم حرام.. طائر السلام.. الوجه المسافر على جناح الأحلام.. تحلم أن تموت شهيدة فارسة.. في المعارك عنيدة.. في ساحات القتال تحارب.. ومع الفرسان تمضي في مواكب.

أم حرام.. معلمة في الإسلام.. تعلم النساء.. معنى العطاء.. في الحب والفداء.. وتحدى الصعاب.. في نهر العذاب. فمن يقرأ آيات الكتاب؟ من يفتح للرحمة أبواب؟ سوى رب العباد غافر الذنوب التواب.

-٥٩-

أم معبد الخزاعية

أم معبد الخزاعية.. تعبر في تلقائية.. وتصف بحرية.. في لغة ناثرة .. حاضرة الخاطرة.. في حديثها وجد وإلهام.. وفي وصفها مافاق الكلام.

الصدق من سماتها.. والحسن على قسماتها.. والشعر في لسانها.. والعذوبة من صفاتها.. فمن أين يتدفق نهرها؟ وإلى أين تنساب آفاقها؟

المرأة الفصيحة التي وصفت رسول الله – ﷺ– فهي صحابية جليلة.. وسيدة ملهمة.. بليغة العبارة.. استطاعت أن تصف الرسول في كلمات فياضة بالمعنى الجميل.. والصدق في التعبير دون مبالغة.

وقد ألهمها الله العلم.. ووهبها القدرة في التعبير والروعة في اللغة. لم تكن من النساء ذوات الشهرة في الجاهلية، بل كانت امرأة بدوية لا تتعدى شهرتها

خيمتها أو أهلها.. وقد هبطت عليها البركة عند نزول النبي - ﷺ- ضيفاً عليها عند هجرته إلى المدينة حتى غدت بذلك إحدى شهيرات النساء في الإسلام.

اسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ أخت حبيش بن خالد الخزاعي الكعبي الصحابي.. وهو صاحب حديث أم معبد الخزاعية.

- عن أبي معبد الخزاعي - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ- لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر. ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية.

كانت امرأة جلدة برزة تحتبي وتقعد بفناء الخيمة.. ثم تسقي وتطعم.. فسألوها تمراً أو لحماً يشترون.. فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك.. فقالت:

- والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى.

فنظر رسول الله - ﷺ- إلى شاة في كسر الخيمة فقال:

- ما هذه الشاة يا أم معبد؟

قالت:

- هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم.

فقال: هل بها من لبن؟

قالت: هي أجهد من ذلك.

قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟

قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً!

فدعا رسول الله – ﷺ- بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال:

– اللهم بارك لها في شاتها. قال:

– فتفاجت ودرت واجترت، فدعا بإناء لها يربض الرهط فحلب فيه ثجاً حتى عليه الثمال فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب رسول الله – ﷺ- آخرهم فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل حتى أراضوا، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها.

فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً حيلاً عجافاً هزلى ما تساوق مخهن قليل لا نقي بهن فلما رأى اللبن عجب وقال:

– من أين لكم هذا والشاة عازبة ولا حلوبة في البيت؟ قالت:

– لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. قال:

– والله إني لأراه صاحب قريش الذي يطلب.. صفية لي يا أم معبد، قالت:

– رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة.. متبلج الوجه.. حسن الخلق.. لم تعبه ثلجة.. ولم تزر به صلعة.. وسيم قسيم.. في عينيه دعج.. وفي أشفاره وطف.. وفي صوته صحل.. أحور أكحل أزج أقرن.. شديد سواد الشعر.. في عنقه سطع.. وفي لحيته كثافة.. إذا صمت فعليه الوقار.. إذا تكلم سما وعلاه البهاء.. وكأن منطقة خزرات نظم يتحدرن.. حلو المنطق فصل.. لا نزر ولا هزر.. أجهر الناس وأجمله من بعيد.. وأحلاه وأحسنه من قريب.. ربعة لا

تشنؤه من طول.. ولا تقتحمه عين من قصر.. غصن بني غصنين.. فهو أنضر الثلاثة منظراً.. وأحسنهم قدراً.. له رفقاء يحفون به.. إذا قال استمعوا لقوله.. وإذا أمر تبادروا إلى أمره.. محفود محشود.. لا عابث ولا منفد.

قال: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر.. ولو كنت وافقته يا أم معبد لقررت أن أصحبه.. لأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

وأصبح صوت بمكة عالياً بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من ينادي.. وهو ينشد شعراً:

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتي أم معبد فأفلح
هما نزلا بالبر وارتحلا به	من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم	به من الأفعال لا يجازى وسودد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهناً لديها لحالب	تدر بها في مصدر ثم مورد

تلك صورة أم معبد الخزاعية.. تعبر في تلقائية.. وتصف بحرية.. في لغة ناثرة.. حاضرة الخاطرة.. في حديثها وجد وإلهام.. وفي وصفها ما فاق الكلام.

الصدق من سماتها.. والحسن على قسماتها.. والشعر في لسانها.. والعذوبة من صفاتها.. فمن أين يتدفق نهرها؟ وإلى أين تنساب آفاقها؟

-٦٠-

أم رعلة القشيرية

أم رعلة القشيرية هذه السيدة البدوية.. عاشت في البرية.. في حديثها فصاحة وفي وجهها ملاحة.. تبحث في كل رأي وقضية.. كيف تساهم النساء في درب الجهاد والفداء؟

آمنت وانطلقت مع مواكب المسلمين.. تعلمت وتأثرت ولمست اليقين.. شاهدت حولها الصحراء في خشوع.. وكائنات تسبح في نهر الدموع.. فمن يدرك سر الغفران؟ ومن يعرف أسرار الإيمان؟

أم رعلة القشيرية سيدة تميزت بالبساطة ولكنها اكتسبت من الصحراء حولها وشعراء البادية ذكاء وسعة أفق وشعور مرهف وتأمل عميق فيما يدور حولها من أحداث وما يثار من آراء وأفكار.

وقفت ذات مرة مع نفسها وفكرت لماذا لا تساهم مع الآخرين في الحروب والمعارك ضد الكفار؟ ولماذا يظل دور المرأة في تربية الأولاد ورعاية البيت وانتظار الزوج بعد يوم عمل وشقاء؟

وذهبت إلى الرسول – ﷺ– وقالت له:

– السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته..

وأجاب الرسول – ﷺ– السلام فقالت:

- إنا ذوات الخدور.. ومحل أزر البعول.. ومربيات الأولاد.. وممهدات المهاد ولا حظ لنا في الجيش الأعظم.

فقال لها الرسول - ﷺ:

- ليكن بذكر الله عز وجل آناء الليل.. أطراف النهار.. وغض البصر.. وخفض الصوت.

وكلما واجهت مشكلة ظلت تفكر حتى تلقى الرسول - ﷺ - وتناقشه في كل شيء، مخافة أن تخالف تعاليم الإسلام أوتكون آثمة أو اقترفت ذنباً دون أن تدري.

أم رعلة القشيرية كانت في الجاهلية تمارس مهنة: المقينة للنساء.. تقوم على زينتهن وتصفيف شعورهن كما يحدث في عصرنا الآن بما يسمى "صالون النساء"، فذهبت إلى الرسول - ﷺ- تستفسر منه عن مهنتها تلك.

وقالت له:

- يا رسول الله إني مقينة أقين النساء وأزينهن لأزواجهن، فهل هو حوب "إثم" فأثبط عنه؟

فقال لها الرسول - ﷺ:

- يا أم رعلة قينيهن وزينهن إذا كسدن.

وحين غابت حياة الرسول - ﷺ- ورحل عن الدنيا انتاب الحزن أم رعلة القشيرية، وظلت تبكي في النهار والليل وتمشي في أزقة المدينة ومعها الحسن والحسين، وتردد أشعاراً في الرثاء منها:

يـا دار فاطمـة المعمـور سـاحتها　　هيجـت لي حزنـا حييـت مـن دار

ورحلت أم رعلة القشيرية، وظل صوتها تردد أشعاره الأشجار في الصحراء ويذكرها الجميع هذه السيدة البدوية، عاشت في البرية.. في حديثها فصاحة.. وفي وجهها ملاحة.. تبحث في كل رأي وقضية.. كيف تساهم النساء في درب الجهاد والفداء؟

آمنت وانطلقت مع مواكب المسلمين.. تعلمت وتأثرت ولمست اليقين.. شاهدت حولها الصحراء في خشوع.. وكائنات تسبح في نهر الدموع.. فمن يدرك سر الغفران؟ ومن يعرف أسرار الإيمان؟

-٦١-

حواء بنت يزيد بن السكن

حواء بنت يزيد.. لمس روحها الدين الجديد.. فالطيور على الشجر لها تغريد والحياة في ثوبها الفريد.. والأمل يزهو والطموح عنيد.

يا سيدة الحسن والخلق الرفيع.. هداكِ الله للحصن المنيع.. فالفجر يشق الأبـواب والظلـم يهـوى في بحـر السـراب.. مـن يتحـدى الجهـل مـن يتحمـل العذاب؟

إنها حواء بنت يزيد رغم الخوف حين تعلن إسلامها.. لا تبصر سوى النور أمامها وترفض الخفاء.. وتقاوم في فخر وإباء.

وانطلقت حواء بنت يزيد تساهم في الحياة الإسلامية تتجلى في أحلى صورة وأرق سيدة تتكامل فيها معاني الكرم والحب والخير والعطاء. فلا تتوقف إلا لتمنح من زادها ومالها وعطفها ولا تذهب في مهمة إلا وتساهم مع الناس في مواجهة المشاكل والمحن.

رغم موقفها الرائع في الحياة الإسلامية شعرت حواء بالحزن الشديد، لأن زوجها قيس بن الحطيم لم يؤمن بالدعوة، وقال للرسول - ﷺ:

- ما أحسن ما تدعو إليه وأن الذي تدعو إليه لحسن ولكن الحرب شغلتني عن هذا الحديث.

فقال الرسول - ﷺ:

- يا أبا يزيد أن صاحبتك حواء قد بلغني أنك تسيء صحبتها قد فارقت دينك فاتق الله واحفظني فيها ولا تعرض لها.

فقال قيس بن الحطيم:

- نعم وكرامة.. لا أعرض لها إلا بخير.

وحين عاد إلى البيت قال لحواء:

- يا حواء لقيت صاحبك محمداً فسألني أن أحفظك فيه، وأنا والله وافٍ بما أعطيته فعليك بشأنك فوالله لا ينالك مني أذى أبداً.

وظل قيس بن الحطيم وفياً لوعده مع الرسول - ﷺ- وكلما سمع أحدهم يقول له:

- يا أبا يزيد امرأتك تتبع دين محمد.

يجيب قيس بن الحطيم:

- قد جعلت لمحمد ألا أسوءها وأحفظه فيها.

وظلت حواء بنت يزيد مثالاً يجسد المرأة المسلمة التي تواجه الصعاب وتعلو عليها وتخطو في عالم من طهر وعبادة بعد أن لمس روحها الدين الجديد.. فالطيور على الشجر لها تغريد.. والحياة في ثوبها الفريد.. والأمل يزهو والطموح عنيد.

يا سيدة الحسن والخلق الرفيع.. هداكِ الله للحصن المنيع.. فالفجر يشق الأبواب والظلم يهوى في بحر السراب.. من يتحدى الجهل من يتحمل العذاب؟

إنها حواء بنت يزيد رغم الخوف حين تعلن إسلامها.. لا تبصر سوى النور أمامها وترفض الخفاء.. وتقاوم في فخر وإباء.

-٦٢-

خولة بنت حكيم

خولة بنت حكيم.. فكر عميق ورأي حكيم.. ورحلة قلب في بحر النعيم.. تحلم أن تتوج الأزهار حياتها.. ويشرق النهار حولها.. وبجسد الإيمان روحها.. فمن يلهم سحرها؟.. ومن يدرك سرها؟.. صاحبة فن الحوار.. في طرح الأخبار.

خولة بنت حكيم بن أمية السلمية.. صحابية جليلة.. أسلمت وآمنت بالدعوة الإسلامية تزووجها عثمان بن مظعون من سادة المهاجرين.. وأحد أولياء الله المتقين.. وأول من دفن بالبقيع.

كانت خولة أكثر حرصاً على الاهتمام بالنبي – ﷺ– فبعد وفاة خديجة ذهبت إلى رسول الله – ﷺفقالت:

- ألا تتزوج؟

قال: ومن؟

قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً.

قال: من البكر ومن الثيب؟

فقالت: أما البكر فعائشة بنت أحب خلق الله إليك. وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت واتبعتك.

قال: اذكريهما علي.

وذهبت خولة إلى أم رومان وقالت لها:

– يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة..

قالت: ماذا؟

قالت أم حكيم:

– رسول الله – ﷺ– يذكر عائشة.

قالت أم رومان:

- انتظري فإن أبا بكر آت.

فجاء أبوبكر فذكرت ذلك له.

فقال أبو بكر:

- أو تصلح له وهي ابنة أخيه؟

فقال رسول الله - ﷺ:

- أنا أخوه وهو أخي وابنته تصلح لي.

تقول السيدة عائشة :

- دخلت امرأة عثمان بن مظعون واسمها خولة بنت حكيم على عائشة وهي باذة الهيئة .فسألتها:

- ما شأنك؟

فقالت:

- زوجي يقوم الليل ويصوم النهار.

فدخل النبي - ﷺ- فذكرت ذلك له عائشة. فلقي النبي - ﷺ- عثمان وقال له:

- يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا. أما لك فيّ أسوة؟ فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده.

ولقد تأثر عثمان بكلام رسول الله - ﷺ- فالتفت إلى زوجه واهتم بها حتى إنها جاءت بعد ذلك عطرة كأنها عروس فقلن لها:

– مه؟

قالت:

– أصابنا ما أصاب الناس.

وعاشت خولة مع زوجها عثمان بن مظعون عيشة طيبة، فلما توفي تأثرت لوفاته فقالت ترثيه:

يا عين جودي بدمع غير ممنون ... على رزية عثمان بن مظعون

على امرئ بات في رضوان خالقه ... طوبى له من فقيد الشخص مدفون

طاب البقيع له سكنى غرقده ... وأشرقت أرضه من بعد تفتين

وأورث القلب حزناً لا انقطاع له ... حتى الممات فما ترقا له جفوني

وظلت خولة بنت حكيم فكرا عميقا ورأيا حكيما.. ورحلة قلب في بحر النعيم تحلم أن تتوج الأزهار حياتها.. ويشرق النهار حولها.. وبجسد الإيمان روحها.. فمن يلهم سحرها؟.. ومن يدرك سرها؟.. صاحبة فن الحوار.. في طرح الأخبار.

-٦٣-

أمة بنت خالد

الصحابية أمة بنت خالد.. القلب المسلم العابد.. من بلاد الحبشة عائد.. فالروح مهاجرة.. مقيمة للصلاة عابدة.. وفي محراب العقيدة ساجدة.

حسن خلقها.. وتفتح وعيها.. وأضاء ذهنها.. وسمت روحها.. وانحازت إلى تعاليم الإسلام.. منابع للخير.. والحق والسلام.

عاشت حياتها مثالاً جميلاً للمرأة المسلمة.. وصورة رائعة لسيدة الفكر.. والعلم والإيمان ولا عجب في ذلك فقد ولدت في أسرة تميزت بالفرادة والسبق. أبوها خالد بن سعيد بن العاص أحد السباقين إلى الإسلام.. وأمها أميمة بنت خلف الخزاعية إحدى فضليات نساء الصحابة وأخوها سعيد بن خالد أحد الصحابة الأبرار.

أما عمها عمرو بن سعيد بن العاص فهو من السابقين إلى الإسلام.. قُتل في معركة اليرموك. وزوجها أحد العشرة المبشرين بالجنة الزبير بن العوام الذي أنجبت منه خالد وعمر.

ولدت أم خالد في أرض الحبشة.. وفتحت عينيها على الإسلام.. وكان والدها من المهاجرين إلى الحبشة حين اشتد الأذى على المؤمنين في مكة. صابرت أم خالد.. وتحملت شتى صنوف العذاب.

التقت الرسول - ﷺ- أول مرة حين أبلغته سلام النجاشي الذي قال وهم يصعدون السفينة في عودتهم إلى المدينة:

- أقرئوا رسول الله - ﷺ- مني السلام.

وقامت بذلك في أول لقاء لها مع الرسول - ﷺ- وعاشت هذه الصحابية حياتها في الإسلام بين الصلاة والعبادة والكفاح في الحياة تحث ولديها على العلم وتزرع في أعماقهما زهور التقوى والإيمان، وقد روت عن النبي- ﷺ- سبعة أحاديث وعاشت تقريباً إلى التسعين عاماً من عمرها.

كان لأم خالد مكانة عند رسول الله - ﷺ- حيث كان يخصها بهديته، ومن ذلك أنه أتى عليه الصلاة والسلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال:

- من ترون أكسو هذه؟

فسكتوا. فقال:

- ائتوني بأم خالد..

قالت أم خالد وهي التي روت الحديث:

- فأتي بي أحمل.. فألبسنيها بيده.. وقال:

- أبلي وأخلقي. يقولها مرتين.. وجعل ينظر إلى عَلم الخميصة أصفر وأحمر. فقال: هذا سنا يا أم خالد.. هذا سنا.. ويشير بإصبعه إلى العلم وسنا بالحبشة "حسن".

كان لدعاء النبي - ﷺ- أثرا مباركا في حياة أم خالد - رضي الله عنها - عندما قال لها:

- أبلي وأخلقي. إذ معنى الحديث، أي إنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق.

وقد استجيبت دعوة رسول الله - ﷺ- وعاشت أم خالد حتى تسعين عاماً من عمرها، وأمضت زمناً طويلاً في رحاب الإسلام تتعلم من أحاديث الرسول ومواقف الصحابة وتشارك الناس في الحياة الاجتماعية، وتبادر إلى العمل الصالح وتحث الآخرين على التقوى والجهاد.

الصحابية أمة بنت خالد.. القلب المسلم العابد.. من بلاد الحبشة عائد.. فالروح مهاجرة.. مقيمة للصلاة عابدة.. وفي محراب العقيدة ساجدة.

حسن خلقها.. وتفتح وعيها.. وأضاء ذهنها.. وسمت روحها.. وانحازت إلى تعاليم الإسلام.. منابع للخير.. والحق والسلام.

-٦٤-

نسيبة بنت الحارث الأنصارية (أم عطية)

نسيبة بنت الحارث الأنصارية.. ملاك الرحمة في المعارك الإسلامية.. ساهمت في الأعمال الطبية.. تداوي جراح الفرسان.. وتسقي المريض والظمآن.. وتضحي بروحها في الميدان.. فالمعارك أبطال ونجوم.. والجهاد قدر محتوم.

خرجت فارسة من الأنصار.. يشرق من عينيها النهار.. ويغفو على أجفانها سنابل وأزهار.. تمضي على بريق السيوف.. لا تراجع.. لا تردد لا خوف.

نسيبة بنت الحارث الأنصارية "أم عطية" من فضليات نساء الصحابة.. ممن أثرين تاريخ النساء بأعمال طيبة في الجهاد والفقه ورواية الحديث.

أسلمت مع السابقات من نساء الأنصار.. وفي ساحات الوغى وتحت ظلال السيوف كانت تسير في ركب الجيش الغازي.. تروي ظمأ المجاهدين.. وتأسو جراحهم وترقأ دماءهم.. وتعد طعامهم وتقول أم عطية:

- غزوت مع النبي - ﷺ - سبع غزوات أخلفهم في رحالهم.. فأصنع لهم الطعام.. وأداوي الجرحى.. وأقوم على المرضى.

وفي غزوة خيبر كانت أم عطية من بين عشرين امرأة خرجن مع رسول الله - ﷺ- يبتغين أجر الجهاد. وأم عطية هي التي غسلت زينب بنت النبي - ﷺ- وتصف هذا الموقف وتقول:

- لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ - - قال:

- اغسلنها وتراً.. ثلاثاً أو خمساً.. واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور فإذا غسلتنها فأعلمنني.

فلما غسلناها قال:

- أشعرنها إياه.

وقد كانت أم عطية تغسل من مات من النساء في عهد رسول الله - ﷺ- طلباً للمثوبة والأجر من الله تعالى.

كانت أم عطية فقيهة حافظة لها أربعون حديثاً منها في الصحيحين ستة، وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديث.

وحديثها في غسل آنية رسول الله - ﷺ- مشهور في الصحيح.. كما ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة. وكان جماعة من التابعين يأخذون ذلك الحكم.

وهي القائلة:

-نهينا عن اتباع الجنازة.. ولم يعزم علينا.

وقد انتقلت أم عطية في آخر عمرها إلى البصرة.. واستفاد الناس من علمها وفقهها.. فكان جماعة من الصحابة والتابعين يأخذون عنها غسل الميت. وعاشت حتى بلغت السبعين من عمرها.

نسيبة بنت الحارث الأنصارية.. ملاك الرحمة في المعارك الإسلامية.. ساهمت في الأعمال الطبية.. تداوي جراح الفرسان.. وتسقي المريض والظمآن.. وتضحي بروحها في الميدان.. فالمعارك أبطال ونجوم.. والجهاد قدر محتوم.

خرجت فارسة من الأنصار.. يشرق من عينيها النهار.. ويغفو على أجفانها سنابل وأزهار.. تمضي على بريق السيوف.. لا تراجع.. لا تردد لا خوف.

-٦٥-

أميمة بنت خلف

أميمة بنت خلف.. قلب حنون قدئنزف.. وذاب في الآفاق.. أسلمت.. ولمست الأعماق.. مشت في مواكب التحدي.. تواجه جبال الشقاء والتردي.. مهاجرة بين الماء والنار.. تخطو تحت ظلال النهار.

فالروح ترتجف من الفرار.. والعزيمة رفض وتمرد وإصرار.. مع المجاهدين الأبرار.

حين بدأت الدعوة الإسلامية تظهر في مكة المكرمة أم القرى كانت أميمة بنت خلف بن أسعد الخزاعية قد تسرب الإسلام إلى قلبها.. حين حدثها زوجها خالد بن سعيد بن العاص عن إسلامه وإتباعه لرسول الله – ﷺ– فأسلمت وصدقت.

وقصة إسلامها بدأت حين شاهد زوجها في المنام أنه واقف على شفير النار ويرى أيضا كأن أباه يدفعه فيها.. ورسول الله – ﷺ– آخذاً بحقويه "من عند نهاية الرقبة".. لئلا يقع.

ففزع من نومه فقال:

– أحلف بالله إن هذه الرؤيا حق.

فلقي أبا بكر فذكر ذلك له.

فقال أبوبكر:

– أُريد بك خير.. هذا رسول الله – ﷺ– فاتبعه.. فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع فيها.

وأسلم خالد وأصبح من رجال المسلمين، ودعا زوجه أميمة إلى الإسلام فأسلمت كذلك.

وعلم أبوه بإسلامه فأرسل في طلبه من بقي من ولده ولم يسلم.. فوجدوه فأتوا به إلى أبيه "أبا أحيحة".. فأنبه وبكته وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه.

ثم قال:

- اتبعت محمداً وأنت ترى خلافه مع قومه.. وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم؟

فقال خالد:

- قد صدق والله اتبعته.

فغضب أبو أحيحة ونال من ابنه وشتمه.. ثم قال:

- اذهب يا لكع حيث شئت فوالله لأمنعنك القوت.

فقال خالد:

- إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به.

فأخرجه وقال لبنيه:

- لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به.

فانصرف خالد إلى رسول الله - ﷺ- فكان يلزمه ويظل معه.

كانت أميمة بنت خلف إلى جانب زوجها بن سعيد تتحمل الشدائد وتقهر العذاب بالتضحية، وتتفوق على الحرمان بزاد الإيمان الذي لا ينفد.

ولما أمر رسول الله - ﷺ- أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة كان خالد وزوجه أميمة أول من هاجر إليها، وولدت له هنالك ابنه سعيد بن خالد وابنته أمة بنت خالد التي اشتهرت بكنيتها فيما بعد. أم خالد بنت خالد.

ولبثت أميمة في أرض الحبشة مع زوجها وولديهما بضعة عشر سنة حتى بعث رسول الله – ﷺ- عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه، ووجدوا أن رسول الله – ﷺ- قد فرغ من فتح خيبر وسعدوا بلقاء النبي- ﷺ – والمؤمنين بعد أن مكثوا في الحبشة وطالت فيها غيبتهم وغربتهم.

عاش خالد إلى زمن عمر بن الخطاب، حيث قتل في معركة مرج الصفر في المحرم سنة أربع عشرة، وعلمت أميمة بوفاة زوجها فصبرت واحتسبت، فكيف لا تفعل ذلك وقد قال الذي قتل خالداً بعد أن أسلم:

– من هذا الرجل؟ فإني رأيت نوراً ساطعاً إلى السماء.

ورحلت أميمة بنت خلف.. قلب حنون قد نزف.. وذاب في الآفاق.. أسلمت.. ولمست الأعماق.. مشت في مواكب التحدي.. تواجه جبال الشقاء والتردي.

مهاجرة بين الماء والنار.. تخطو تحت ظلال النهار.. فالروح ترتجف من الفرار.. والعزيمة رفض وتمرد وإصرار.. مع المجاهدين الأبرار.

-٦٦-

أم زياد الأشجعية

أم زياد الأشجعية.. جهاد في المعارك الإسلامية.. في الخيمة تداوي الجروح.. وفي الصحراء دم مسفوح.. فمن يحمل السيف في خيبر..؟ من يدافع عن الحصن الأكبر؟.. ويقف مع الجموع بين سهام.. وجياد ودروع؟

يا سيدة الطب والدواء.. انطلقت سهام في الفضاء.. على يديك جاء الشفاء.. وتناثرت فرسان الغدر أشلاء.. وسقطت حصون اليهود.. فلا حد أو حدود.

كانت صوت الحق والحرية.. آمنت برسالة الإسلام وتحولت إلى شخصية تلألأت في أعماقها معاني القيم النبيلة وتدفق في كيانها نهر العقيدة وتجسدت حياتها في أروع صورة للإيمان والنقاء.

في غزوة خيبر شاركت مع جيش المسلمين لمحاربة الكفار وأرض خيبر تضم حصوناً منيعة لليهود، ولكن استطاع جبش المسلمين مفاجآتهم وأثناء المسير الطويل شغل المسلمون أنفسهم بقراءة القرآن وذكر الله تعالى، وصار الصحابي الجليل عامر بن الأكوع ينشد لهم يشجعهم على المضي للجهاد قائلا:

لـــــولا الله مــــا اهتــــدينا ولا تصـــــدقنا ولا صــــــلينا
فــــأنزل ســــكينة علينــــا وثبــــت الأقــــدام إن لاقينــــا

وفي بداية معركة خيبر خرجت أم زياد الأشجعية مع مجموعة من النساء للجهاد، وحين علم ذلك الرسول - ﷺ- بعث إليها مع النساء وسألهن:

- بإذن من خرجتن؟

فقالت أم زياد الأشجعية وكانت تلمح أمارات الغضب على وجه الرسول - ﷺ:

- خرجنا ومعنا دواء نداوي الجرحى، ونناول السهام، ونسقي السويق "نوع من ماء التمر"، ونغزل الشعر ونعين في سبيل الله.

فقال الرسول - ﷺ:

- أقمن.

وعندما انتصر المسلمون في خيبر قسم لهن من التمر، كما قسم للرجال. وكان موقف النساء في الحرب لا يقل أهمية عن دور الفرسان الأبطال.

عرف الناس أم زياد الأشجعية بأنها من المجاهدات في كل موقف قادرة على العطاء والتضحية في سبيل نصرة الإسلام، وعاشت حياة كريمة تشارك في كل موقف، وتساهم بكل ما تملك ليسود الخير والحب والتقوى والصلاح في كل أرجاء العالم.

أم زياد الأشجعية.. جهاد في المعارك الإسلامية.. في الخيمة تداوي الجروح.. وفي الصحراء دم مسفوح.. فمن يحمل السيف في خيبر..؟ من يدافع عن الحصن الأكبر؟.. ويقف مع الجموع بين سهام.. وجياد ودروع؟

يا سيدة الطب والدواء.. انطلقت سهام في الفضاء.. على يديك جاء الشفاء.. وتناثرت فرسان الغدر أشلاء.. وسقطت حصون اليهود.. فلا حد أو حدود.

-٦٧-

أم عبيد بنت سراقة

أم عبيد بنت سراقة.. تبحث بين الظلام عن إشراقة.. تشعل شموع الذكرى.. فلا دموع ولا شكوى.. لها أن تطرح سؤالا.. وأحوال تكشف عن أحوال.. وللشهيد حياة وارتحال.. فما سر البكاء؟.. هل لغياب أم لرثاء؟

إنه شهيد بدر.. والحروب كر وفر.. والروح تسكن جنات الخالدين.. محلقة في سماء رب العالمين.

أشرقت شموس الدعوة الإسلامية وانسابت روحها مع المسلمين تشق دروب مضاءة بالصلوات.. زاهرة بالتسابيح.. مثمرة بالدعوات.. فقد انهارت تماثيل الرماد وأصنام خادعة.. وهوت أفكار الجاهلية الزائفة.

عرفت أم عبيد بنت سراقة معاني التسامح بين البشر.. والوجد الفياض بالخير والحب المتدفق من القلب.. والإيمان الذي فتح نوافذاً للضياء أمام كل الناس.. فلا فرق بين الجميع. إنهم القلوب التي سكنت في حناياها معالم الهدى ونور الحق والثواب.

وتقف أم عبيد بنت سراقة خلال الحروب تقاوم مع المسلمين وتساندهم في حربهم ضد الكفار، وترى شقيقها الحارث بن سراقة يشهر سيفه ويمضي كالبرق إلى ساحات القتال في يوم بدر.

ويشرق قلبها بالفخر والكبرياء حين يعلو صهيل الفرس يشق الغبار ويثير العواصف ويضرب بالسيف يطيح رؤوس الأعداء. هذا هو البطل شقيقها يركض بين الجيوش ويحصد ما شاء من قتلى الكفار.

وبعد معركة بدر كانت تنتظر في شوق عودة شقيقها، ولكن في خوف وقلق وبدأت تتوالى أسماء الشهداء ويعلو النحيب وصوت البكاء والرثاء. وحاصرها الإحساس بالألم لفراق أخيها وتساءلت:

- هل يكون من أهل الجنة أم النار؟

وذهبت أم عبيد بنت سراقة إلى الرسول - ﷺ- وسألته:

- هل سراقة من أهل النار أم الجنة؟

وأجاب الرسول - ﷺعليها:

- ولم تسألين؟

فقالت أم عبيد بنت سراقة:

- إن كان من أهل الجنة لم أبكِ عليه، وإن كان من أهل النار بكيته.

فقال الرسول - ﷺ:

- إنها جنان وأنه لفي الفردوس الأعلى.

وابتسمت أم عبيد بنت سراقة.. تبحث بين الظلام عن إشراقة.. تشعل شموع الذكرى.. فلا دموع ولا شكوى.. لها أن تطرح سؤالا.. وأحوال تكشف عن أحوال وللشهيد حياة وارتحال.. فما سر البكاء؟.. هل لغياب أم لرثاء؟

إنه شهيد بدر.. والحروب كر وفر.. والروح تسكن جنات الخالدين.. محلقة في سماء رب العالمين.

-٦٨-

الربيع بنت معوذ

الربيع بنت معوذ.. الصحابية الجليلة.. والروح الجميلة.. والمؤمنة المتعبدة والمسلمة الزاهدة.. عالمة بأحكام الدين.. تناقش قضايا المسلمين.. تقوم الليل وتقرأ القرآن.. تعطف على الفقراء.. وتجفف دمع الأحزان.. وتداوي الجرحى في الميدان.

أبوها معوّذ بن عفراء من كبار أهل بدر.. وزوجها هو إياس بن البكير الليثي.. أحد كبار المهاجرين، وقد حضر رسول الله – ﷺ -زواجها.

تقول عن زواجها:

– دخل عليّ رسول الله – ﷺ- في يوم عرسي... فقعد على موضع فراشي هذا وعندنا جاريتان تضربان بدف.. وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر... وقالتا فيما تقولان:

– وفينا نبي يعلم ما في غد فقال:

– أما هذا فلا تقولا.

عن محمد بن عمار بن ياسر قال:

قلت للربيع بنت معوذ:

- صفي لي رسول الله - ﷺ:

فقالت: يا بني لو رأيته لرأيت الشمس طالعة.

ومن مواقفها مع الرسول - ﷺ- تقول:

- كنا نغزو مع رسول الله - ﷺ- نسقي القوم ونخدمهم.. ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة.

بايعت الربيع بنت معوذ الرسول وآمنت به وتفقهت في الدين، وكان عدد من الصحابة يأتونها يسألونها عما تعرفه من أحكام دينها ومن حديث الرسول - ﷺ.

فتذكر ذلك وتقول:

- أرسل النبي - ﷺ- غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار. من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه.. ومن أصبح صائماً فليصم. فكنا نصومه ونصوم صبياننا.. ونجعل لهم اللعبة من العهن "الصوف" فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار.

عاشت الربيع بنت معوذ حياة كريمة في ظل الإسلام.. تتعبد.. وتقوم الليل.. وتقرأ القرآن وتتصدق على الفقراء. وتقف بجوار الناس الذين يأتون إليها يستفسرونها في بعض القضايا.

وكانت تجلس بين النساء تشرح لهن قضايا الدين الإسلامي، وتبين كيف جاء الإسلام ليغير حياة الناس من الجاهلية الظلماء إلى التسامح والحب ونور الإيمان.

توفيت الربيع بنت معوذ في خلافة عبد الملك بن مروان، وقد خلفت وراءها ذكرى طيبة وأعمال فاضلة. وقد حازت قدراً كبيراً من العلم في الفقه والتفسير والأحاديث ،وأحبها الناس جميعاً وكان الصحابة يشعرون نحوها بالاحترام والتقدير.

تلك صورة من تفاصيل حياة الربيع بنت معوذ.. الصحابية الجليلة.. والروح الجميلة.. والمؤمنة المتعبدة والمسلمة الزاهدة.. عالمة بأحكام الدين.. تناقش قضايا المسلمين.. تقوم الليل وتقرأ القرآن.. تعطف على الفقراء.. وتجفف دمع الأحزان وتداوي الجرحى في الميدان.

-٦٩-

أم محجن

أم محجن امرأة سوداء.. تمضي مع الفقراء.. تحيا على الأرض مسكينة.. تعيش بين أهل المدينة.. تلفح الريح بدنها النحيف.. تهرب إلى ظلال الشجر الوريف.

قلبها عامر بالإيمان.. تسكن في مسجد الرحمن.. تسبح بحمد الله رب العالمين تقوم على خدمة المسجد والمسلمين.

أم محجن أشرق قلبها بنور الإسلام.. وعاشت في المدينة تحلم أن تساهم مع النساء والرجال في دعوة الرسول - ﷺ- ولكنها امرأة عجوز ليس لها حيلة.

وفكرت أم محجن كثيراً حتى اهتدت إلى العناية بالمسجد، تقوم على نظافته، وتهيئ المكان للمسلمين والصحابة والرسول - ﷺ- ليظل المسجد دائماً مضيئاً ونظيفاً، ليجلس فيه المسلمون يتناقشون ويتبادلون الآراء ويطرحون الأفكار حول الدعوة الإسلامية.

فكانت أم محجن تساهم بدور كبير تجاه المسجد، حيث تلتقط الخرق والقذى والعيدان وتنظف المكان وتلقي بالقمامة في أماكنها، وبذلك تحافظ على بيت الله نظيفاً لاستقبال المسلمين في كل وقت للصلاة أو الاجتماع مع الرسول - ﷺ.

كانت أم محجن تشعر بالفخر، لأنها تقوم على نظافة المسجد وأيقنت أنها تساهم مع المسلمين بدور كبير من أجل الإسلام. أحبها الجميع واحترموا قدرها واهتم الرسول الكريم بها فنالت منه العطف والاحترام والتقدير.

ولا شك أن أم محجن قد شعرت أن لنظافة المسجد من أهمية كبرى في المدينة فظلت قائمة على خدمة المسجد دون أن تشعر بضجر أو جهد، رغم بدنها النحيف وحياتها البسيطة فلم تكن ترجو سوى رضا ربها ورسوله الكريم.

وظلت أم محجن في خدمة المسجد حتى توفيت وصعدت روحها إلى السماء، وقام الصحابة بدفنها في ليلة كان الرسول - ﷺ- نائماً فقرروا عدم إيقاظه ودفنوا أم محجن في البقيع.

وفي الصباح بحث عنها رسول الله - ﷺ- وسأل الصحابه فقالوا له في حزن وآسى:

- قد دفنت يارسول الله وقد وجدناك نائماً. فكرهنا أن نوقظك.

قال الرسول - ﷺ:

- انطلقوا.

فانطلق يمشي ومشوا معه حتى أروه قبرها، فقام رسول الله - ﷺ- وصفوا وراءه فصلى عليها وكبر أربعاً.

وقد قال الرسول - ﷺ:

- إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم.

ورحلت أم محجن رفيقة الضياء.. إلى آفاق السماء.. تخفق روحها بالإيمان يترحم عليها المسلمون.. في كل مكان.

تذكرها ساحات المسجد في كل صلاة.. تظل دائماً ذكرى باقية في الحياة.

أم محجن امرأة سوداء.. تمضي مع الفقراء.. تحيا على الأرض مسكينة.. تعيش بين أهل المدينة.. تلفح الريح بدنها النحيف.. تهرب إلى ظلال الشجر الوريف.

قلبها عامر بالإيمان.. تسكن في مسجد الرحمن.. تسبح بحمد الله رب العالمين تقوم على خدمة المسجد والمسلمين.

-٧٠-

كبشة بنت رافع

كبشة بنت رافع.. نجم في السماء ساطع.. وقلب في المحراب خاشع.. في الحياة لها مواقف.. شجاعة القلب بلا مخاوف.. تمنح في صبر وسكون.. وتقاوم هواجس وظنون.

صحابية فقيهة من المؤمنات.. ومن المسلمات المجاهدات.. ومن النساء المحاربات.. فالدين موقف وكفاح.. وعقيدة وتغيير وإصلاح.

كانت زوجة لمعاذ بن النعمان من بني الأشهل وقد ولدت له سعداً وعمرا وإياساً وأوساً وعقرب وأم حزام. أسلمت كبشة.. وبايعت رسول الله – ﷺ– وقد ذكر التاريخ مواقفها الرائعة التي جعلتها من الأوائل في عالم نساء الصحابة. فما إن سطعت شمس الهداية.. وأشرقت المدينة بنور الإسلام حتى سارعت كبشة لتساهم بدورها مع المسلمين.

كان لها مواقف تدل على إيمانها العميق وجهادها وصبرها.. فقد خرجت في غزوة أحد بعد أن وردت الأخبار إلى المدينة باستشهاد عدد من المسلمين.. وكان من بينهم ابنها عمرو بن معاذ، لكن الأم المجاهدة كانت ترجو سلامة رسول الله – ﷺ– وأقبلت مسرعة نحو أرض المعركة.

فلما علمت بسلامة رسول الله – ﷺ– حمدت الله تعالى، واعتبرت مصيبتها هينة. وكان ابنها عمرو بن معاذ يقاتل في صفوف المشركين حتى لقيه ضرار بن الخطاب فقتله، وكان يومئذ ما يزال على شركه.

ومن مواقف الصبر والجهاد لهذه الصحابية الجليلة موقفها يوم الخندق، حين كانت مع أم المؤمنين عائشة في حصن بني حارثة، وقد كان رسول الله – ﷺ– وأصحابه حين خرجوا إلى الخندق قد رفعوا الذراري والنساء في الحصون مخافة العدو عليهم.

فمر ولدها سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة "قصيرة" قد خرجت منه ذراعه كلها.. وفي يده حربة يرفل بها وهو يرتجز بيتاً من الشعر ويقول:

لبثــت قلــيلاً يشــهد الهيجــا حَمَــل   لا بـأس بـالموت إذا حـان الأجـل

فقالت أم سعد:

– الحق يا بني فقد والله أخرت.

وبهذه الكلمات تظهر لنا شجاعة أم سعد، وحرصها على ابنها ألا يفقد لحظة دون أن يكون مع الرسول الكريم.

ورحلت كبشة بنت رافع.. نجم في السماء ساطع.. وقلب في المحراب خاشع.. في الحياة لها مواقف.. شجاعة القلب بلا مخاوف.. تمنح في صبر وسكون.. وتقاوم هواجسا وظنونا.

صحابية فقيهة من المؤمنات ... ومن المسلمات المجاهدات ... ومن النساء المحاربات.. فالدين موقف وكفاح .. وعقيدة وتغيير وإصلاح.

-٧١-

فاضلة الأنصارية

فاضلة الأنصارية.. صحابية تقية.. وروح نقية.. ذات مواقف إنسانية.. في قلبها أمنية.. أن تمنح الفقراء هدية.. لتحيا راضية مرضية.. آمنة في عالم القيم الدينية والقلب يخفق وردة برية.. ينشر الشذى بين البرية.

تزوجت من عبد الله بن أنيس الجهنمي وأسلما معاً وانطلقا في طريق الدعوة الإسلامية ينهلا من نهر العقيدة العذب في ظلال شروق شمس الإسلام على الكون والعالم.

وتأثرت وترقرقت دموعها حين ارتعشت روحها وهي تنصت إلى آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وتسافر إلى عالم آخر يسمو فوق الواقع الذي تعيش فيه.

وتعلمت أسس العقيدة الإسلامية وتعمقت في العبادة والصلاة وتفكرت في هذا الدين الذي يدعو إلى التسامح ويفتح نوافذ للنور في مواجهة ظلام الجاهلية. وكيف تكون الوداعة والرقة في واجهة الوحشية والهمجية واحترام الإنسان بعيداً عن العصبية ونبذ الحروب والأحقاد بين القبائل.

وتفكر فاضلة الأنصارية في حياتها المشرقة بالرحمة والأمل في جنات الخلد فكانت تتشوق دائماً إلى العطف على المساكين ومساندة الفقراء والإحسان إلى من يستحق الصدقة.

وفي يوم ذهبت إلى الرسول – ﷺ– وحملت معها مجموعة تملكها من الحلي وقالت:

– هذا صدقة لله عز وجل.

فقال الرسول – ﷺ:

– إني لا أقبل صدقة من امرأة إلا بإذن زوجها.

ورجعت فاضلة الأنصارية وبعثت بالحلي مع زوجها عبد الله بن أنيس الجهنمي الذي توجه إلى الرسول – ﷺ– وقال له مؤكداً:

– هو لها يا رسول الله ورثته من أبيها.

وعندما قبل الرسول – ﷺ– الصدقة شعرت فاضلة الأنصارية أنها حقاً تساهم في بناء مجتمع التكافل بين الأفراد، وأنها بذلك تعبر عن روح إسلامية راقية ومشاعر إنسانية يجب أن تنبت ثمارها وتزهر على أرض الواقع.

وبعد أن رحلت عن الحياة ظل الناس يذكرون مواقفها الكريمة وحياتها الجميلة وكلماتها المضيئة.

فقد ظلت دائماً.. فاضلة الأنصارية.. صحابية تقية... وروح نقية.. ذات مواقف إنسانية.. في قلبها أمنية.. أن تمنح الفقراء هدية.. لتحيا راضية مرضية.. آمنة في عالم القيم الدينية والقلب يخفق وردة برية.. ينشر الشذى بين البرية.

-٧٢-

نسيبة بنت كعب

نسيبة بنت كعب.. مجاهدة في كل حرب.. سيفاً له طعن وضرب.. مشرق في كل درب.. مقامها اليوم خير مقام.. صوتاً في الآفاق يشق الغمام.. فلا تهاون ولا تخاذل في القتال.. فمن يرسم خططاً تحقق المحال؟.. من يدفع الكفار في بحر الزوال؟.. من يقف شامخاً بإيمانه دون ثراء أو مال؟

هي.. المؤمنة.. المجاهدة.. المتفقهة.. الصابرة.. المتأملة في خلق الله وشئون الكون.. العابدة.. الخاشعة.

ذهبت إلى النبي – ﷺ– وحاولت أن تفهم منه قضية هامة وهي هل كل شيء للرجال وليس هناك شيء للنساء يذكرن به.

وكان هذا السؤال سببا لنزول آية كريمة وهي:

قال الله تعالى:

"إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً". الأحزاب ٣٥.

نسيبة بنت كعب امرأة فاضلة.. وسيدة شريفة.. ومجاهدة مؤمنة روت عن النبي – ﷺ– بعض الأحاديث.. شهدت ليلة العقبة ومعركة أُحد والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة.

وقاتلت في غزوة أُحد مع زوجها وابناها، وكانت تشد ثوبها على وسطها واقفة بين يدي رسول الله – ﷺ– تتلقى دونه الضربات والرميات حتى جرحت ثلاث عشر جرحاً غائراً وأمها معها تعصب جراحها.

ولذلك قال عنها رسول الله – ﷺ:

– لمقامها اليوم خير من مقام فلان وفلان.. ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دوني.

نسيبة بنت كعب.. السيدة الفقيهة العالمة بالحديث والقرآن قد أثبتت أن المرأة المسلمة تقع عليها مسئوليات جسام في الدفاع عن العقيدة، ونشر الدعوة بالكلمة والفكر والعقل والتسامح، ثم الدفاع عن النفس ضد أعداء الإسلام.

ولذلك ظلت دائماً قوية بفكرها الإسلامي.. ينير القرآن قلبها.. ودعاء الرحمن في صلواتها.. وعشقها وحبها للدين والرسول وجميع المؤمنين. تتحدث وتدعو الناس إلى الصلاة والتقوى، وحين تتأجج نيران الحرب تذهب إلى المعركة دون إبطاء طلباً للشهادة.

هذه امرأة اجتمع فيها العبادة والطهر والفكر والعلم مع الجهاد والقتال والمقاومة، حتى حين علمت بمصرع ابنها حبيب على يد مسيلمة الكذاب نذرت ألا يصيبها غسل حتى يُقتل مسيلمة وخرجت إلى معركة اليمامة مع ابنها الثاني عبد الله وهي حريصة على قتل مسيلمة الكذاب، ولكن علمت أن ابنها عبد الله قد قتل مسيلمة فسجدت لله شكراً.

إنها نسيبة بنت كعب.. مجاهدة في كل حرب.. سيفاً له طعن وضرب.. مشرق في كل درب.. مقامها اليوم خير مقام.. صوتاً في الآفاق يشق الغمام.. فلا تهاون ولا تخاذل في القتال.. فمن يرسم خططاً تحقق المحال؟.. من يدفع الكفار في بحر الزوال؟.. من يقف شامخاً بإيمانه دون ثراء أو مال؟

هي.. المؤمنة.. المجاهدة.. المتفقهة.. الصابرة.. المتفكرة في خلق الله وشئون الكون.. العابدة.. الخاشعة.

-٧٣-

رُفَيْدَة الأنصارية

رُفيدة الأنصارية.. من يغفل نضالها.. تغلغل القرآن في أعماقها.. احتشد الإيمان في قلبها.. عاشت تمنح من جهدها وجهادها.. وتقف بين الناس أعجوبة زمانها.. وأول طبيبة في عصرها.

خيمة رفيدة في العراء.. تمنح الرحمة وتشفي الداء.. والحرب نزيف دماء.. وصور قتلى وشهداء.. سلام يا ذات القلب الرحيم.. تحت ظلال النسيم.

أول طبيبة في الإسلام كانت لها خيمة بالمسجد النبوي تداوي المرضى.. فتظل ساهرة بجوار الجرحى ولا سيما هؤلاء الذين ليس لهم من يرعاهم أو يعالجهم. وتشعر أنها لا تؤدي مجرد واجب عليها، وإنما تلك رسالتها في الحياة أن تمنح من علمها وفكرها وجهدها للمسلمين.

لا شك أن رفيدة الأنصارية.. آمنت بكل ما يدعو إليه الرسول الكريم – ﷺ- سمعت آيات القرآن تتلى.. والأحاديث تروى.. والحكم يقصها الناس عن مواقف رجال الإسلام وصحابة الرسول – ﷺ.

واحتشد الإيمان في قلبها.. والحب والتسامح والخير، وكانت قد تعلمت بعض مبادئ مداواة الجرحى وعلاجهم بطرق كان يتبعها الناس ولكنها فهمت الكثير عن مبادئ الطب في علاج الجنود الجرحى، واستطاعت أن تخدم الجنود المحاربين وتنقذ بعضهم من الموت.

وفي غزوة الخندق عندما أصيب سعد بن معاذ قال الرسول – ﷺ:

– اجعلوه في خيمة رُفيدة الأنصارية التي في المسجد حتى أعود من قريب.

لقد كانت رُفيدة تعالج المرضى وتداوي الجرحى دون أجر، وتشعر أنها تجاهد مع المسلمين في ميدان المعركة، وهذا يؤكد كيف كانت المرأة المسلمة في إشراقة العصر الإسلامي تقف بجوار الرجل تؤازره وتتحمل مسئولية الجهاد والكفاح مثله تماماً.

كانت رُفيدة امرأة ذات ثقة.. يحترمها الصحابة والناس.. ويقدرون عملها ودورها في خدمة الجرحى وعلاج المجاهدين، وهذا ما دعا شاعر الإسلام أحمد محرم يقول عنها:

رُفيدة علمي الناس الحنانا   وزيدي قومك العالين شانا
خذى الجرحى إليكِ فأكرميهم   وطوفي حولهم آنا فآنا
وإن هجع النيام فلا تنامي   عن الصوت المردد حيث كانا

ولا ينسى موقفها عندما أصيب كحل سعد يوم الخندق قالوا:

- حولوه عند امرأة يقال لها "رُفيد".

وكان رسول الله - ﷺ- إذا مر به يقول:

- كيف أمسيت.

وإذا أصبح قال له:

- كيف أصبحت؟

وهكذا كانت رفيدة أول امرأة لها خيمة بالمسجد النبوي تعالج الجرحى، ولا شك أن هذا يعد في زمانها من فضائل الأعمال ونوابغ النساء.

رُفيدة الأنصارية.. من يغفل نضالها.. تغلغل القرآن في أعماقها.. احتشد الإيمان في قلبها.. عاشت تمنح من جهدها وجهادها.. وتقف بين الناس أعجوبة زمانها.. وأول طبيبة في عصرها.

خيمة رفيدة في العراء.. تمنح الرحمة وتشفي الداء.. والحرب نزيف دماء.. وصور قتلى وشهداء.. سلام يا ذات القلب الرحيم.. تحت ظلال النسيم.

-٧٤-

أم ذر الغفارية

الصحابية.. أم ذر الغفارية.. وحيدة في الصحراء.. بين الأرض والسماء.. غير الريح وصوت الفناء.. زمان الحزن طواها.. والدمع ثوبها وهواها.. فمن يدرك مداها؟.. من يقتفي خطاها؟

أم ذر الغفارية.. ها قد بدأت المسير.. طلاقة في التعبير.. وفصاحة في التفسير وخبرة في الفقه والبيان.. وعمقاً في حفظ القرآن.. حتى يضيء حولها المكان.

زوجة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري.. العقل الراجح.. والفكر الراسخ.. والذهن المتوقد بلهفة البحث عن العلم.. والتزود بالمعرفة. تعلمت كثيراً من الحكمة خلال حياتها مع زوجها الفقيه.. صلب الموقف.. وثابت العقيدة والإيمان.

تميزت بما في زوجها من سمات فاضلة.. وأخلاق كريمة.. وعطف على الفقراء.. ومقاومة جشع الأثرياء.. والدفاع عن الحق.. ودعوة الناس إلى العمل بتعاليم القرآن الكريم وأحاديث الرسول – ﷺ.

وكانت بليغة في الكلام.. ذات حكمة وإحساس مرهف تستشف حقيقة الوقائع، وقد عبرت بالشعر عن أحد هذه المواقف قبل إسلامها مع زوجها، حيث كان لديهما صنم يصب له أبوذر الحليب ليشرب، ولكن جاء كلب وشرب الحليب، بل إنه بال على الصنم.

فقالت أم ذر الغفارية هذا النص الشعري تعبر فيه عن عدم قناعتها بهذا الصنم أن يكون لهما إلها:

ألا فابغنا رباً كريماً   جواداً في الفضائل يا ابن واهب
فما من سامه كلب حقير   فلم يمنع يداه لنا برب
فما عبد الحجارة غير غاو   ركيك العقل ليس بذي لب

وقد أعلنت إسلامها مع زوجها وتعلما من الرسول - ﷺ- أعظم الدروس في القرآن والفقه والحكمة والحياة وظل الاثنان معاً يبلغان الرسالة إلى الآخرين ويحاولان إصلاح نفوس الناس وتحويل المجتمع من الجاهلية إلى الإسلام.. من الفظاظة والتوحش إلى الحب والتسامح والإيمان.

وتألقت عبقريتها بسبب تعلمها من رسول الله - ﷺ- ومناصرتها له في كل موقف وبجوارها زوجها توافقه الرأي في كل القضايا ويفخر بها في كل موقف. تحفظ القرآن والأحاديث وتعبر عن فكرها بحرية وشجاعة وتتحدى الكفار وتعظ النساء.

وعندما وقف أبوذر الغفاري في وجه معاوية بن أبي سفيان الخليفة، لأنه قد أحاط نفسه بمظاهر البذخ والثراء. قام معاوية بإبلاغ الخليفة عثمان بن عفان كذباً أن أبا ذر يثير القلاقل. ونتيجة ذلك نفاه الخليفة إلى منطقة بعيدة في صحراء جرداء ليس فيها نبع أو زرع أو إنسان.

وكانت أم ذر الغفارية مع زوجها في هذه الصحراء.. تنظر حولها فلا ترى سوى السماء تحتضن الصحراء.. ولا شيء سوى الريح والفراغ والعدم، ولكن هذه المرأة المؤمنة.. الصابرة.. ظلت صلبة لا تلين تتحمل مشقة الغربة وتفترش الصحراء لتصلي وتدعو رب الأرض والسماء.

ومرض زوجها أبوذر الغفاري.. وقال لها أثناء مرضه:

– إذا فارقت الروح جسدي.. انتظري قوم سوف يأتون إلى هذا المكان ليقوموا على كفني.

وحدث ما أخبر به أبو ذر الغفاري.. إذ أقبل جماعة من الناس قاموا بدفنه.. وظلت أم ذر الغفارية تبكي أمام قبره وهم يردمون عليه التراب.

وعاشت الصحابية.. أم ذر الغفارية.. وحيدة في الصحراء.. بين الأرض والسماء.. غير الريح وصوت الفناء.. زمان الحزن طواها.. والدمع ثوبها وهواها.. فمن يدرك مداها؟.. من يقتفي خطاها؟

أم ذر الغفارية.. ها قد بدأت المسير.. طلاقة في التعبير.. وفصاحة في التفسير وخبرة في الفقه والبيان.. وعمقاً في حفظ القرآن.. حتى يضيء حولها المكان.

-٧٥-

النوار بنت مالك الأنصارية

النوار الصحابية عميقة الأفكار.. الأم المثلى بين الأبرار.. نبع العلم والأسرار نهر من العطاء.. وقلب من نقاء.. وحياة تبحر في صفاء.. يعلو الآذان فوق بيتها صباحاً ومساء.. فتشرق الشموس وتختال الأنداء.

النوار بنت مالك الأنصارية تزوجت ثابت بن الضحاك وأنجبت منه زيد ويزيد. واستشهد زوجها في معركة بعاث، وبعد ذلك تزوجت عمارة بن حزم الذي شارك في موقعة بدر وله مواقف كثيرة بجوار الرسول - ﷺ.

كانت من السابقات إلى الإسلام، حيث آمنت برسالة الرسول - ﷺ- قبل أن يهاجر إلى المدينة.

عاشت مثالاً رائعاً للأم المسلمة التي أولت عناية كبيرة لتربية أبنائها على المبادئ الإسلامية، فقد استطاعت أن تعلم ابنها زيد حفظ القرآن الكريم في مرحلة مبكرة من طفولته فنشأ على تعاليم الإسلام يتحلى بالخلق الكريم، وفضائل الأعمال والهمم الشجاعة والتشوق الدائم إلى الجهاد في سبيل الله، رغم أنه ما زال صغيراً.

وقد ذهب زيد مع أمه إلى رسول الله - ﷺ- حين كان يتأهب لغزوة بدر وتقدم الصبي الصغير، وقال في شجاعة:

– أنا فداك يارسول الله: ائذن لي أن أكون معك وأجاهد أعداء الله فقال له الرسول – ﷺ:

– أنت مازلت صغيراً والأفضل أن تتعلم شيئاً عن كتابات اليهود لتقرأ لي ما يكتبون، ومنذ ذلك الوقت اهتم الفتى زيد بن ثابت بالعلم والدراسة حول كتابات اليهود حتى أتقن لغتهم وأصبح فيما بعد كاتباً للوحي، وترجمان رسول الله – ﷺ– وكان يقوم أيضاً بجمع القرآن وتدوينه وحفظه من الضياع.

ظلت النوار بنت مالك الأنصارية فخورة بأسرتها وأبنائها ولا سيما أنهم جميعاً ظلوا على علاقة مباشرة مع رسول الله – ﷺمنذ بداية الدعوة الإسلامية.

ومن المواقف الأخرى التي عاشتها الصحابية النوار بنت مالك الأنصارية أنها قد أرسلت زيد بهدية إلى الرسول – ﷺ– حينما كان في بيت أبي أيوب واحتوت الهدية على الخبز والسمن واللبن ووضعها زيد أمام الرسول – ﷺ– وقال:

يا رسول الله هذه القصعة أرسلتها أمي.

فدعا له الرسول – ﷺ– وقال:

– بارك الله فيك وفي أمك.

اهتمت النوار بنت مالك بحياتها الدينية فقد كانت تقرأ وتحفظ القرآن الكريم، وتستلهم المعاني والمواقف الإنسانية من خلال أحاديث الرسول -ﷺ- وأقوال علماء الصحابة العلماء والفقهاء حتى غدت من النماذج النسائية الشهيرة التي لم يغفلها تاريخ الإسلام.

كان قلبها مشرقاً دائماً بالإيمان وتشعر بسعادة غامرة حين تصحو في الفجر على صوت بلال بن رباح، وهو يؤذن من فوق بيتها وتقول عن ذلك:
- إن بيتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول الله - ﷺ- مسجده.

هكذا جسدت حياة النوار بنت مالك الأنصارية صورة جميلة لمسئولية المرأة المؤمنة والتزامها العميق برسالتها نحو أسرتها والحياة الاجتماعية الجديدة في ظل الإسلام.

ورحلت النوار بعد حياة حافلة بالعمل والجهاد ورسوخ العقيدة في فكرها ووجدانها، وتشوقها الدائم إلى نصرة الإسلام، وانفتاح المدائن بالنور والحب والتسامح والقيم الإسلامية العظيمة.

النوار الصحابية عميقة الأفكار.. الأم المثلى بين الأبرار.. نبع العلم والأسرار نهر من العطاء.. وقلب من نقاء.. وحياة تبحر في صفاء.. يعلو الآذان فوق بيتها صباحاً ومساء.. فتشرق الشموس وتختال الأنداء.

-٧٦-

السميراء بنت قيس

السميراء.. أم الشهداء.. في معارك الفرسان.. تركض على ضفاف الأحزان تقف شاردة الذهن والوجدان.. فى عالم من صبر وسكون.. إنا لله وإنا اليه راجعون.

وتدعو السميراء بالرحمة والغفران.. للشهداء في كل مكان.. وتجلس في خيمة من حرير.. تتأمل عالم كبير.. مبعثرة الخاطر.. ممزقة الضمير.. وكانت حكمة القدر والمصير.

الصحابية المؤمنة.. الصابرة المثابرة.. المجاهدة الثابتة.. التي آمنت بالله ورسوله وزرعت في روح ولديها الرغبة في الجهاد للدفاع عن الدعوة الاسلامية ضد الكفار. إنها الأم التي سمت بروحها فوق كل الآلام والأحزان وعاشت في رحاب الإيمان تشعر أن عليها واجباً تجاه عقيدتها الإسلامية ليسود نور الحق وينقشع ظلام الجهل والعبودية.

ولذلك كانت السميراء بنت قيس الصحابية من أوائل الأمهات اللاتي دفعن بأولادهن إلى الجهاد في غزوة أحد مع الرسول - ﷺ- والمسلمين. وحين استشهدا معاً في المعركة قالت بفخر وإيمان:

- الحمد لله أن رسول الله بخير وسلام.

وقصة استشهاد ولديها يذكرها التاريخ حيث ذهبت السميراء تستطلع أخبار المعركة مع مجموعة من النساء، وكلما شاهدت أحد فرسان المسلمين سألته عن أخبار المعركة.

حتى جاء أحدهم وأخبرها باستشهاد ولديها فقالت في حزن:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

وعادت إلى الرجل تقول مستفسرة:

- يا أخا الإسلام ما عنهما سألتك أخبرني ما فعل رسول الله - ﷺ.

قال الرجل:

- خيراً إن شاء الله هو بحمد الله على خير ما تحبين.

قالت: أرنيه أنظر إليه.

فأشار إليه فقالت وقد تهلل وجهها ونسيت مصيبتها بولديها:

- كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله.

وما هي إلا سويعات حتى جيء لها بولديها الشهيدين. فقبلتهما وحملتهما على ناقتها ورجعت بهما إلى المدينة وفي الطريق قابلتها عائشة أم المؤمنين فسألتها، فقالت:

ما وراءك يا سميراء؟

قالت:

- أما رسول الله - ﷺ- فهو بحمد الله بخير. وأما المسلمون فقد اتخذ الله منهم شهداء. وأما الكافرون قال الله تعالى فيهم (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال) الأحزاب "٢٥".

قالت عائشة:

- فمن هؤلاء الذين فوق الناقة يا سميراء؟

قالت:

- هما ولداي النعمان وسليم قد شرفني الله باستشهادهما. وإني لأرجو الله أن يلحقني بهما في الجنة.

وذهبت السميراء لتدفن ولديها والدموع تحفر خيوطاً على وجنتيها وتعزي نفسها بأنهما ذهبا إلى جنات الخلد فداءً للرسول ورسالة الإسلام.

إنها أم الشهداء.. في معارك الفرسان.. تركض على ضفاف الأحزان.. تقف شاردة الذهن والوجدان.. فى عالم من صبر وسكون.. إنا لله وإنا اليه راجعون.

وتدعو السميراء بالرحمة والغفران.. للشهداء في كل مكان.. وتجلس في خيمة من حرير.. تتأمل عالما كبيرا.. مبعثرة الخاطر ممزقة الضمير.. وكانت حكمة القدر والمصير.

-٧٧-

سفانة (بنت حاتم الطائي)

سفانة بنت حاتم الطائي.. الوجه الجميل العذب.. سخاء اليد.. وفيض الأدب دراية بالشعر وقصص العرب.

هذه الحسناء الأسيرة.. تقف شامخة في لحظات أثيرة.. هلك الوالد.. وغاب الوافد كان يفك العاني.. ويقتل الجاني.. ويحفظ الجار.. ويحمي الذمار.

والدها حاتم الطائي الذي كان مضرب الأمثال في الكرم عند العرب قبل الإسلام. توفي حاتم الطائي قبل الإسلام ولكن جاءت ابنته سفانة مثال في الأدب والفصاحة والعلم الغزير والشجاعة في التعبير عن الرأي.

اشتهرت بالجود والكرم مثل أبيها.. تميزت بجمال الوجه.. ونقاء القلب وسخاء اليد وفيض الأدب.. أحبت العلم واللغة والشعر.. وعرفت كثيراً من قصص العرب وأساطيرهم الشعبية.

كانت من بين الأسرى الذين قادهم علي بن أبي طالب بعد هزيمة بني طيء واستولى على أملاكهم وأسر رجالهم ونساءهم. وقد تركها أخوها عدي بن حاتم وهرب إلى الشام.

ويصف علي بن أبي طالب سفانة فيقول عنها:

- لما أتينا بسبايا طيء كانت في النساء جارية صماء.. حوراء العينين.. لعساء لمياء.. عيطاء شماء الأنف.. معتدلة القامة.. ردماء الكعبين.. خدلجة الساقين.. لفاء الفخذين.. خميصة الخصر.. ضامرة الكشحين.. مصقولة المتنين. فلما رأيتها أعجبت بها.. وحين تكلمت نسيت جمالها لما سمعت فصاحتها.

وحزنت سفانة لموقفها.. نهضت بشجاعة.. ووقفت أمام الرسول - ﷺ- وقالت في أدب بليغ:

- يا محمد.. هلك الوالد.. وغاب الوافد.. فإن رأيت أن تُخلي عني.. ولا تُشمت بي أحياء العرب.. فإن أبي كان سيد قومه.. يفك العاني.. ويقتل الجاني.. ويحفظ الجار.. ويحمي الذمار.. ويفرج عن المكروب.. ويطعم الطعام.. ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر.. وما أتاه أحد في حاجة فرده خائباً.. أنا بنت حاتم الطائي.

وقال النبي - ﷺ:

- هذه صفات المؤمنين حقاً.. لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه.

ثم نظر إلى قومه وقال:

- خلوا عنها.. فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.. ارحموا عزيزاً ذل.. وغنياً افتقر.

وإكراماً لها أطلق الرسول - ﷺ- قومها معها. وترك لها حرية الاختيار أن تسلم أو تظل فيما هي عليه.

انطلقت سفانة بنت حاتم الطائي إلى أخيها وهي تفكر في موقف الرسول - ﷺ- وشخصيته الإنسانية العظيمة ومدى احترامه لها ولتاريخ أبيها. وعادت سفانة مع أخيها وأسلما أمام رسول الله - ﷺ.

وعاشت سفانة بنت حاتم الطائي.. الوجه الجميل العذب.. سخاء اليد.. وفيض الأدب دراية بالشعر وقصص العرب.

هذه الحسناء الأسيرة.. تقف شامخة في لحظات أثيرة .. هلك الوالد.. وغاب الوافد كان يفك العاني.. ويقتل الجاني.. ويحفظ الجار.. ويحمي الذمار.

-٧٨-

جميلة بنت أبي بن سلول

المرأة التي أعلنت قرارها.. وصممت على خلع زوجها.. فكانت فريدة زمانها.. وأول من رفضت حياتها.. وتولت في الحياة أمرها.

امرأة الحرية والاستقلال.. لا قهر.. لا ظلم لا استغلال.. للمشاعر كرامة وكبرياء وللحب احترام ورضاء.. والصدق فضيلة الشرفاء.

الصحابية الشهيرة في تاريخ الإسلام بأنها صاحبة أول خلع قد حدث في زمانها. فقد تزوجت حنظلة بن أبي عامر الراهب الذي استشهد في معركة أحد. فتزوجت بعد ذلك مالك بن الدخشم ثم تزوجت بعده حبيب بن آساف.

وهي عمة الصحابي عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول، وأخت عبدالله بن أبي بن سلول كان آخر من تقدم للزواج منها ثابت بن قيس، وكان مهرها حديقة ثرية بالثمار والأشجار وعاشا معاً حياة هانئة في رحاب الإسلام.

لم يكن هناك ما يبعث الاستياء أو الضجر في قلب جميلة سوى شكل زوجها. فقد كان ثابت بن قيس أسود الوجه وقصير وتقترب ملامحه من الدمامة، وهذا كان يبعث مشاعر من الرفض والقلق لدى جميلة.

قررت جميلة أنها لن تخدع زوجها فهي غير راضية به زوجا، وكان يسيطر على مشاعرها إحساساً بالنفور والاضطّراب، ولذلك قررت أن تخلع زوجها رأفة بحياتها واحتراماً لمشاعرها وأن تكون صادقة في موقفها من زوجها حتى لا تظلمه أو تسيء إليه.

فتوجهت جميلة إلى رسول الله - ﷺ- وشرحت له موقفها قائلة:

- يا رسول الله. لا أعيب على ثابت في دين ولا في خلق، ولكن أكره الكفر بعد الإسلام فقال الرسول - ﷺ:

- يا جميلة ما كرهت من ثابت؟

قالت جميلة في صدق:

- والله ما كرهت منه شيئاً إلا دمامته إني لا أطيقه بُغضاً.

فسألها الرسول - ﷺ:

- أتُردين عليه حديقته؟

قالت:

- نعم وإن شاء زدته.

وانفصلت جميلة عن ثابت بن قيس، فكان ذلك أول خلع في الإسلام .ولا شك أن هذه القصة تؤكد كيف تبدو مكانة المرأة في الإسلام ذات رأي حر وفكر مستقل وتقدير لمشاعرها، وتلك مكانة كبيرة توضح استقلالية المرأة في الإسلام.

وعاشت جميلة حياتها كما كانت تتمنى وعرف عنها الصدق في الموقف والأمانة مع الذات واحترام الرأي الآخر والاعتزاز بالنفس والإيمان العميق بالعقيدة الإسلامية، والثقة في آراء رسول الله - ﷺ.

وبعد أن رحلت جميلة أصبحت قصة حياتها شهيرة عبر العصور نتعلم منها كيف نحيا حياة قائمة على الصدق يعبر فيها الإنسان عن أفكاره ومشاعره في حرية دون قهر أو خوف.

ولذلك مازلنا نذكر جميلة بنت أبي بن سلول أول امرأة قامت بخلع زوجها في الإسلام.

هي المرأة التي أعلنت قرارها.. وصممت على خلع زوجها.. فكانت فريدة زمانها وأول من رفضت حياتها.. وتولت في الحياة أمرها.

امرأة الحرية والاستقلال.. لا قهر.. لا ظلم لا استغلال.. للمشاعر كرامة وكبرياء وللحب احترام ورضاء.. والصدق فضيلة الشرفاء.

-٧٩-

أم هشام بنت حارثة

أم هشام.. نبع العلم وحسن الكلام.. والفكر السابح بين الغمام.. سيدة القلب الخافق في بحر الأحلام.. ونبض الروح ونبع الإلهام.. والرأي الصائب في الأحكام.

الصحابية العابدة.. والسيدة الساجدة.. أم هشام بنت حارثة بن النعمان هذا الصحابي الذي اتصف بالكرم.. وسبحت روحه في ملكوت الله.. وخفق قلبه بحب الرسول - ﷺ- فكان دائماً في رحابه يقتفي خطاه ويمضي على هداه.

ومن مواقف والدها مع الرسول الكريم أنه وهب أرضاً له حول المسجد لبناء بيته وبيوت المهاجرين، وكلما تزوج - ﷺ- ترك له حارثة منزله حتى صارت كل أرضه لزوجات رسول الله - ﷺ- فقال:

- لقد استحييت من حارثة مما يتحول عن منازله.

ومن هذا الصحابي تعلمت أم هشام ورجح عقلها وسمت روحها وتعمقت في الفكر الإسلامي والفقه وأصبحت ذات علم تجلس مع النساء تشرح لهن عقائد الدين وتناقش قضاياهن الاجتماعيه وتساهم في الواقع الاجتماعي بالرأي الصائب والحكمة البليغة.

ساهمت أم هشام بنت حارثة في نشر الوعي الديني والثقافة بين النساء، واهتمت باكتساب العلم ومجالسة أهل الفقه والرأي، وكانت تدرس أحاديث الرسول - ﷺ.

كانت دائمة العبادة تحفظ القرآن وتستوعب الشعائر الدينية وتشرحها للآخرين، ويقال إنها تميزت بسرعة بديهة وذاكرة قوية حتى أنها حفظت سورة "ق"، من فم رسول الله - ﷺ.

وقد ساعدها ذلك على أن تكون من رواة الحديث، بل إن كثيراً من التابعين قد رووا عنها وتعلموا منها الكثير من مواقف التسامح والصدق والحكمة.

وظلت أم هشام تحتل مكانة كبيرة لدى الرسول - ﷺ- والصحابة والمجتمع الإسلامي وتشعر بسعادة غامرة لأنها تسكن بجواره فكانت هي وأسرتها خير جيرة، حيث ذكرها في أكثر من موقف حيث قال:

- دخلت الجنة فسمعت قراءة القرآن. فقلت:

- من هذا؟ قيل حارثة..

وحين رحلت أم هشام بكى عليها الجميع وظلت حياتها صورة حافلة بالعطاء تعبر عن موقف المرأة المسلمة المتفقهة في علوم الدين والحياة.

ها هي أم هشام.. نبع العلم وحسن الكلام.. والفكر السابح بين الغمام.. سيدة القلب الخافق في بحر الأحلام.. ونبض الروح ونبع الإلهام.. والرأي الصائب في الأحكام.

-٨٠-

الفريعة بنت مالك

الفريعة بنت مالك.. قمر مضيء في ليل حالك.. معذبة النفس والقلب هالك.. وردة التحدي والعناء.. نبع العلم والضياء.. صحابية قديرة بين النساء.

أبحرت في شوق للهدى.. واكتشاف الذات عبر المدى.. والإيمان قد تجاوز الردى.. والقلب إلى الحق اهتدى.. فسلام على من اتبع الهدى.

أبوها مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري من فقراء المدينة ولكنه لم يسأل أحداً.. صبر على الجوع وقاوم جدب الحياة في عزة نفس وإباء وظل رافضاً للمذلة والخضوع عفيفاً حتى قال عنه الرسول - ﷺ:

- من أراد أن ينظر إلى العفيف فلينظر إلى مالك بن سنان.

وفي معركة أحد تجلت شجاعته مع جيش المسلمين يدافع عن النبي - ﷺ- ويمسح عن وجهه الكريم نزيف الدماء. وتصدى لطعنات الكفار وسقط شهيداً وقد تمزق جسدة أشلاء.

وقال رسول الله إذ يراه في قبره:

- من أحب أن ينظر إلى من خالط دمي دمه.. فلينظر إلى مالك بن سنان.

والفريعة شقيقها الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان المعروف باسم أبو سعيد الخدري، حيث تعلمت منه علوم الدين وشرائع الإسلام، وكيف يمكن للمرأة المسلمة أن تجاهد في سبيل الله.

شهدت الفريعة بيعة الرضوان تحت الشجرة في الحديبية فقد قال تعالى: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً". (الفتح ١٨).

وذلك حين ذهب الرسول - ﷺ- ومعه أصحابه لأداء العمرة فمنعتهم قريش من الوصول إلى بيت الله الحرام. فكانت البيعة تحت الشجرة، وانتهى الأمر بصلح الحديبية بين قريش ورسول الله ﷺ. وقد شمل الحديث النبوي موقف الفريعة أنه لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها.

الفريعة صاحبية قديرة في رواية الحديث لها قدرة على التأثير والتعمق فى الفقه والدين، فقد روت مجموعة من الأحاديث وكان كبار الصحابة يأخذون عنها العلم ومن الأحاديث التي روتها تقول:

- جئت إلى رسول الله - ﷺ- أسأله أن أرجع إلى أهلي في بني خدرة فقد خرج زوجي في طلب عبيد له هربوا فقتلوه. إن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة.

فقال لي النبي - ﷺ:

- امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله.

قالت:

- فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً.

وتوفيت الفريعة هذه الصحابية الكريمة التي خُلدت في تاريخ الإسلام بمآثرها الطيبة وكلماتها المؤثرة.. وحياتها المثمرة في مزارع الخير والثواب.

وها هي الفريعة بنت مالك.. قمر مضيء في ليل حالك.. معذبة النفس والقلب هالك.. وردة التحدي والعناء.. نبع العلم والضياء.. صحابية قديرة بين النساء.

أبحرت في شوق للهدى.. واكتشاف الذات عبر المدى.. والإيمان قد تجاوز الردى.. والقلب إلى الحق اهتدى.. فسلام على من اتبع الهدى.

-٨١-

بريرة

بريرة.. قلب بالصدق خافق.. نهر من الحب دافق.. الزاهدة في حياتها.. العابدة الخاشعة في محرابها.. الجارية التي أضاءت زمانها.. فأورقت أشجارها.. وأشرقت شمسها.. ومشت حمائم بيضاء في ظلالها.

هذه الجارية التي عاشت في بيت السيدة عائشة يتسرب إلى قلبها نور من آيات القرآن الكريم.. ويستضاء ذهنها بكلمات ممتزجة بحكمة الحياة وتعاليم الإسلام في أحاديث الرسول - ﷺ.

وترتقي بريرة الوديعة بروحها إلى مستويات عالية من الإيمان وتسمو عن الحياة اليومية بكل ما فيها من مشقة وألم وترحل بروح طاهرة في ظلال هذا

الدين الذي فتح أمام عينيها أبواباً من الرحمة والحب والتقدير، لكرامتها وشخصيتها الإنسانية.

لذلك لم يقتصر دورها على خدمة السيدة عائشة، بل كانت ترقب العالم من حولها، وساهمت في الجهاد أثناء الحروب والمعارك تساعد في مداواة الجرحى وسقاية المسلمين الأبطال أثناء وبعد المعركة.

وعرف المسلمون بريرة ذات القلب المسكون بالحب والإيمان والوجه الباسم الرقيق بملامح الرحمة والحنان. في الكرم لها مآثر وفي العطاء نهر زاخر.. وفي الزهد خشوع غامر وبحر التقوى آسر.

هذه المرأة البسيطة الطيبة سمت بمشاعرها وأحلامها وانحازت للبطولة والشجاعة والجراءة ومواجهة المواقف دون خوف أو تردد فقد علمها الإسلام، إنه لا فرق بين البشر إلا بالتقوى والإيمان فقد تميزت بالصدق والأمانة في كل مواقف حياتها.

ولذلك دعاها الرسول - ﷺ- ليسألها عن عائشة في حادثة الإفك:

- "أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة"؟

فقالت بريرة في صدق:

- والذي بعثك بالحق إن ما رأيت عليها أمراً قط أغمضه عليها.

هكذا تكون الصادقة أمام الرسول - ﷺ- وقد كانت دائماً مثار تقدير من السيدة عائشة التي تقول عنها:

– كان في بريرة ثلاث سنن إحدى هذه السنن أنها أُعتقت فخُيرت في زوجها، وقال رسول الله الولاء لمن أعتق.

كانت بريرة شجاعة في الحق لا تهاب حاكماً أو والياً، ولذلك يقول عبد الملك بن مروان معبراً عن إعجابه بموقفها:

– كنت أجالس بريرة بالمدينة قبل أن ألي هذا الأمر، فكانت تقول:

– يا عبد الملك إني لأرى فيك خصالاً وخليقا أن تلي أمر هذه الأمة، فإن وليته فاحذر الدماء فإني سمعت رسول الله يقول:

– إن الرجل ليدفع عن باب الجنة أن ينظر إليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق.

هكذا كانت وأصبحت.. الجارية التي أسلمت.. وسمت.. وتعلمت وتأثرت.. وغدت صوتاً حراً طليقاً تواجه الحاكم وتنصح الناس وترشدهم إلى الخير والفضائل.. ويعجب بها الصحابة والولاة ويحترمون موقفها وحديثها.

وتوفيت الصحابية بريرة في زمن خلافة يزيد بن معاوية ورحلت إلى جنات الخلد يذكرها التاريخ.. ويتوقف أمامها زمن جميل من أروع عصور الإسلام حين تصبح الجارية سيدة زمانها.

وظلت بريرة.. قلب بالصدق خافق.. نهر من الحب دافق.. الزاهدة في حياتها.. العابدة الخاشعة في محرابها.. الجارية التي أضائت زمانها.. فأورقت أشجارها.. وأشرقت شمسها.. ومشت حمائم بيضاء في ظلالها.

-٨٢-

سهلة بنت سهيل بن عمرو

سهلة بنت سهيل.. الشهيرة بالرمز والدليل.. والخلق الجميل.. في أسرة من الشهداء.. تمرد العقل ضد الإغفاء.. واتخذ الجهاد رداء.

يا سيدة الأحاسيس المرهفة.. الخجل مواقف جارحه ونازفة.. لم تهدأ بعد العاصفة والآراء مازالت حزينة وآسفة.. وأنتِ لسالم خير الأمهات.. نهر الثواب ونبع الخيرات.

الصحابية التي كان والدها من كبار رجال قريش وقف ضد الدعوة الإسلامية في البداية ثم أسلم واستشهد في معركة اليرموك بعد رحلة جهاد في سبيل الله. ومن مواقفه الأخرى يوم وفاة الرسول – ﷺ– أنه خطب في المسلمين ليبعث الهمم ويثبت العقيدة في حياتهم ويساندهم في هذا اليوم.

تزوجت سهلة من الصحابي أبو حذيفة بن عتبة وقد أسلمت معه في مكة وهاجرت إلى الحبشة، حيث رحلت مع زوجها وقد خلف ورائهما كل ما يملكان وتركا كل شيء وعاشا معاً وأنجبت هناك ابنهما محمد.

السيدة سهلة لها مواقف كثيرة مع الرسول – ﷺ– ومن هذه المواقف ما يختص بالرخصة النبوية التي منحها لها فقط دون سائر النساء، حيث ذهبت إليه تستطلع رأيه في موقف سالم هذا الطفل الذي تبنته، وكان يدخل عليها فقالت:

- يا رسول الله إنا كنا نرى سالماً ولداً وقد كان يدخل عليَّ وقد بلغ ما بلغ الرجال، وأنه ليدخل عليَّ وأظن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً فماذا ترى فيه؟

فقال الرسول - ﷺ:

- أرضعيه يحرم عليكِ.

ودُهشت سهلة وسألت:

- كيف أُرضعه وهو رجل كبير له شارب ولحية.

فقال لها النبي - ﷺ- مؤكداً:

- أرضعيه يحرم عليكِ.

وعندما علم زوجها أبو حذيفة ذهب يستوثق من الرسول - ﷺ- الذي قال له:

- أليس في ثديها لبن؟

قال أبو حذيفة:

- نعم يا رسول الله.

فقال الرسول - ﷺ:

- تفرغ خمس حلبات في إناء كل يوم ويشرب منه سالم فيحرم عليها.

وفعلت سهلة ما أمرها رسول الله - ﷺ- حيث كانت تحلب في مسمط أو إناء قدر رضعة فيشرب سالم في كل يوم، حتى مضت خمسة أيام أصبح بعدها يدخل عليها وهي حاسر.

ولقد ظلت مع زوجها أبا حذيفة في جهاد مستمر مع المسلمين، حيث استشهد أبو حذيفة في معركة اليمامة مع سالم.

وواجهت المحنة راضية مطمئنة لثواب الله تعالى أن زوجها وسالماً قد رحلا إلى جنات الخلد والنعيم في الآخرة، واستمرت في حياتها تتصدق على الفقراء وتعلم النساء شيئاً من علوم الدين.

وعاشت حتى عصر الدولة الأموية وهي من خير النساء المسلمات حتى وفاتها في المدينة المنورة، وما زالت حياة سهلة تفوح بالمواقف العاطرة التي تجسد لنا صورة الزوجة الحريصة على مشاعر زوجها وأخلاقها العالية.

وهكذا كانت سهلة بنت سهيل.. الشهيرة بالرمز والدليل.. والخلق الجميل.. في أسرة من الشهداء.. تمرد العقل ضد الإغفاء.. واتخذ الجهاد رداء.

يا سيدة الأحاسيس المرهفة.. الخجل مواقف جارحة ونازفة.. لم تهدأ بعد العاصفة والأراء مازالت حزينة وآسفة.. وأنتِ لسالم خير الأمهات.. نهر الثواب ونبع الخيرات.

-٨٣-
عفراء الأنصارية

الصحابية عفراء.. أم الشهداء.. دمع في القلب.. وفرح في السماء.. جرح يتألم ونزيف دماء.. روح تتبسم وللحزن كبرياء.

هذه سيدة النور والنقاء.. أبناؤها للجهاد فداء.. وفوق المآذن صلوات ودعاء.. ها هم الآن في جنة الرحمن أحياء.

كانت من السابقات إلى الإسلام حيث أسلمت أمام الرسول – ﷺ– وعاشت تنهل من تعاليمه وأحاديثه ومواقفه العظيمة في كل مجال. وقد تميزت هذه الصحابية بفكر يتدبر أحوال الوجود وعقل يتفكر في الكون وروح عابدة محلقة في سماء الهدى والتقوى.

تزوجت عفراء الحارث بن رفاعة وأنجبت معاذاً.. ومعوذاً.. وعوفاً. ثم تزوجت بعده البكير بن ياليل الليثى فولدت له أربعة: إياساً.. وعاقلاً.. وخالداً.. وعامراً. وكل هؤلاء الأبناء السبعة الشباب قد جاهدوا من أجل رسالة الإسلام وكتب لهم الشهادة.

لا شك أن هذه الصحابية بإيمانها الكبير قد اكتسبت بعضاً من الحكمة وكثيراً من الصبر ما يساعدها على تحمل ألم فراق أبنائها الشهداء، وتقرر بأن الله قد منحها الرحمة والإيثار، لأنها وهبت أولادها للجهاد فى سبيل الله.

وهكذا تقف الصحابية عفراء بنت عبيد سيدة الموقف الأليم لتواجه قصة استشهاد أبنائها جميعاً في معركة بدر واليمامة وبئر والرجيع، حيث كانت ثابتة اليقين قوية الإيمان تبتسم حين تسمع خبر استشهادهم وقلبها يبكي في صمت وارتياح.

ولقد شاركت مثل أبنائها في الجهاد فهي تقوم على خدمة المسلمين الأبطال، وتساهم في تقديم العون والمساعدة للجرحى، وكذلك مساندة النساء في مواقفهن حين يعلمن بخبر استشهاد أبنائهن أو أزواجهن.

وفي معركة بدر قام اثنان من أبنائها بقتل أبو جهل فرعون هذه الأمة ورأس الكفر كما كان يطلق عليه. وفي نهاية المعركة شاهد الرسول - ﷺ - ابني عفراء بعد أن استشهدا ونظر إليهما وقال في حزن:

- رحم الله ابني عفراء فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس الكفر.

فقالوا:

- يا رسول الله ومَنْ قتله معهما؟

قال:

- الملائكة وابن مسعود قد شاركا في قتله.

ورحلت الصحابية عفراء.. أم الشهداء.. دمع في القلب.. وفرح في السماء.. جرح يتألم ونزيف دماء.. روح تتبسم وللحزن كبرياء.

هذه سيدة النور والنقاء.. أبناؤها للجهاد فداء.. وفوق المآذن صلوات ودعاء ها هم الآن في جنة الرحمن أحياء.

-٨٤-

آمنة بنت الأرقم

الصحابية آمنة.. بدأت تتعلم.. في دار الأرقم.. نشأت وأدركت.. وأسلمت وسلمت ومن القرآن تعلمت وسمت.. فهمت وتأثرت وارتقت.. ومع المسلمين هاجرت.. وفي سبيل الله جاهدت.

آمنة بنت الأرقم بن أبي الأرقم.. صاحب الدار الشهيرة التي كان يجتمع فيها الرسول ﷺ.. مع الصحابة والمسلمين في مرحلة الدعوة السرية للرسالة المحمدية.

شاهدت آمنة في هذه الدار كبار رجال الدعوة الإسلامية وترقرق قلبها وذابت مشاعرها كلما سمعت آيات من القرآن الكريم أو بعض من أحاديث الرسول – ﷺ.

تعلمت مبادئ العقيدة الإسلامية في هذه الدار بجوار الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأسلمت وانبعثت تيارات من النور في قلبها وتأثرت وبكت وحلقت بجناحين من شهاب فوق هذا الكون.

هذه دار الأرقم المدرسة الأولى التي تخرجت منها آمنة وتتدفقت أنهار الفضيلة والخلق الكريم في حياتها، وتألقت آمنة مضيئة الروح بالمعاني السامية وتحلم أن تنفتح أبواب المدائن في العالم يتهادى فيها نور الإسلام.

ولا شك أن هذه الصحابية قد واجهت صنوفاً من العذاب والجهد القاسي وتحملت مواقف الكفار التي وصفت بالعنف والتوحش والجاهلية، ولكن هذه الحكيمة العاقلة المسلمة قد تجاوزت جميع المحن، وكانت في طليعة المهاجرات حمامة بيضاء تحلق حول المدائن وفي الآفاق وعن مواقفها الجميلة مع الرسول – ﷺ– أنه قد وهبها بئراً في المدينة ودعى لها فيه بالبركة والخير والثواب الكبير.

ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا البئر يسمى.. بئر آمنة.

وقد روى حفيدها أبو السائب المخزومي عنها:

– أن الرسول – ﷺ– أقطعها بئراً ببطن العقيق، وتلك منطقة في المدينة المنورة فكانت تسمى بئر آمنة.

تلك صورة تحمل جانباً صغيراً من حياة آمنة بنت الأرقم بن أبي الأرقم السيدة التي سكن الإسلام قلبها منذ نشأتها فقد أبصرت ما حولها، وتفكرت في كل معاني الحياة وهاجرت في سبيل الله.

وحين رحلت عن الحياة بكت عليها نخيل الصحراء والعشب النابت حول بئر آمنة الذي ظل بعدها يغدق من الماء العذب ما يجعل المكان واحة خضراء.

تلك لمحة من حياة الصحابية الصحابية آمنة.. بدأت تتعلم.. في دار الأرقم.. نشأت وأدركت.. وأسلمت.. وسلمت.. ومن القرآن تعلمت وسمت.. فهمت وتأثرت.. وارتقت.. ومع المسلمين هاجرت.. وفي سبيل الله جاهدت.

-٨٥-

رقيقة بنت صيفي

رقيقة بنت صيفي تجاوزت المائة عام.. تمزق قلبها خوفاً في المنام.. سيوف تنزف وتتكسر سهام على سهام.. مواقف رجال.. وأعداء للإسلام.. فسلام على من اتبع الهدى أجلّ سلام.

إنها السيدة الرقيقة الخائفة على حياة الرسول - ﷺ- تتنازع روحها صراعات شتى وهي ترى واقع الحياة أمامها سفك دماء وحروب وقتال ووحشية وجاهلية الكفار في موقفهم من الدعوة الإسلامية. أمها هالة بنت كلدة وزوجها نوفل بن أهيب بن عبد مناف أنجبت منه ولداً سمته مخرمة.

آمنت بالدعوة الإسلامية وجلست تدعو أن يغشى النور قلوب البشر وتحلق الحمائم البيضاء حول بيت الله الحرام وينهمر المطر الذي يطهر الأرض من الآثام.

كانت رقيقة بنت صيفي قد تجاوز عمرها المائة عام حين أسلمت وتهيأت روحها للانطلاق في رحاب الإسلام تنصت لصوت القرآن وحديث الرسول الكريم - ﷺ.

وتحلم أن تساهم مع النساء والرجال في نصرته والوقوف بجواره والدفاع عنه، ولكن كيف ذلك وهي العجوز التي توغلت السنين في حياتها وخلف الزمان في كيانها جسداً متهالكاً، ورغم ذلك ظلت روحها شابة تتأجج بإيمانها العميق وعقيدتها الراسخة.

واجتمع زعماء قريش سراً وانتهى أمرهم إلى أن يقتلوا النبي ﷺ في داره بيد فتى من كل قبيلة ليتوزع دمه - ﷺبين القبائل - وعلمت رقيقة بما تدبره قريش من مؤامرة حول حياة الرسول - ﷺ.

فذهبت إليه بنفسها ولم تأمن ابنها مخرمة ابن نوفل في نقل الرسالة فذهبت وحذرته من المبيت في داره، وأخبرته بتفاصيل المؤامرة عليه.

وتشاء العناية الإلهية أن تنقذ الرسول من أيدي الطغاة، وذلك حين جاء جبريل – عليه السلام – أخبر الرسول – ﷺ– ألا ينام في فراشه هذه الليلة. ونام مكانه علي بن أبي طالب.

وخرج عليهم الرسول – ﷺ– وفي يده حفنة من تراب ينثرها على رؤسهم وهو يتلو قوله تعالى:

"وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون" (يس ٩).

وهكذا ينقشع الغمام ويهمى المطر لتصفو السماء وينبت العشب الطالع على جبين الصحراء ويهدأ قلب الرقيقة وتقول:

شيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر

جاد بالماء جونيّ له سبل ... سحا فعاشت به الأنعام والشجر

منا من الله بالميمون طائره ... وخير من بشرت يوماً به مضر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به ... ما في الأنام له عدل ولا خطر

وهكذا رقيقة بنت صيفي تجاوزت المائة عام.. تمزق قلبها خوفاً في المنام.. سيوف تنزف وتتكسر سهام على سهام.. مواقف رجال.. وأعداء للإسلام.. فسلام على من اتبع الهدى أجلّ سلام.

-٨٦-

أميمة بنت رقيقة

أميمة بنت رقيقة.. الصحابية الصادقة الصديقة.. والعقل الباحث عن الحقيقة.. كانت تسأل في العلم والدين.. وتمضي في طريق اليقين.. وهبت روحها لرب العالمين.

في قلبها خشوع.. وفي سجودها خضوع.. وفي دعائها دموع.. فمن يضيء لها الشموع؟

أميمة بنت السيدة رقيقة بنت أبي صيفي وخالتها السيدة خديجة بنت خويلد زوجة النبي - ﷺ. تزوجت حبيب الثقفي.

أسلمت في مكة وبايعت الرسول - ﷺ- وقالت له:

- نبايعك يا رسول الله على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف.

فقال رسول الله - ﷺ:

- فيما استطعتن وأطقتن.

فقالت أميمة بنت رقيقة:

- الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا هلم لنبايعك يا رسول الله.

فقال الرسول - ﷺ:

- إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة.. قولي لامرأة واحدة.

عاشت أميمة بنت رقيقة مثالاً للمرأة المسلمة الفاضلة تعلم أبناءها القرآن الكريم والأخلاق الكريمة والشعائر الدينية التي تعمق فيهم تعاليم الإسلام.

وشهد الصحابة لها لمواقفها مع الرسول - ﷺ- وكذلك مع الخلفاء قد كان لها موقفاً مع معاوية بن أبي سفيان حين سكنت أميمة بلاد الشام وكان معاوية مريضاً فذهبت إليه، وقال لها:

- أندبيني يا بنت رقيقة.

فقالت أميمة:

- ألا أبكيه ألا أبكيه ألا كل الفتى فيه.

ونظر معاوية إلى ابنتيه هند ورملة وقال لهما:

- اقلبنني.

وقالت أميمة بنت رقيقة:

- إنكما لتقلبان حُوّلاً قُلَّباً .. إن وقي كبت النار غداً.

ورحلت أميمة بنت رقيقة.. الصحابية الصادقة الصديقة.. والعقل الباحث عن الحقيقة.. كانت تسأل في العلم والدين.. وتمضي في طريق اليقين.. وهبت روحها لرب العالمين.

في قلبها خشوع.. وفي سجودها خضوع.. وفي دعائها دموع.. فمن يضيء لها الشموع؟

-٨٧-

فضة النوبية

فضة النوبية.. لؤلؤة ذهبية.. أسلمت في حرية.. وآمنت بالدعوة الإسلامية ورددت عند الضيق دعاء.. فأشرق الفجر.. وأطل الضياء.

وحول الكعبة وفي الطواف.. تألقت زهرة من الصفصاف:

- اللهم رب الكعبة الحرام.. والحفظة الكرام.. وزمزم والمقام.. والمشاعر العظام.. ورب محمد خير الأنام.. والبررة الكرام.. أسألك أن تحشرني مع السادة الطاهرين.. وأتباعهم الغر الميامين.

فضة النوبية كانت تعمل جارية لفاطمة الزهراء وخلال تلك الفترة تعلمت الكثير من شئون الإسلام، حيث علمها الرسول - ﷺ - دعاء تدعو به إذا ضاق بها الحال. وفي أحد الأيام ذهبت واحتطبت، وحاولت أن تحمل حزمة من الحطب كبيرة، ولكنها عجزت عن ذلك فوقفت ورفعت رأسها إلى السماء تدعو الدعاء الذي علمها به الرسول - ﷺ- وقالت:

- يا واحد ليس كمثله أحد تميت كل أحد، وتفني كل أحد، وأنت على عرشك واحد لا تأخذه سنة ولا نوم.

وفجأة شاهدت أحد الرجال يقف أمامها، وحمل عنها الحطب الثقيل إلى دار السيدة فاطمة.

فضة النوبية تعلمت الفصاحة من لغة القرآن الكريم، فقد تميزت بعذوبة في التعبير ورقة في الحديث وخصوبة في المعاني، كما أنها كانت على علم بتحويل المعادن باستخدام الإكسير الذي يذيب النحاس ويحوله إلى سبائك من الذهب.

وفي يوم سألها عمر بن الخطاب حين قدمت له سبيكة ذهب.

– أحسنت يا فضة لكن لو أذبت الجسد لكان الصبغ أعلى والقيمة أغلى.

وسألته فضة.

– أو تعرف هذا العلم يا سيدي؟

وأشار عمر بن الخطاب إلى الحسين، وقال:

– نعم وهذا الطفل يعرفه. نحن نعرف أعظم من هذا.

وأشار لها بيده إلى ركن يحتوي على بعض من الذهب، وقال لها:

– ضعيها مع أخواتها.

كانت فضة النوبية تختلف كثيراً عن سائر النساء في المدينة، حيث تمتلك قدرات ذهنية تجعلها سريعة الذكاء تستوعب الأفكار في سرعة وتحفظ آيات من القرآن والأدعية من خلال البيئة التي عاشت فيها. وقد شاهدها ورقة بن عبدالله الأزدي، وهي تطوف حول الكعبة وتردد كلمات جميلة ذات معاني عميقة وتقول:

– اللهم رب الكعبة الحرام والحفظة الكرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام ورب محمد خير الأنام والبررة الكرام. أسألك أن تحشرني مع السادة الطاهرين وأتباعهم الغر الميامين.

وقد ظلت فضة النوبية في بيت فاطمة الزهراء حتى وفاة النبي – ﷺ– تواجه المحن مع ابنته وتحاول أن تهون عليها مأساة الرحيل فكانت خير رفيق بجوار فاطمة الزهراء.

وتوفيت فضة النوبية بعد أن عاشت حياة كريمة في ظلال الإسلام تتعلم وتسمو بذاتها فوق الواقع، وتشارك في كل موقف وأحبها الناس والصحابة، وتعلمت من الرسول الكريم – ﷺ– مبادئ العقيدة الإسلامية.

ومازلنا نذكر فضة النوبية.. لؤلؤة ذهبية.. أسلمت في حرية.. وآمنت بالدعوة الإسلامية ورددت عند الضيق دعاء.. فأشرق الفجر.. وأطل الضياء.

وحول الكعبة وفي الطواف.. تألقت زهرة من الصفصاف:

– اللهم رب الكعبة الحرام.. والحفظة الكرام.. وزمزم والمقام.. والمشاعر العظام.. ورب محمد خير الأنام.. والبررة الكرام.. أسألك أن تحشرني مع السادة الطاهرين.. وأتباعهم الغر الميامين.

-٨٨-

أم حكيم

الصحابية أم حكيم.. ذات القلب الرحيم.. ووردة الحب والصفاء.. القلب الذي أدرك سر العطاء. وتحدت وجاهدت وقاتلت الأعداء.. رفضت

التراجع رفضت الانحناء.. شهدت الانتقام لشهدائها.. ووهبت روحها لجهادها.. ودماء حياتها.. إلى ربها.

أسلمت يوم فتح مكة وغمر قلبها إيمان عميق، ولكن رفض زوجها عكرمة بن أبي جهل أن يؤمن برسالة الإسلام وفر هارباً إلى اليمن خوفاً من المسلمين، بعد أن أعلن الرسول - ﷺ- إهدار دمه.

ذهبت أم حكيم إلى الرسول - ﷺ- ليعفو عن زوجها فرق لحالها، ووافق وسألها أن يرجع إلى بيته وانطلقت أم حكيم خلف زوجها عكرمة، وقالت له:

- يابن العم جئتك من أوصل الناس وخير الناس لاتهلك نفسك فقد استأمنت لك رسول الله فأمنك.

وسألها زوجها بدهشة:

- هل أنتِ فعلت ذلك؟

ورجع الاثنان معاً واستأذن على رسول الله عكرمة، وأعلن إسلامه ووفائه وإصراره على الجهاد. وظل عكرمة يجاهد مع الرسول والمسلمين حتى استشهد في موقعة أجنادين.

وتزوجت أم حكيم بعده الصحابي خالد بن سعيد بن العاص، وقبيل أن يتزوج بها أعلن المسلمون الجهاد ضد الروم.

وخاف خالد بن سعيد أن يقتل في الحرب وعرض على زوجته الأمر، وقالت له:

- لو انتظرت حتى يهزم الله هذه الجموع.

فقال لها في قلق:

- إن نفسي تحدثني أني سوف أقتل في الحرب.

قالت في هلع:

- فدوتك.

وتزوجا وأقاما عرساً عند منطقة القنطرة التي أطلق عليها فيما بعد قنطرة أم حكيم. وفي اليوم التالي كانت المعركة مع الروم، فدافع خالد بن سعيد من أجل الحق وإعلاء كلمة الإسلام ضد أعداء الدين، وكان بطلاً في المعركة وظل يحارب حتى استشهد.

وعندما علمت ذلك أم حكيم فزعت وانطلقت إلى ساحة القتال، وقد عزمت على الإنتقام لزوجها الأول عكرمة وخالد وجميع شهداء المسلمين، ويقال إنها استطاعت في هذه المعركة أن تقتل سبعة من الروم.

هذه صورة من حياة الصحابية أم حكيم الزوجة الوفية والفارسة المجاهدة العنيدة والمؤمنة التي عبرت عن حبها وإيمانها لله والرسول، وقد كانت دائماً من أجمل نماذج التضحية والفداء. وقد تركت في كتب التراث ذكرى يتوقف عندها التاريخ.

الصحابية أم حكيم.. ذات القلب الرحيم.. ووردة الحب والصفاء.. القلب الذي أدرك سر العطاء.

وتحدت.. وجاهدت.. وقاتلت الأعداء.. ورفضت التراجع رفضت الانحناء.. شهدت الانتقام لشهدائها.. ووهبت روحها لجهادها.. ودماء حياتها.. إلى ربها.

-٨٩-

أميمة بنت صبيح

أميمة بنت صبيح.. التائهة في البيداء.. ما بين نهر ظلام وكون من ضياء.. رافضة نور الحق والنداء.. فمن يشملها بالدعاء؟.. ويدعو لها بالهداية والبقاء.. من يفتح أمام عينيها كتاب السماء؟

أميمة بنت صبيح هذه الأم التي رفضت أن تؤمن بالرسالة في بداية الأمر.. ووقفت في تحد مع ولدها أبي هريرة الدوسي اليماني الذي أسلم وأصبح من كبار رجال الصحابة، ومن رواة الأحاديث النبوية.

ظلت الأم تضرب في الظلمات وولدها أبو هريرة يبكي من أجلها ويناديها أن تعلن إسلامها، وتمضي مع قافلة المسلمين تسبح بحمد الخالق، وتنصت إلى أحاديث الرسول الكريم – ﷺ.

ويجلس حزيناً لا يدري ماذا يفعل!! فقد نشأ أبو هريرة يتيماً حيث توفي والده وهو صغير وعاش في رعاية أميمة بنت صبيح بنت الحارث والتي تعرف بأم أبي هريرة.

ولذلك قرر أن يعبر عن أحزانه إلى الرسول – ﷺ- فقال له:

– إن أمي كانت مشركة وكنت أدعوها إلى الإسلام، وتأبى عليّ فدعوتها يوماً فأسمعتني فيك يا رسول الله ما أكره، فأتيت إليك باكياً وأسألك أن تدعو لها.

فقال الرسول – ﷺ لم:

– اللهم اهد أم أبي هريرة.

وخرج أبو هريرة ليبشر أمه فشاهد الباب وسمع خضخضة الماء، فقالت له أمه أن ينتظر. ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها، وقالت:

– أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

ويقول أبوهريرة:

– فرجعت إلى رسول الله – ﷺ- أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن فأخبرته، وقلت له:

– ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين .

فقال الرسول – ﷺ:

– اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهما.

وعاشت أميمة بنت صبيح أم أبي هريرة حياة فاضلة يرق قلبها للفقراء، وتستمع من ولدها إلى أحاديث الرسول – ﷺ- وتفهم وتتعلم وتدرك معاني القيم الجميلة التي جاء بها الإسلام ينظم حياة الناس وينشر الحب والخير والتسامح بينهم.

ولـذلك عـبرت في حياتها عـن أجمـل معـاني الحـب والكـرم والخـير، ومـن المواقف التي تشهد بذلك يوم كان أبو هريرة جالساً مع حميد بن مالك بن خثيم في أرض أبي هريرة بالعقيق فأتاه قوم فنزلوا عنده فقال أبو هريرة لأحدهم:

- اذهب إلى أمي فقل لها إن ابنك يقرئك السلام وأطعمينا شيئاً.

وذهب إليها الرجل فوضعت أم أبي هريرة ثلاثة أقراص في الصحفة، وشيئاً من زيت وملح وحملهم إلى القوم. وحين شاهد ذلك أبو هريرة كبّر وقال:

- الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز بعد إن لم يكن طعامنا إلا الأسودين التمر والماء.

ورحلت السيدة التي هداها الله إلى النور وسبحت روحها في مواكب من الغفران والتسامح بعد أن كانت تائهة في البيداء لا تدري إلى أين تمضي وحدها، حتى شملها الرسول - ﷺ- بالمحبة والدعاء فكانت الهداية من رب السماء.

ومازلنا نذكر أميمة بنت صبيح.. التائهة في البيداء.. ما بين نهر ظلام وكون من ضياء.. رافضة نور الحق والنداء.. فمن يشملها بالدعاء؟.. ويدعو لها بالهداية والبقاء.. من يفتح أمام عينيها كتاب السماء؟

-٩٠-

أم إسحاق الغَنَويَّة

أم إسحاق القلب الحزين.. والدمع السجين.. وعذابات الرحيل.. عبر السنين.. سكن الألم في الأعماق.. وقلبها يحلق في الآفاق.. مهاجراً مع الريح.. مرافقاً الطير الجريح.

أم إسحاق يا وردة العذاب.. دمعك في الحزن ذاب.. فمدى يديك يزول الضباب ويفيض الخير وتكتسي.. الأرض بالثواب.

الصحابية التي أسلمت وآمنت برسالة الرسول - ﷺ- ومضت مع المسلمين تواجه المصاعب والمحن وكانت من المهاجرات.

من المحن التي عاشتها هذه الصحابية مقتل ولدها إسحاق على يد زوجها وتقص علينا هذه المعاناة وتقول:

- خرجت إلى النَّبِيّ - ﷺ- مع أخي، فلما كنت في بعض الطريق قال لي أخي:

- اقعدي يا أم إسحاق فإني نسيت نفقتي بمَكَّة.

فقلت:

- إني أخشى عليك الفاسق" تعني زوجها".

قال:

-كلا. إن شاء الله.

قالت:

- انتظر إسحاق فقد ذهب يأخذ نفقته.

قال:

- لا إسحاق لك قد لحقه الفاسق زوجك فقتله.

وحزنت لمقتل ولدها فذهبت إلى رسول الله - ﷺ- وهو يتوضأ وقالت له باكية:

- يا رسول الله قُتل إسحاق!!

ونظر إليها الرسول ﷺفأخذ كفاً من ماء فنضحه في وجهها. ومنذ ذلك الموقف كانت تواجه المحن والمصائب وتترقرق الدموع في عينيها ولا تسيل على خدها.

ومن مواقفها الأخرى عندما زارت الرسول - ﷺ- فأتى بقصعة من ثريد فأكلت، ومعه رجل يسمى ذو اليدين. فناولها رسول الله - ﷺ- عَرْقاً فقال:

- يا أم إسحاق أصيبي من هذه.

فأكلت منها وتذكرت أنها صائمة فردت يدها لا تقدمها ولا تؤخرها. فقال لها رسول الله - ﷺ:

-"ما لكِ؟"

قالت: كنت صائمة فنسيت.

فقال ذو اليدين:

- الآن بعد ما شبعت؟

فقال لها النَّبِيّ ﷺ:

-"إنما هو رزقٌ ساقه الله تعالى إليكِ".

عاشت تتعلم كيف تكون صابرة في الأزمات، ويشرق قلبها بكلمات الرسول - ﷺ- حين يحدثها ويمنحها بعض من تعاليمة ونصائحه حتى غدت ثابتة حين تلم بها الخطوب أو تعصف بها شدائد الحياة وآلامها.

ورحلت أم إسحاق القلب الحزين والدمع الساكن خلف الأجفان، ويأبى أن يسيل فوق وجنتيها. وكانت واحدة من كوكبة الصحابيات المضيئات عقولهن بالعلم وقلوبهن بالرحمة والحب.

أم إسحاق القلب الحزين.. والدمع السجين.. وعذابات الرحيل.. عبر السنين.. سكن الألم في الأعماق.. وقلبها يحلق في الآفاق.. مهاجراً مع الريح.. مرافقاً الطير الجريح.

أم إسحاق يا وردة العذاب.. دمعك في الحزن ذاب.. فمدى يديك يزول الضباب ويفيض الخير وتكتسي.. الأرض بالثواب.

-٩١-
سُعَيْرَة الأسدية

سعيرة الأسدية.. امرأة المطلق والخلود.. رفضت الدنيا وتخلت عن الوجود. تكسرت من حولها كل القيود.. سافرت فوق النهى وتجاوزت

الحدود.. هذا العالم ضائع ومفقود.. فاختارت أن تكون في رفقة الخالق المعبود.

من هذه الصحابية التي رفضت الحياة بكل ما فيها من متع وزخارف وبهجة واختارت أن تصبر حتى يكتب لها الجنة؟ من هي هذه السيدة التي قاومت المرض وتحدت كل صور الحياة لتظل روحها مشتاقة إلى جنات الخلد؟

تحدث عنها الناس في دهشة وأعجبوا بموقفها وإسلامها الثابت، وكيف وهبت نفسها للعبادة والتهجد والصلاة، وقراءة القرآن الكريم وطاعة الله والرسول - ﷺ.

وانظر ماذا يقول عنها هذان الرجلان. قال ابن عباس لعطاء:

- ألا أريك امرأة من أهل الجنة.

فقال عطاء: بلى.

قال ابن عباس:

- هذه المرأة السوداء أتت النبي فقالت:

- إني أُصْرَع وإني أتكشَّف فادع اللَّه لي.

فقال النبي لها:

- إن شئتِ صبرت ولك الجنة. وإن شئت دعوت اللَّه أن يعافيك.

فقالت سعيرة الأسدية:

- أصْبِر وإنى أتكشَّف فادع اللَّه لي ألا أتكشَّف.

فدعا لها النبي فحقق الله رجاءها، فكانت نوبة الصرع لا تنتابها إلا وهي نائمة متمكنة فلا تتكشَّف.

الصحابية سُعَيْرَة الأسدية من الحبشة كانت ترعى حق اللَّه في نفسها، وتحرص على تعاليم دينها ومع أنها كانت مريضة بالصرع، فإنها لم تيأس أبداً من رحمة اللَّه فهي تصبر على ما أصابها وتعلم أن ذلك من عزم الأمور، وأنه ما من شيء يُبْتَلى به المؤمن الصابر إلا كان في ميزان حسناته يوم القيامة، وفي ابتلاء اللَّه للإنسان حكمة عظيمة يريد اللَّه بها تنقيته من الذنوب.

وحين رحلت سعيرة الأسدية لا شك أنها تركت لنا رسالة عميقة في الإسلام فقد اختارت الآخرة عن الدنيا، ورفضت الحياة بكل ما فيها من نعيم زائل واختارت النعيم الدائم المقيم في الجنة.

سعيرة الأسدية.. امرأة المطلق والخلود.. رفضت الدنيا وتخلت عن الوجود. تكسرت من حولها كل القيود.. سافرت فوق النهى وتجاوزت الحدود.. هذا العالم ضائع ومفقود.. فاختارت أن تكون في رفقة الخالق المعبود.

-٩٢-

سلمى بنت قيس

الصحابية التي عاهدت على رفض المعصية.. وأن تتجلى الروح صافية .. في حياة عابدة زاهية.. شجرة في السماء عالية.. ونجمة في الآفاق نائية.. وذكراها مازالت باقية.. فمن أنتِ أيتها الشامخة؟

إنها سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد إحدى خالات النبي - ﷺ- أعلنت إسلامها على يد مصعب بن عمير حين كان يدعو الناس إلى الإسلام في المدينة.

هي أخت سليط بن قيس أحد فرسان المسلمين الذي تجلت شجاعته في معركة بدر وأحد والخندق وهو أحد أبطال معركة الجسر مع أبي عبيد، حيث استشهد بها سنة أربع عشرة من الهجرة..

وهي واحدة من النساء اللاتي بايعن رسول الله - ﷺ- حيث تقول في هذا الموقف:

- فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف. قال الرسول

- صلى الله عليه وسلم:

- ولا تغششن أزواجكن.

قالت: فبايعناه ثم انصرفنا.. فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلي رسول الله

- ﷺ:

- ما غش أزواجنا؟ قالت:

- فسألته.

فقال:

- تأخذ ماله فتحابي به غيره.

وفي غزوة بني قريظة رأى النبي – ﷺ– الحيرة مرتسمة على وجه أم المنذر فسألها:

– ما لك يا أم المنذر؟

قالت:

– بأبي أنت وأمي يا رسول الله رفاعة بن سموأل كان يزورنا ولنا به حرمة فهبه لي، وكان رسول الله – ﷺ– قد رأى رفاعة يلوذ بها. فقال:

– نعم هو لك.. ثم قالت:

– يا رسول الله. إنه سيصلي ويأكل لحم الجزور.

فتبسم عليه الصلاة والسلام، ثم قال:

– إن يصلي فهو خير لك وإن يثبت على دينه فهو شر له.

ثم أطلقه وقالت أم المنذر:

– فأسلم رفاعة.

تميزت سلمى بنت قيس بالكرم والتقوى والاحتفاء بالرسول – ﷺ– حين يزورها وتقص علينا إحدى هذه الزيارات، وتقول:

– دخل رسول الله – ﷺ– ومعه علي بن أبي طالب ناقة، أي متماثل للشفاء، ولنا دوالي معلقة، فقام رسول الله – ﷺ– يأكل منها وقام علي ليأكل، فطفق رسول الله –ﷺ – يقول لعلي:

– إنك ناقة.

حتى كف علي عن الأكل

قالت: وصنعت شعيراً وسلقاً فجئت به.

فقال رسول الله - ﷺ:

- يا علي أصب من هذا فهو أنفع لك.

كانت صحابية فاضلة نالت تقدير الصحابة واحترام الناس لدورها الإجتماعي، وإسهامها مع المسلمين في مواقف الشدة والمحن التي تواجههم. وقد أمضت حياتها في تعبد وإيمان حتى رحلت عن الحياة وذكراها الطيبة باقية.

الصحابية التي عاهدت على رفض المعصية.. وأن تتجلى الروح صافية.. في حياة عابدة زاهية.. شجرة في السماء عالية.. ونجمة في الآفاق نائية.. وذكراها مازالت باقية.. فمن أنتِ أيتها الشامخة؟

-٩٣-

أم سنبلة الأسلمية

أم سنبلة الأسلمية.. صحابية من البادية... صاحبة الهدية.. واليد الندية.. والروح أبية.. تحلق في فضاء الحرية.. والنفس بالإيمان ثرية.. فالحياة موقف وقضية ونور يغمر البشرية.

عاشت في المدينة بعد أن أسلمت وآمنت وسلمت روحها للرحمن الرحيم.. وفي فضاء حياتها تلاوات من القرآن الكريم.. وتذوب بين الجموع تعلن انتماءها إلى عالم بلا حدود.. تتجاوز فيه الواقع والحياة العادية.

تسبح بحمد الله في الصباح والمساء.. وتعرف أن الإيمان سلوك وخلق جميل يسكن في الفكر والمشاعر وفي العلاقات الإنسانية مع البشر جميعاً. اهتدت أم سنبلة الأسلمية إلى طريق الخير والحق والفضيلة.

كل يوم تسمع عن الرسول – ﷺ- وأحاديثه الكريمة التي توضح القضايا وتفسر الحقائق وظواهر الكون. وتتمنى أن تظل أمامة تتعلم وتفهم وتدرك وينشرح قلبها بالرحمة والمحبة والهدى والتقوى.

وتفكر أم سنبلة الأسلمية أن تذهب إلى الرسول – ﷺ- وتحمل إليه هدية لتعبر عن مشاعرها الصادقة فقد عُرف عنها الكرم والخلق السامي وعلاقاتها الطيبة بأهل المدينة.

وحين ذهبت ومعها الهدية رفض أزواجه قبولها، ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يردها أبداً منكسرة المشاعر أو ممزقة الأحاسيس، ولكنه يقول:

– خذوها فإن أم سنبلة أهل باديتنا ونحن أهل حاضرتها.

وقد تعددت مواقفها مع الرسول – ﷺ- فقد حدث أن ذهبت إليه وأهدت إليه لبناً، فقالت لها السيدة عائشة:

إن رسول الله – ﷺ- قد نهى أن نأكل طعام الأعراب.

فدخل رسول الله – ﷺ- وأبو بكر فقال:

– "يا أم سنبلة ما هذا معك"؟

قالت أم سنبلة مبتهجة:

- لبن أهديته لك.

قال: اسكبي يا أم سنبلة.

فناولته رسول الله - ﷺ- فشرب.

فقالت عائشة:

- يا رسول الله قد كنت حدثتنا أنك نهيت عن طعام الأعراب.

فقال:

- يا عائشة ليسوا بأعراب هم أهل باديتنا، ونحن أهل حاضرتهم إذا دعوناهم أجابونا فليسوا بأعراب.

وهكذا كانت صورة الصحابية أم سنبلة الأسلمية مشرقة بالكرم والأمانة والعبادة والمشاركة في الحياة مع الناس، تحمل همومهم وتفرج عن أحزانهم وتشاركهم مواقفهم في كل مجال.

أم سنبلة الأسلمية.. صحابية من البادية... صاحبة الهدية.. واليد الندية.. والروح أبية.. تحلق في فضاء الحرية.. والنفس بالإيمان ثرية.. فالحياة موقف وقضية ونور يغمر البشرية.

-٩٤-

زينب بنت عبد الله بن معاوية الثقفية

الصحابية المشرقة بثوب الإيمان.. أسراب من طيور في كل مكان.. دعاء وصلاة ورحمة وغفران... مآذن مضيئة لكل إنسان.. تنشر الخير والسلام في المدائن والوديان.. فما أروعك أنتِ يا سيدة الزمان؟

إنها زينب الثقفية زوجة عبد الله بن مسعود الصاحبية التي أسلمت واستجابت للدعوة الإسلامية، وكانت من النماذج النسائية الشهيرة التي انطلقت في طريق العبادة والعمل الصالح تجاهد في الحياة من أجل أبنائها، وتسعى دائماً إلى الإرتقاء بذاتها وأن تحلق في آفاق عالية من العقيدة الإسلامية.

كانت زينب بنت عبد الله بن معاوية تخشى الله وتبذل جهداً كبيراً في فهم مبادئ الدين الإسلامي، ولذلك اهتمت بطرح تساؤلات كثيرة حول مواقفها في الحياة ومن هذه التساؤلات تقص علينا حين ذهبت إلى الرسول – ﷺ– لتستفسر منه عن قضية ما فتقول:

– انطلقت فإذا على الباب امرأة من الأنصار حاجتها مثل حاجتي اسمها زينب فخرج علينا بلال فقلنا له:

– سل لنا رسول الله – ﷺ– أيجزئ عنا من الصدقة النفقة على أزواجنا وأيتام في حجورنا؟

فدخل بلال فقال:

– يا رسول الله على الباب زينب.

فقال رسول الله – ﷺ:

– أي الزيانب؟

فقال بلال:

- زينب امرأة عبد الله بن مسعود وزينب امرأة من الأنصار تسألانك عن النفقة على أزواجهما وأيتام في حجورهما. أيجزئ ذلك عنهما من الصدقة؟.

فقال رسول الله - ﷺ:

- نعم لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة.

هكذا كانت زينب بنت عبد الله بن معاوية الثقفية تناقش وتسأل باحثة عن الحقائق وطريق الحق لتكون على بينة من أمور دينها. وقد كانت صادقة مع نفسها تخشى الله في كل مكان وترفض أن تعيش حياتها الدينية دون علم بأصول الدين الإسلامي.

ومن أحاديثها الأخرى عن الرسول - ﷺ- أنه قال:

- إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تمس طيباً.

هذه لمحة بسيطة عن إحدى النساء الصاحبيات اللاتي سمت نفوسهن وتجاوزت الآفاق، ووهبت روحها لحياة العبادة والكفاح حتى تحلت بالقيم والأخلاق الكريمة.

وعندما رحلت عن الحياة تركت في القلوب أثراً أليماً، ومازال التاريخ يسجل صفحات خالدة عن مآثرها الطيبة وحياتها الرائعة.

إنها الصحابية.. المشرقة بثوب الإيمان.. أسراب من طيور في كل مكان.. تسبح بالدعاء رحمة وغفران... مآذن مضيئة لكل إنسان.. تنشر الخير والسلام في المدائن والوديان.. فما أروعك أنتِ يا سيدة الزمان؟

-٩٥-

خليدة بنت قيس

خليدة بنت قيس.. الصحابية التي أسلمت.. وآمنت وفي نور الإسلام اهتدت.. ومن نبع الهدى ارتوت.. وفي المواقف جاهدت.. وفي الحياة صبرت وثابرت.

خليدة بنت قيس صحابية من قبيلة بني دهمان تزوجت البراء بن معرور وأنجبت منه بشر الذي حارب في موقعة بدر وأكل من الشاة المسمومة مع رسول الله – ﷺ.

وقصة الشاة شهيرة في تاريخ السيرة، وذلك حين أهدت امرأة يهودية اسمها زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة وذهبت بها إليه.

فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور قد تناولها، واستطاب مذاقها وأما رسول الله فلفظها، وقال:

– إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم.

ثم دعا المرأة اليهودية وسألها:

– ما حملك على ذلك؟.

قالت المرأة:

- بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت إن كان كذاباً استرحت منه وإن كان نبياً فسيخبر.

عفا عنها رسول الله، ولكن مات بشر من هذه الشاة.

أسلمت خليدة أم بشر بن البراء، وبايعت رسول الله وروت عنه مجموعة من الأحاديث، ولها مواقف كثيرة معه منها أنها سألته:

- هل يتعارف الموتى؟

فقال الرسول - ﷺ:

تربت يداك.. النفس الطيبة طير خضر في الجنة، فإن كان الطير يتعارفون في رؤوس الشجر فإنهم يتعارفون.

ومن المواقف الأخرى تقص أم بشر بن البراء بن معرور، وتقول سمعت رسول الله - ﷺ- يقول لأصحابه:

- ألا أنبئكم بخير الناس رجلاً.

قالوا:

- بلى يا رسول الله.

ورمي بيده نحو المغرب، وقال:

- رجل آخذ بعنان فرسه ينتظر أن يغير أو يغار عليه.

- ألا أنبئكم بخير الناس رجلاً بعده؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

ورمى بيده نحو الحجاز، وقال:

- رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعلم حق الله عليه في ماله قد اعتزل شرور الناس.

ومن المواقف الأخرى حين زارت أم بشر الرسول - ﷺ- أثناء مرضه وتصف هذا الموقف السيدة عائشة وتقول:

- دخلت أم بشر بن البراء بن معرور على رسول الله - ﷺ- في مرضه الذي مات فيه وهو محموم فمسته فقالت:

- ما وجدت مثل وعك عليك على أحد.

فقال رسول الله - ﷺ:

- كما يضاعف لنا الأجر كذلك يضاعف علينا البلاء.

وتذكر الرسول قصة الشاة فقال:

- يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاعا، أبهري "عروق القلب" من الأكلة التي أكلت مع ابنك بخيبر.

وظلت حياة أم بشر من الصور المثلى في تاريخ الصحابيات، حيث عاشت في رحاب الإسلام مؤمنة صابرة تواجه المحن بروح ثابتة.

وحين رحلت عن الحياة خلفت في قلوب الناس مواقف يتجلى فيها عمق الإيمان والمآثر الطيبة.

إنها خليدة بنت قيس.. الصحابية التي أسلمت.. وآمنت وفي نور الإسلام اهتدت.. ومن نبع الهدى ارتوت.. وفي المواقف جاهدت.. وفي الحياة صبرت وثابرت.

-٩٦-

حبيبة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث

حبيبة الصحابية.. ذات الرأي والحكمة.. والقلب نهر من الحب والرحمة.. والعقل نابض بالعزم والهمة.. سريعه التأثر والتأثير.. حاضرة البديهة.. عميقة التفكير.. رقيقة الحس والمشاعر.. إيمان وتقوى ومآثر.

حبيبة بنت سهل أمها عمرة بنت مسعود وتزوجها ثابت بن قيس وأسلمت وبايعت رسول الله – ﷺ– أصبحت من كوكبة الصحابيات المسلمات اللاتي قدمن نماذج جليلة من خلال حياتهن في الإسلام.

هناك مواقف كثيرة لحبيبة بنت سهل مع الرسول – ﷺ– منها أن حبيبة بعد زواجها من ثابت بن قيس بن شماس كان في طبعه شدة فأدى ذلك إلى خلاف بينهما، فذهبت إلى الرسول تشكوه فلما خرج النبي – ﷺ

قالت: أنا حبيبة.

قال: ما شأنك؟

قالت: لا أنا ولا ثابت.

فجاء ثابت عند ذلك فقال له النبي – ﷺ:

- خذ منها ما أعطيته لها.

فقالت حبيبة بنت سهل:

- يا نبي الله كل ما أعطاني فهو عندي.

فأرسلت إليه كل شيء، وأقامت في بيت أهلها ثم تزوجها أبي بن كعب.

ومن الأحاديث التي روتها عن الرسول - ﷺ أنها كانت في بيته حتى دخل فجلس فقال:

- ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أطفال لم يبلغوا الحنث "الحلم" إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنة، فيقال لهم ادخلوا، فيقولون حتى يدخل أبوانا.

هكذا عاشت حبيبة بنت سهل حياتها تمنح من قلبها القيم الجميلة والمعاني السامية التي تعلمتها من القرآن الكريم، وأحاديث الرسول - ﷺ- وقد كانت من رواة هذه الأحاديث وتعلم منها الناس كثيراً من مواقف الحكمة في الحياة.

وودع الناس هذه الصحابية في حزن كبير، لأنها كانت مثالاً طيباً للمرأة المسلمة التي تساهم في الحياة بكل ما لديها من علم ومعرفة. ورحلت حبيبة بنت سهل وما زال التاريخ يذكرها من مشاهير الصحابيات.

حبيبة الصحابية.. ذات الرأي والحكمة.. والقلب نهر من الحب والرحمة.. والعقل نابض بالعزم والهمة.. سريعة التأثر والتأثير.. حاضرة البديهة.. عميقة التفكير.. رقيقة الحس والمشاعر.. إيمان وتقوى ومآثر.

-٩٧-

أسماء بنت مرثد

أسماء بنت مرثد.. ذات الرأي المرشد.. عقل يدبر وقلب يتهجد.. نقية النفس بريئة المقصد.

المعلمة التي استلهمت القرآن.. وأضاء قلبها الإيمان.. وعاشت في ظلال الأمان تقرأ.. تفهم تلمس مشاعر الإنسان.

أسماء صحابية من مشاهير النساء.. أسلمت وبايعت الرسول – ﷺ– مع مجموعة كبيرة من المسلمات والصحابيات بيعة الرضوان التي تسمى بيعة تحت الشجرة، ويقول الله تعالى في كتابه الكريم:

"لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً" (سورة الفتح ١٨).

أسماء بنت مرثد تفقهت في مبادئ العقيدة الإسلامية وسما تفكيرها وارتقت بحياتها، وتفهمت دينها وتعلمت الكثير من القيم الروحية والأخلاقية والحياة الاجتماعية واحترام الناس والصحابة.

كانت تحرص دائماً على العبادة والصلاة وقراءة القرآن ومناقشة القضايا الدينية في شأن الأخلاق والسلوك الاجتماعي، وتسأل وتستفسر من الرسول الكريم عن كل ما يخص حياة المسلمين.

اهتمت بأخلاق المسلم وتطبيق التعاليم والقيم الإسلامية، كما جاء بها القرآن الكريم ودعا إليها الرسول – ﷺ– في أحاديثة الكثيرة. ومن مواقفها في الدعوة الأخلاقية حين أنكرت ما رأته من النساء وهنّ يدخلن عليها غير مئتزرات فيبدو من زينتهنّ من خلاخيلهنّ وصدورهنّ وذوائبهنّ، فاشمأزت منهنّ وقالت:

– ما أقبح هذا!

ومن مواقفها الأخرى التي تعلم فيها الناس آداب السلوك واحترام الآخرين، عندما أعدت طعاماً، وقدمته للرسول – ﷺ– فشاهدت الغلمان والخدم يدخلون عليه بغير إذن. فقالت:

– يا رسول الله! ما أقبح هذا! فنزلت آية الاستئذان.

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

"يا آيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم". (النور ٥٨).

ورحلت سيدة الفكر الإسلامي والمعلمة التي ساهمت في نشر الخلق الكريم بين المسلمين ودعوتهم إلى التزام أصول العقيدة. لقد كانت حياتها فيض من العطاء والتسامح والكرم، ولذلك تظل خالدة في ذاكرة التاريخ.

إنها أسماء بنت مرثد.. ذات الرأي المرشد.. عقل يدبر وقلب يتهجد.. نقية النفس بريئة المقصد.

المعلمة التي استلهمت القرآن.. وأضاء قلبها الإيمان.. وعاشت في ظلال الأمان تقرأ.. تفهم تلمس مشاعر الإنسان.

-٩٨-

أم أوس البهزيّة

الصحابية أم أوس البهزية.. طارت بها الريح الفتية.. على جناح أمنية.. حملت بين يديها الهدية.. وفزعت وظنت أنها منسية.. وارتاحت النفس راضية مرضية وأدركت سر القضية.

أم أوس البهزية تتدفق نهر العقيدة في جنبات حياتها.. فإذا بأشجار وارفة الظلال حولها.. وغمامات ماطرة بالخير على أرضها.. والنهار الأبيض يشق جبال الليل فوق بيتها.. ويعلو آذان الفجر في سمائها.

تصحو مع الشروق كل يوم وفي قلبها تسكن أمنية.. أن تعبر عن أحلامها وتهدي الرسول - ﷺ- ما يعبر عن حبها واحترامها في رمز الهدية فنهضت ووضعت بعضاً من السمن في إناء بعد أن أعدته نقياً خالياً من الشوائب وذهبت لتقدمه هدية.

وتقبل الرسول - ﷺ- هديتها وقدم لها الشكر والدعاء بالخير والبركة. ثم ردّ لها الإناء وهي ممتلئة سمناً فظنت أنّ النبي - ﷺ- لم يقبل هديتها

ففزعت ووجلت وخافت فجاءت إليه حزينة، فقال الرسول - ﷺ:

- أخبروها بالقصة.

وحين علمت بالقصة وخبرت بالحقيقة أشرقت روحها بالفرح، ويقال أنها ظلت تأكل منه فترة من الزمن.

ولا شك أن هذه القصة لها دلالات كثيرة ترمز إلى مدى ترسيخ مفاهيم المحبة والتقدير بين أفراد المجتمعن من خلال التعبير عن المشاعر الإنسانية برمز من رموز الهدايا.

وللرسول - ﷺ لم - أقوال وأحاديث كثيرة عن أثر الهدايا بين أفراد المجتمع، وقد دعا إلى قبول الهدية، لأنها رمز جميل عن المشاعر الطيبة والمحبة بين الناس في الحياة.

ولذلك حث الرسول - ﷺ- على قبول الهدية بين أفراد المسلمين لما لها من أثر طيب في النفس، حيث تعمق العلاقات والمشاعر الإنسانية.

روي عن الرسول - ﷺ- في حديثه الشريف للسيدة عائشة أم المؤمنين.

- يا عائشة اقبلي الهدية ولو كانت كفرسن شاة. "أي كحافر شاة"

ومن كلماته أيضاً:

- تهادوا تحابوا الهدية تذهب حرّ الصدر.

وبعد هذا الموقف فاض الخير في بيت أم أوس البهزية. وحفلت حياتها دائماً بصور من المحبة والعلاقات القائمة على العطاء والكرم والخلق الحميد.

ورحلت أم أوس البهزية وتذكرها الناس دائماً بمواقفها الصالحة، وسعيها بين الناس، من أجل إرساء مبادئ الحب والسلام والصفاء. فمن هي هذه الصاحبية الفاضلة؟

إنها الصحابية الصحابية أم أوس البهزية.. طارت بها الريح الفتية.. على جناح أمنية.. حملت بين يديها الهدية.. وفزعت وظنت أنها منسية.. وارتاحت النفس راضية مرضية.. وأدركت سر القضية.

أم أوس البهزية تتدفق نهر العقيدة في جنبات حياتها.. فإذا بأشجار وارفة الظلال حولها.. وغمامات ماطرة بالخير على أرضها.. والنهار الأبيض يشق جبال الليل فوق بيتها.. ويعلو آذان الفجر في سمائها.

-٩٩-

فاطمة بنت مر الخثعمية

الصحابية التي سكنت النبوءة وجدانها.. وخطا التاريخ في كيانها.. وعبرت الأحداث في زمانها..

أجادت علم الفراسة وأسرار البشر.. الوعد واللقاء درب من القدر.. والحياة في عينيها رحلة سفر.

كانت في نهاية عمرها حين بدأ الرسول – ﷺ– دعوته واستيقظ في أعماقها عصور من الحلم ووعد سكن في قلبها منذ سنوات قليلة، لتشاهد هذا الرسول الذي تنبأت بميلاده منذ زمن طويل.

ورحلت إلى الرسول – ﷺ- وأعلنت إسلامها وغفا قلبها على أجنحة الهدى والتوبة والسلام.

وهناك موقف قديم لفاطمة بنت مر الخثعمية حينما شاهدت عبد المطلب بن هاشم ومعه ولده عبد الله، وشاهدت نوراً يسطع من وجهه، وأيقنت أنه سيأتي منه طفل يكون له شأن كبير وتمنت أن يكون الوعد وعدها وأن تتزوج عبد الله.

ومرت الأحداث وتزوج عبد الله آمنة بنت وهب ثم كان ميلاد الرسول الكريم سيد البشر وآخر الأنبياء، ولذلك تصف هذا الموقف في أشعارها بعد زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب تعبر فيه عن رؤيتها بهذا الطفل القادم:

إني رأيــــت مخيلـــــة لمعــــت	فـــــتلألأت بحنــــاتم القطـــــر
فســـما بهـــا نـــور يضـــيء بـــه	مـــا حولـــه كإضـــاءة البـــدر
ورأيــــت ســــقياها حيا بلـــــد	وقعـــت بـــه وعمـــارة القفـــر
فرجوتـــه فخـــرا أبـــوء بـــه	مـــا كـــل قـــادح زنـــده يـــور
لله مـــــا زهريـــــة ســـــلبت	منـــك الـــذي ســـلبت ومـــا تـــدر

هذه قصة صحابية تأملت في مرايا الزمن.. واكتشفت أن الرسول الكريم – ﷺ- هو النور الذي تلألأ في السماء. وسوف يضيء الكون والعالم.

وتوفيت فاطمة بنت مر الخثعمية بعد عمر طويل، وما زال التاريخ يذكرها بأنها التي اشتغلت بعلم الفراسة وتنبأت بالأحداث القادمة عبر السنين.

الصحابية التي سكنت النبوءة وجدانها.. وخطأ التاريخ في كيانها.. وعبرت الأحداث في زمانها.

أجادت علم الفراسة وأسرار البشر.. الوعد واللقاء درب من القدر.. والحياة في عينيها رحلة سفر.

-١٠٠-

خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي (أم الدرداء الكبرى)

خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي.. من خير النساء.. في التقوى والولاء.. والحس الرقيق.. والقلب الشفيق.. على المساكين والفقراء.

العبادة مقصدها.. والخير هدفها.. والحب عالمها.. العطاء من سجاياها.. والصدق غايتها ودنياها.

حلقت مع أسراب الطيور.. عبرت في بحر النور.. وتهادت على ضفاف الأمان.. تقرأ سورة الرحمن.

تقول عن أهم مواقفها مع الرسول - ﷺ:

- لقيني رسول الله - ﷺ- وقد كنت عائدة من الحمام "حمام البلد" فقال:

- من أين يا أم الدرداء؟

فقلت:

- من الحمام.

فقال الرسول - ﷺ:

– والذي نفسي بيده ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت أحد من أمهاتها إلا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن – عز وجل.

لها أحاديث روتها عن النبي – ﷺ منها:

قال: "ما من ميت يقرأ عنده سورة يس إلا هون عليه الموت".

وعن أم الدرداء عن النبي – ﷺ – قال:

– "إن الله تجاوز لأمتي عن ثلاث عن الخطأ والنسيان والاستكراه".

آخى النبي – ﷺ – بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، "غير مهتمة بجمالها وثوبها"، فقال لها:

– ما شأنك؟

قالت أم الدرداء:

– أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدني.

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً.

فقال سلمان:

– كل.

قال أبو الدرداء:

– فإني صائم.

قال سلمان:

– ما أنا بآكل حتى تأكل.

فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء، يقوم الليل فقال له سلمان:

- نم.

فنام ثم ذهب يقوم الليل مرة أخرى، فقال له سلمان:

- نم.

فلما كان من آخر الليل قال سلمان:

- قم الآن للصلاة، إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه.

فذهب أبو الدرداء إلى الرسول - ﷺ- وقص له ماحدث فقال:

- صدق سلمان.

توفيت أم الدرداء بالشام في خلافة عثمان بن عفان.. وكانت قد حفظت عن النبي- ﷺ- وعن زوجها أبي الدرداء عويمر الأنصاري.

ورحلت السيدة الفاضلة.. خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي.. من خير النساء.. في التقوى والولاء.. والحس الرقيق.. والقلب الشفيق.. على المساكين والفقراء.

العبادة مقصدها.. والخير هدفها.. والحب عالمها.. العطاء من سجاياها.. والصدق غايتها ودنياها.

حلقت مع أسراب الطيور.. عبرت في بحر النور.. وتهادت على ضفاف الأمان.. تقرأ سورة الرحمن.

مؤلفات / علي عبد الفتاح

في مجال الأدب والثقافة والنقد:

١- الصعاليك ينفجرون بالغناء (دراسة حول ٤٠ شخصية في الشعر من مختلف البلاد العربية).

٢- الغربة والإبداع (شهادات المبدعين في الغربة).

٣- العصفور والسنبلة (دراسة نقدية).

٤- عشاق الحزن الجميل (دراسات نفسية حول إبداع مجموعة من الشعراء العرب والأجانب).

٥- سيد قطب (سيرة ذاتية حول أحد أعلام الفكر الإسلامي).

٦- الشاعر الكويتي أحمد مشاري العدواني (دراسات أدبية حول الشاعر).

٧- العدواني وثائق وصور (كتاب وثائقي بالتعاون مع الدكتورة دلال الزين زوجة الشاعر الراحل).

٨- أعلام الشعر في الكويت (أول كتاب يصدر لسير وتراجم شعراء الكويت).

٩- أعلام في الأدب العالمي (دراسات حول ١٢٠ شخصية في الأدب العالمي).

١٠- للحب والجمال والحرية (دراسات نقدية لمواقف المبدعيين حول الجمال والحب والحرية).

١١- الصوت الهامس (كتابات نثرية).

١٢- شخصيات أدبية (حوالي ٣٠٠ شخصية إبداعية من العالم العربي).

١٣- الغاضـبون في الأدب (دراسـات حـول ٤٠ شخصـية في الأدب العـالمي والعربي).

١٤- حمامة بيضاء (قصص علمية وإنسانية للأطفال).

١٥- الشاعر الكويتي فاضل خلف حياته وأدبه (تحت الطبع).

١٦- مواقف من حياتهم (مواقف من حياة الأدباء والشعراء والفنانين).

١٧- شعراء من العصر الجاهلي (تحت الطبع).

١٨- شعراء من إسرائيل (تحت الطبع) (يعتبر أخطر كتاب يدخل المكتبة العربية يوضح مواقف البشاعة التي يصورها شعراء إسرائيل للعرب وأطفال العرب ومدى التعصب والكراهية والحقد ضد الأمة العربية).

١٩- ربع قرن من الزمان في عيون أطفال الكويت (سيرة تربوية للمؤلف عن نظرته وانطباعاته في الكويت وعلاقته بالشعراء والأدباء والتلاميذ الذين كان يدرس لهم في وزارة التربية بالكويت).

٢٠- الغاضبون في الأدب. الطبعة الثانية.

٢١- عشاق الحزن الجميل. الطبعة الثانية.

٢٢- حبيبتي أنت. (كتابات وخواطر نثرية).

٢٣- دراسات في شعر الغزل. (مجموعة دراسات حول شعر الغزل).

٢٤- موسوعة علماء العرب المسلمين. (حوالي ٥٠٠ عالم مسلم).

٢٥- الفراشة والضوء. دراسة في أدب ليلى محمد صالح.

٢٦- حوار المشاعر الرقيقة (كتابات نثرية).

٢٧- دموع الياسمين (أقاصيص من الواقع).

٢٨- هؤلاء عاشوا في وجداني (دراسة نفسية عن علاقة المؤلف بأكثر من ١٠٠ شخصية مبدعة).

٢٩- أعلام الشعر في الكويت (الطبعة الثانية).

٣٠- عاشقات خلدهن التاريخ (تحت الطبع).

٣١- مشاهير الصحابة (تحت الطبع).

٣٢- نساء في حياة الرسول.

أهم الكتب الشهيرة:

- أعلام الشعر في الكويت.
- الغاضبون في الأدب.
- شخصيات أدبية.
- للجمال والحب والحرية.
- موسوعة علماء العرب والمسلمين.
- عشاق الحزن الجميل.

يمكن التواصل مع المؤلف عن طريق الإيميل والهاتف:

Ali_ff53@yahoo.com
01220863815 Cairo

المراجع والمصادر

رقم	اسم المرجع	المؤلف	الإصدار
١	أسد الغابة في معرفة الصحابة	ابن الأثير	دار إحيـاء التـراث العربي –بيروت
٢	رجال حول الرسول	خالد محمد خالد	دار ثابـت – مصـر – الطبعة ٣
٣	موسوعة عباقرة الإسلام	رحاب خضر– محمد أمين	دار الفكـر العربـي – مصر
٤	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	ابن خلكان	دار صـــــادر – بيروت
٥	سير أعلام النبلاء	شمس الدين الذهبي	دار الفكـــــر – بيروت – ط١
٦	البداية والنهاية	ابن كثير	دار المعرفـــة – بيروت
٧	شهداء الصحابة في صدر الإسلام	محمد فهمى عبد الوهاب	دار الاعتصام
٨	الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني	مكتبة ابن تيمية – ١٩٩٣–القاهرة
٩	سيرة ابن هشام	عبد الملك بن هشام النحوى	المكتبة الأزهرية – ٢٠٠٦م
١٠	جامع بيان العلم وفضله	ابن عبدالبر القرطبي	دار الكتب العلمية –ط–١لبنـــــان ٢٠٠٠
١١	مشاهير قادة الإسلام	بسام العسيلى	دارالنفـــــائس بيروت١٩٩٨ط٨

١٢	موسوعة التاريخ الإسلامي	محمود شاكر	المكتب الإسلامي – بيروت
١٣	أسماء الصحابة	ابن حزم الأندلسي	دار الكتب العلمية –١٩٩١– لبنان
١٤	عظماؤنا في التاريخ	مصطفى السباعي	دار البقين – مصر
١٥	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام	شمس الدين محمد الذهبي	دار الكتـــــاب العربــي–لبنــان – ط١–غشس١٩٨٧
١٦	شخصيات إسلامية	د.محمد الزحيلي	دار المكتبــي – دمشـــــق –ط١ ١٩٩٩

الفهرس